سِفْرُ القَتَل
رواية
محمود وهبة
ساحر الكتب

لتحويلك إلى الجروب أضغط هنا

لتحويلك إلى الموقع أضغط هنا

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب

او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

إهداء

أهدي تلك السطور القادمة إلى من يقرأها الآن

****

إهداء إلى أبي، الجزء الأكبر من قلبي وشخصيتي .. إلى إخوتي، السند .. إلى زوجتي، سيدة العالم في نظري .. إلى أبنائي، امتدادي

****

إهداء إلى الحلم القادم

مقدمة

نجمة سداسية مرسومة بدماء متجلطة على حائط مقابل لباب حجرة المتناثرة محتوياتها، وهناك تلك الجثة لشابة في منتصف العشرينات قد سلخت جلودها قبل أن تذبح بنصل حاد مر ببطء حتى انتهى من عنقها، قابعة أرضًا في وسط الحجرة، لا شيء يدل على مرتكب الجريمة، لا شيء سوى كتاب أسود وتلك الأوراق والصور المتباعدة تحمل كلمات غير مفهومة وصور بها طقوس شيطانية تخص الأعمال والتعاويذ، وإحدى تلك الأوراق داخل قبضة الضحية المشوهة وسط دمائها.

(1)

"البداية دائمًا ما تكون خادعة، اعتاد على ذلك.. طوال أحداث تلك الرواية وتوقف كثيرًا بين سطورها، فهناك المزيد من الحيل بين كل سطر والآخر، فلا تفقد تركيزك".

****

في مكتب تحقيقات بإحدى الجهات الأمنية..

رجل يمسك بورقة صغيرة بها بعض المربعات وتظهر معالم الخوف على وجهه وهو يحاول فك طلاسمها المعقدة، وبعد عدة دقائق يرتعد ويشهق في خوف ويقول بكلمات مترددة: "دي تعويذة خطيرة وأعلى من إمكانياتي وإمكانيات اللي معايا، مش هقدر اتكلم يا باشا، سامحني". لينهره أحدهم.

يعني إيه دي تعويذة خطيرة وأعلى من إمكانياتك ومن إمكانيات اللي معاك؟ انجز.. معناها إيه؟" قالها شاب بعصبية، وسيم في منتصف العقد الثالث من

عمره طويل الجسد، أبيض البشرة، أسود الشعر الناعم، عينان خضراوان حادتين، يرتدي بذلة سوداء أنيقة، إلى رجل ممسك بورقة صغيرة متضررة وهو مرتعد يريد تركها.

يرتجف من ذلك الصوت ويترك الورقة على مكتب أمامه وهو يعلق عينيه بها.. "رجل في عقدة الرابع من العمر، يرتدي جلبابًا أسود وبيده مسبحة سوداء، أسمر الوجه، لديه ذقن صغيرة، متوسط الطول، وغليظ الصوت، أجعد الشعر، وعينين غائرتين".

يا بيه اسمعني بس، دي تعويذة قوية وما اقدرش أقولك معناها أحسن يحصلي حاجة أو أموت.. أنا مش ناقص بلاوي.

يمسح الشاب على وجهه في عصبية..

ما هو أنت لو ما قلتش معناها أنا اللي هافرمك هنا ومش هتشوف النور تاني، أنت بلاويك كتير وإحنا ساكتين عليك من زمان ولينا برضو طرقنا، انطق يلا.

ساد الصمت للحظات، وما زالت عين الرجل معلقة على الورقة في خوف كأنه لا يقوى على انتزاع بصره عنها.

ينظر الشاب إلى الرجل في غيظ ويهم بأن يفتك به لولا منعه أحد آخر.. "يرتدي بذلة سوداء، أسمر الوجه، متوسط الطول، وبه بعض من الوسامة وقوة البنية".. قائلًا: "اهدى بس يا أحمد بيه، كله بالهداوة". ثم نظر إلى ذلك الرجل ونهره قائلًا: "أنت يا رشيد الزفت! قوم غور من هنا يلا ولما نحتاجك هنكلمك تيجي جري، ولو عرفت حاجة عن الورقة دي قول لنا، يلا غور".

يهرول "رشيد" إلى الخارج ويجلس الرائد أحمد معلقًا نظره على ذلك الدجال وهو يرحل ثم يقول: "ده رابع واحد دجال يا فؤاد وكلهم رافضين يتكلموا أو يقولوا معنى الكلام ده إيه، مش فاهم إيه اللي خايفين منه أكتر من اللي ممكن نعمله فيهم؟" قالها وهو ممسك بورقة متجعدة من أثر الإمساك بها.

نظر "فؤاد" إلى الورقة المجعدة بتمعن وشعر ببعض الخوف وقال:

مش يمكن يا أحمد بيه الورقة دي فيها حاجة غريبة فعلًا؟ وممكن تكون دليل لينا في القضية؟

رفع "أحمد" عينه إلى "فؤاد" فوجده ينظر إلى الورقة فوضعها على المكتب وقال:

يعني قصدك إن الجثة دي اتسلخت واتدبحت بحتة ورقة جواها كلام فارغ؟ اعقل كلامك يا فؤاد والنبي، عاوزني أكتب في الملف بتاع القضية إن الضحية ماتت بسبب دجل وشعوذة بدل ما نجيب دليل مادي يتصدق، أنت عاوز الرأي العام يتقلب علينا ونقعد أنا وأنت في البيت بدري بدري؟

نزع "فؤاد" عينه بصعوبة عن الورقة وقال:

أنا ما قلتش كده يا باشا، بس فعلًا إحنا محتاجين نعرف إيه اللي في الورقة دي ومين اللي كتبها.

سكت "أحمد" للحظات يفكر ثم قال:

طب رأيك نعمل إيه يا فؤاد؟ نتنكر ونلف على دجالين البلد ونضيع وقت التحقيقات لحد لما القاتل يهرب ونلبس إحنا في الحيط؟

ابتسم "فؤاد" وحاول طمأنة "أحمد" فقال:

- باشا... سيب لي أنا الموضوع ده وفي ظرف يومين بالكتير هعرفلك إيه اللي في الورقة دي وإيه معناها، أنا أعرف حد يقدر يوصلنا بشيخ في الصعيد الناس بتحفى وراه وممكن يساعدنا.. بيقولوا عليه راجل طيب ومش دجال وواصل.

- وده اسمه إيه إن شاء الله.. "مرجان"؟ لا يا باشا اسمه "بلال" الشيخ بلال التهامي هبعتله ييجي واعرض عليه الورقة، وما اعتقدش إنه ممكن يرفض مساعدتنا.

وقف الرائد "فؤاد" بعد أن أشار له الرائد "أحمد" بالموافقة، وأمسك بالورقة واتجه إلى الباب وهو ينظر إلى "أحمد" في محاولة منة لطمأنته، وفور خروجه

أخرج "أحمد" الملف الخاص بالقضية وأخذ يقرأ في أول ورقة مكتوب بها: المجني عليها "شاهندة السيوفي علام"، 27 عامًا، مهندسة ديكور، تعيش منعزلة عن أسرتها بـ104 ش الراوي بمنطقة المهندسين وهو نفس موقع الجريمة، ثم أخرج عدة صور لها قبل الحادث فوجدها شابة، جميلة، شقراء، صاحبة جسد أنثوي جذاب، ثم أخرج صورًا لها بعد الحادثة، فتقزز وجهه وأغلق الملف، وأشعل سيجارة وهو يضع يده على رأسه غارقًا في التفكير وينظر إلى تلك الورقة البالية أمامه، ثم أخرج هاتفه وأجرى مكالمة.

****

أصوات أمطار بالخارج تتساقط بقوة على شرفة حجرة وهناك شاب "عارٍ، حليق الرأس، رياضي الجسد، أبيض البشرة"، يستتر تحت غطاء ثقيل في ليلة قارصة البرودة، يغط في النوم العميق، طرق شديد على باب الحجرة، يفتح الشاب عينه في خوف متماشيًا مع برق يضرب بالخارج ليضيء معظم الغرفة

كثيرة الصور العارية لسيدات، يعتدل الشاب وينظر إلى باب الغرفة وهو يتنفس سريعًا ويستمع إلى دقات قلبه العالية، يسود الصمت لدقائق ليطمئن ويضع رأسه على الفراش ويغمض عينيه ليدق الباب بشدة أقوى تلك المرة، ليفزع الشاب ويقف على قدميه ناسيًا البرد وناسيًا جسده العاري، يتوجه ناحية الباب في حذر بأقدام هزيلة، ينظر إلى المقبض ويقترب منه في خوف وجسده بدأ يتصبب عرقًا، وهناك دخان يتصاعد من جسده المشتعل من الخوف، وقبل أن يمسك بالمقبض يطرق الباب من جديد طرقات متتالية سريعة، تجعل الشاب يعود للخلف في شهيق وزفير متسارع وقد هربت دموعه من بين جفنيه، يتوقف الطرق فجأة مع صوت لضحكة يعلمها جيدًا تجعله ينظر مباشرة إلى صورة معلقة على حائط الغرفة، تخص "شاهندة السيوفي" وهي شبه عارية، ومن ثم ينتهي كل شيء، ويجلس الشاب على فراشه وما زال جسده يرتعش موجهًا نظرة الحائر إلى ورقة مرت من أسفل الباب والتقطها وجلس لوقت طويل متفكرًا فيما حدث منذ لحظات وما تحويه تلك الورقة.

****

في نفس التوقيت تبكي شابة بشدة وهي ممسكة بصورة تشبهها تمامًا، ولكن هناك اختلاف بسيط في جرح يظهر بوجه صاحبة الصورة، بينما هي لا، تتفوه بكلمات اعتراضية لا يفهم منها سوى كلمة "شاهندة" أو "ماتت"، ظلت هكذا لدقائق بذلك البكاء والنحيب المتواصل على أختها وتوأمها، لحظات من الإرهاق كانت كفيلة بشعورها بالنعاس جعل جسدها يسترخي على الفراش ونامت، لتفيق على جسد مغطى بالدماء لشقيقتها أمام حافة الفراش، وهي تنظر لها بتركيز وتتمتم بكلمات مخيفة، انكمش جسدها لتصبح كرة من اللحم داخل غطاء تشوى على نار الفزع، وقد بدأت رائحة شوائه في الظهور، بكت بشعور مفجع وقلبها يتهاوى بين أقدامها، أرادت التحدث ولكن عجز لسانها عن النطق، قطعت الإضاءة وسط صراخ الشابة وأختها التوأم، وعندما عاد لم يكن هناك سوى ورقة صغيرة بها عدة كلمات لا معنى لها على الفراش بالقرب منها.

****

هاتف يرن داخل مكتب فخم بإحدى الجهات الأمنية، يلتقطه رجل شرطة برتبة لواء.. "رجل في منتصف العقد الخامس، أبيض البشرة، طويل الجسد، أسود العين يرتدي زيه الميري".. ثم يردف قائلًا:

اللواء عثمان.

يأتيه الرد فتتبدل معالم وجهه إلى الجدية ويستمع بحرص ثم يرد قائلًا:

تمام يا فندم أنا بالفعل كلفت ظابط شاطر جدًّا اسمه الرائد "أحمد خالد الشريف" ورشحته أكتر من ظابط كفؤ وهو اختار الرائد "فؤاد أكرم فوزى"، وهما بالفعل بدأوا التحقيقات والبحث المكثف وهبعت لسيادتك ملفاتهم وهتابعك بكل التطورات يا فندم.

يأتيه الرد فتظهر معالم الارتياح على وجهه ثم يرد قائلًا:

تعليمات سعادتك يا فندم.. وإن شاء الله قبل المدة دي هيكون في أخبار كويسة.. مع السلامة.

ينهي المكالمة ثم يقف ويأخذ غطاء الرأس ويخرج مسرعًا من مكتبه وسط التحيات العسكرية ممن يقابله.

****

في صباح اليوم التالي "يوم التحقيقات وسماع أقوال الشهود"..

طرق على باب الرائد "أحمد" الذي يفيق بعد عدة طرقات ويقول: "ادخل". يدخل في الحال الرائد "فؤاد" مبتسمًا وهو يقول: "إيه يا أحمد باشا كل ده نوم!" ثم يتجه ويزيح ستار ليدخل النور في الحال مقتحمًا الغرفة وعين "أحمد" الذي يقف ويدخل إلى دورة المياه وهو يقول: "نوم إيه يا ابني، أنا سهران من امبارح بافكر ولسة نايم من ساعة تقريبًا". ثم يخرج ويجلس خلف مكتبه ويكمل: "أنت إيه الأخبار؟ عملت إيه؟ وصلت للشيخ هلال؟"

يبتسم "فؤاد" وينظر إلى ساعة يده ليجدها السابعة صباحًا فيقول: "هو أنا بالعب يعني يا أحمد، كلمته من

امبارح وزمانه جاي، على 9 هيكون هنا ويفسر لنا إيه معنى الورقة دي، بس اسمه بلال مش هلال، مش عاوزين الناس دي تزعل مننا.. إحنا مش قدهم".

يُخرج أحمد سلاحه الناري ويضعه على المكتب أمام فؤاد ويقول: "إحنا هنخاف من دجالين يا فؤاد أمال ده لزمته إيه؟ أنت يا ابني ما دخلتش نفس الأكادمية اللي أنا اتخرجت منها؟" وينظر إلى السلاح بابتسامة واثقة.

يبتسم "فؤاد" وينظر إلى السلاح ويقول: "لا دول يا باشا ما ينفعش معاهم جيش.. دول في حتة تانية.. ومش ده اللي ينفع معاهم، أنا عارف هما بيتعاملوا مع مين.. ولما ييجي هتعرف أنا أقصد إيه".

يشعل "أحمد" سيجارة ويعطي "فؤاد" واحدة وهو يقول: "كويس، أهو يبقى خلصنا التحقيق وسمعنا الشهود ويكون كمان "سامي المغازي" خلص تشريح في الجثة ويقول لنا تقريره النهائي، يمكن يبقى في حاجة جديدة نوصلها في القضية الغريبة دي".

يخرج "فؤاد" ملفًّا ويعطيه لـ"أحمد" وهو يقول: "هي فعلًا غريبة، تخيل معاينة الشقة أثبتت إنه مفيش بصمات في الشقة غير بصمات اتنين مع الضحية هما "كريم رفعت" صديقها و"رشا السويفي" أخت المجني عليها التوأم، وهتلاقي عندك كل التحريات عنهم، وهما هيوصلوا كمان دقائق ونستجوبهم بنفسنا.

جلس "أحمد" وهو يخرج دخانًا كثيفًا من أنفه وبدأ يقرأ الملف بتمعن وقال: "كريم رفعت وشهرته ريكو! لما نشوف حكايتك إيه يا سي ريكو أنت كمان!" ثم دفن سيجارته داخل مثواها الأخير وأكمل قائلًا: "رشا السيوفي، أخت المجني عليها وتوأمها، وهما على علاقة مش طبيعية ببعض من وقت وفاة أبيهما وأمهما".

طرق الباب بتروٍّ منتظرًا الرد ليدخل من خلفه، قال "أحمد": "ادخل". دلف إلى الداخل شاب في مقتبل العمر بزيه الميري، وتظهر عليه علامات الشاب الصعيدي بسماره ولهجته، قال: "الشهود يا فندم". نظر له "فؤاد" وقال: "خليهم يدخلوا يا موسى". ليخرج

"موسى" سريعًا تاركًا الباب مفتوحًا ليدخل منه ذلك الشاب "ريكو"، ينظر إلى الضابطين في خوف لا مبرر له، ومن ثمَّ أغلق "موسى" الباب خلفه ليتركه بين أيدي أكفأ ضابطين في مجالهما.

جلس "ريكو" بعد أن أشار له "أحمد" أن يستريح، وطلب له مشروبًا دافئًا في ذلك الطقس البارد، بينما ظل "فؤاد" يوجه نظره إليه كأنه الجاني من أول وهلة من وجهة نظرة.

تحدث "أحمد" في عدم اهتمام وهو لا يزال ممسكًا بملف بيده..

اسمك وسنك ومهنتك.. وتعرف إيه عن المجني عليها؟

أرسل "ريكو" نظراته بين الضابطين في خوف ورد قائلًا:

اسمي "كريم رفعت".. وسني 32 سنة.. وبشتغل.. بشتغل مودلينج.. وعلاقتي بالمجـ...

قاطعه "فؤاد"..

مودلينج إيه؟ ممكن توضح؟

سكت "ريكو" لحظات ثم قال:

مودلينج أفلام ومجلات يا فندم.

قال "أحمد" بحزم وهو يشعل سيجارة:

- انجز يا ابني مش هنقعد طول اليوم ندردش. حاضر يا فندم، أنا مودلينج أفلام بورنو، بس بره والله.. ما عملتش حاجة هنا في مصر، أنا ماشي قانوني.

نظر له الضابطان في تقزز وقال "أحمد":

إحنا هنشوف الموضوع ده بطريقتنا إن كنت مثلت في مصر ولا لأ، مش موضوعنا دلوقتي، كمل، علاقتك إيه بالمجني عليها؟ وبصماتك في شقتها وعلى هدومها بتعمل إيه يا سي ريكو؟

نظر "ريكو" إلى "أحمد"، وبخوف قال:

- إحنا كنا أصحاب حضرتك.. وبنتقابل كتير بره.. وساعات كنا بنسهر مع بعض في كذا مكان عام يعني، زي الديسكو وكده. وإيه كمان؟ بصماتك في الشقة وعلى هدومها الداخلية ليه؟

ارتبك "ريكو" وقال:

إحنا كنا كابلز حضرتك.. وكنا ساعات بنقعد في شقتي أو شقتها كتير، بنشرب ونعمل اللي إحنا عاوزينه وكل واحد يشوف حياته عادي يعني.

قال "فؤاد" بتقزز وغضب:

- عادي يعني إزاي؟

- إحنا كنا متفقين حضرتك إننا أصحاب، شرب ونوم وخروجات لكن ماحدش ليه دعوة بالتاني.

- واتعرفت عليها إمتى وإزاي يا سي ريكو؟ اتعرفت عليها من حوالي سنتين من بعد موت أبوها وأمها، كانت نفسيتها وحشة جدًّا.. وكانت على خلاف مع

أختها رشا، قربنا من بعض وبقينا نسهر مع بعض.. وبعد كده عرفت إني مودلينج بورنو واتفاجئت إنها طلبت مني أفلامي وجبتهم لها.. وبعد كده اتطورت العلاقة وبقينا كابلز، بس حضرتك.

ترك "أحمد" الملف من يده على المكتب وقال:

حضرتك إيه بقى؟ هو أنت خليت فيها حضرتك؟ ماشي يعني هي دي علاقتك بيها من البداية للنهاية، طب قول لي كنت فين وقت الجريمة ما حصلت؟ وهل كان في أي تغيرات عليها قبل الحادثة؟

ابتلع"ريكو" ريقه وقال:

- أنا كنت مع واحدة وقت الجريمة.. كانت بتشتري مني أفلام يعني.. بس بلاش مشاكل والنبي عشان أبوها حد مهم حضرتك، وشاهندة كانت متغيرة فعلًا قبل الحادثة.. وبدأت تتكلم عن أعمال وسحر.. وكانت بتروح لجلسات تحضير أرواح.. ما اعرفش كانت بتعمل كده ليه.. بس هي كانت بتغيب بالأيام وتكلمني

وتقطع تاني. ماشي يا كريم، أقصد ريكو، ها.. في حاجة تاني عاوز تضيفها؟

نظر ريكو بخوف إلى الضابطين، ثم وقف بتردد مشيرًا إلى النفي.. فتنبه لذلك "أحمد" وقال:

ولا أنت مخبي إيه تاني؟

ارتعد"ريكو" وقال بخوف:

أنا في حاجة غريبة حصلت لي امبارح حضرتك بس مش هتصدقوني.

بنفاد صبر قال "أحمد":

- لا هنصدق بس قول. الورقة دي لقيتها تحت باب أوضتي امبارح بالليل بعد لما الباب قعد يخبط كتير.. وأنا أصلًا عايش لوحدي.. بعد كده سمعت صوت "شاهندة" وهي بتضحك.. ولما الباب خلص خبط لقيتها، أنا مش عارف ده معناه إيه بس هو حصل.

أخرج الورقة ووضعها على المكتب أمام الضابطين الذين تبادلا النظرات في تعجب، خرج "ريكو" في خوف وهو يرتعش تاركًا الضابطين في حالة غير مفهومة بسبب تلك الورقة التي تشبه الورقة المأخوذة من يد الجثة وقت رفع البصمات وتحوي نفس الكتابات تمامًا.

دقائق ودخلت "رشا" شقيقة المجني عليها، نظر الضابطان إلى الصورة التي بحوزتهما وقارنا بينهما في تعجب لذلك الشبه الكبير، جلست على استحياء دامعة العينين، أما الضابطان فقد طلب أحدهما مشروبًا دافئًا لها، وبعد انتهائها من المشروب وهدأت دموعها قال "أحمد" بادئًا في روتين التحقيق:

- اسمك وسنك وعلاقتك بالمجني عليها؟

- اسمي رشا السيوفي.. وسني 27 سنة.. وبشتغل دكتورة أسنان.. وعندي عيادتي الخاصة.. وعلاقتي إني أختها التوأم والوحيدة.

- البقاء لله، بس أتمنى إن حضرتك تقدري صعوبة شغلنا وتقدري إننا طلبنا التحقيق معاكي في الوقت ده.. ويا ريت تساعدينا عشان نقدر نوصل للقاتل.

- طبعا.. أكيد.. اتفضلوا أنا تحت أمركم. آخر مرة شوفتي شاهندة إمتى؟ وإيه سبب خلافكم؟ وهل كانت متغيرة في آخر فترة؟

بصوت ضعيف مختلط بالحزن قالت:

آخر مرة شوفتها من أسبوعين في عيادتي وكانت بتشتكي من نزيف في اللثة من غير سبب واضح، أما سبب خلافنا هو ميولها وتصرفاتها، كانت منفتحة زيادة عن اللزوم بعد موت بابا وماما، صدمتها خلتها مضطربة وبتتصرف بعشوائية.. يعني بتشرب خمرة وتصاحب و.. وحاجات تانية كتير غلط، بس أكتر حاجة كانت هي فكرة الانتقام من خالنا بعد ما خد كل فلوس التجارة بتاعت بابا وماما وما اعترفش بحقنا، كانت عاوزة تنتقم منه بأي طريقة.. وفعلًا كانت متغيرة بسبب الموضوع ده في آخر أيام وبدأت تجيب

كتب سحر.. وكانت عاوزة أذيته بعد ما راحت واتخانقت معاه وضربها.

نظر "أحمد" إلى "فؤاد" وقال:

كتب سحر وعفاريت وأعمال يعني؟

أجابت وهي تنظر إلى يدها وما تحويه:

- أيوة، وأنا حاولت أبعدها بس هي كانت متغيرة جدًّا وعصبية جدًّا في آخر أيامها، حسيت إني مش عارفاها.. وإن الشخص ده ما كانش شاهندة.

- طب إنتي تعتقدي إن ده ممكن يكون سبب في موتها مثلًا؟ أنا إنسانة متعلمة حضرتك ومش مؤمنة بالحاجات دي.. بس...

أحس فؤاد بأنها تخفي شيئًا فقال:

- بس إيه؟ ممكن حضرتك تكلمينا بصراحة عشان نقدر نوصل للحقيقة في أسرع وقت؟ بس أنا حصل لي موقف امبارح غريب مش فاهماه.. وقلت إني مرهقة

وفي صدمة من موتها بالطريقة الغريبة دي.. لكن للأسف ما طلعش ظني مظبوط وفي محله والسبب الورقة دي.

بكت ثم أخرجت ورقة متطابقة مع الاثنين الآخرين، ووضعتها بيد "فؤاد" الذي أصابه الذهول وأعطاها إلى "أحمد" الذي أغمض عينيه وعاد إلى الخلف وقال:

- طب إنتي بتتهمي حد في قتلها؟

- لا، أنا مش باتهم حد.. وما اقدرش أظلم وألفق تهم للناس بالباطل. خلاص حضرتك تقدري تتفضلي.. وتعازينا الحارة لحضرتك في المرحومة.. وإن شاء الله هنبلغك بكل التطورات، مع السلامة.

وقفت في أسى وخرجت وأغلقت الباب خلفها، وضع "أحمد" الثلاث ورقات بجانب بعضهم البعض ووقف وبجانبه "فؤاد" ينظران إلى تلك الأوراق في تعجب وعدم استيعاب لما يدور في كواليس تلك القضية المبهمة.

****

بعد مرور ساعة دخل الطبيب الشرعي "سامي المغازي" صاحب الـ45 عامًا، أصلع الرأس، ممتلئ الجسد، يرتدي نظارة معظمة تقريبًا، أبيض البشرة، وكثير الكلام، كما هو كثير التعرق.. وضع ملفًّا به تقرير الطب الشرعي أمام "أحمد" على المكتب، قاطع شرود الضابطين اللذين لم يشعرا بوجوده، جلس أمام "فؤاد" ولم يشعر.. ثم نظر إلى "أحمد" الذي بادله النظرة الصامتة ثم تنبه لوجوده فقال:

- دكتور سامي! أنت هنا من إمتى؟

- أنا بقالي ساعة قاعد بتفرج عليكم، أول مرة أشوفكم كده في الحالة دي. إحنا فعلًا قصاد قضية غريبة وحالة خاصة، بعد التحريات اللي عملناها والبصمات اللي أكدت إن المجني عليها كانت لوحدها وقت الحادثة.. وإن البصمات دي تخص اتنين بقالهم أكتر من شهرين ما دخلوش بيتها، فتبقى قضية معقدة من غير دليل مادي.

ابتسم "سامي" وقال بهدوء:

بس الضحية ما كانتش لوحدها على فكرة وقت ارتكاب الجريمة.

أشعل "أحمد" سيجارة وقال:

- تقصد إيه؟ في دليل جديد؟ في أدلة مش دليل واحد.

اعتدل الضابطان في جلستهما وبدا عليهما التركيز، ليكمل الطبيب:

أدوات السلخ اللي استخدمها القاتل مالهاش أي وجود في محل الجريمة، السلاح الحاد اللي مش قادر أحدد ملامحه لحد دلوقتي واللي استخدم في دبح شاهندة بالطريقة دي وبالقوة دي فين؟ والأغرب من كل ده.. فين جلد الضحية بعد لما اتسلخت؟

ابتسم "أحمد" كأن روحه رُدَّت إليه وعادت إليه ثقته، ووقف على قدميه وتحرك كأنه يراجع كل التفاصيل..

ثم قال:

- صح، كده إحنا بقى عندنا حبل تاني نمشي في سكته، القاتل واضح إنه محترف وبيستخدم أدواته بمهارة وعنده نزعة سادية، إحنا محتاجين دكتور نفسي شاطر يا "فؤاد" ممكن يقربلنا من تفكير القاتل ونقدر نوصله.

- تمام يا أحمد.. نقدر نستعين بخبرات حد شاطر يساعدنا. دكتور سامي، أنا عاوزك تاخد وقتك وتحاول تعمل تصور للسلاح اللي اندبحت بيه المجني عليها، ده هيسهلنا الموضوع جدًّا وممكن يوصلنا لمكان قريب من القاتل، تمام؟

أشار الطبيب "سامي" بالموافقة وقال: "تمام".

خرج الطبيب "سامي" تاركًا الضابطان في حالة أفضل مما كانا عليه قبل دخوله بالأخبار الجديدة ولديه عمل آخر لينهيه بعد أن ترك التقرير المبدئي أمام "أحمد".

وزارة العدل
مصلحة الطب الشرعي

2016/ 850 طب شرعي

تقرير طب شرعي
في القضية رقم 7125/2016 جنائي

أثبت أنا الدكتور/ سامي أشرف المغازي –الطبيب الشرعي– بأنه وبناء على طلب النيابة والمباحث الجنائية في القضية عاليه، فقد قمت اليوم الموافق 15/1/2016 بتشريح جثمان المجني عليها/ شاهندة السيوفي علام، لبيان سبب وأداة القتل وتاريخ وكيفية حدوث الجريمة، وعما إذا كان شك في الانتحار أو الشبهة الجنائية كجريمة قتل.

وعليه أثبت ..

أن الواقعة جريمة قتل متكاملة الأركان، وقد تمت بفعل أداة حادة اخترقت رقبة الضحية وأحدثت جرحًا مميتًا من اليمين إلى اليسار، ما نتج عنه فقد الكثير من الدماء، أدى بشكل مباشر إلى الوفاة، مع الذكر أنه قد تم سلخ أجزاء من جلد المجني عليها قبل قتلها، وقد تم السلخ والذبح بوقت متقارب لا يتعدى الخمس عشرة دقيقة، وبعد الفحص تم التأكيد أن الجريمة قد وقعت بوقت متأخر من يوم 14/1/2016 دون مقاومة واضحة من الضحية، مع عدم وجود أي أثر لمخدر داخل دمائها.

850/2016 طب شرعي.

سامي المغازي

أخرج "فؤاد" هاتفه واتجه لركن في الغرفة وأجرى مكالمة، ثم عاد وقال:

- الشيخ بلال هيكون هنا كمان 10 دقائق يا أحمد، شوف أنت عاوز تسأله في إيه وأتمنى إنه يساعدنا. كويس، أنا لازم أعرف إيه اللي مكتوب في الورقة دي، أكيد القاتل بيحاول يلعب معانا لعبة معينة ولازم نجاريه.

جلس "فؤاد" بالقرب من الورق المشابه لبعضه وقال:

تفتكر القاتل ده من عبدة الشيطان مثلًا ولا ممكن يكون مجنون وسادي ولا إيه؟

وضع "أحمد" يده أسفل ذقنه وقال:

مش عارف يا فؤاد، بس اللي أنا متأكد منه إن القضية دي مش زي أي قضية تانية اشتغلتها، حاسس إن في حاجة مش في مكانها، حاجة متدارية بعيد عن عنينا.

ابتسم "فؤاد" وقال:

مش قادر أفهمك يا أحمد، بس أنا كمان مش قادر أربط حاجة ببعضها.. بس هنشوف الحكاية هتاخدنا

لفين.

قطع كلام الضابطان طرق على الباب بتروٍّ وبعدها دلف إلى الغرفة "شاب طويل الجسد أبيض البشرة ملتحٍ ويرتدي بذلة سوداء تعلوها عباءة بنفس اللون ومسبحة بيضاء".. اقترب من الضابطان بعد أن وقفا وسلما عليه.. ثم جلس الجميع وبدأ فؤاد الكلام قائلًا:

أنا الرائد فؤاد اللي كلمتك في التليفون يا شيخ "بلال".. وده الرائد "أحمد" المسؤول عن التحقيق في القضية اللي طالبينك عشانها.

ابتسم الشيخ "بلال" وهو يحيي الضابطين برأسه وقال:

- أهلًا وسهلًا يا بشوات، أنا تحت أمركم، إن شاء الله يكون خير. خير يا شيخ بلال، إحنا عاوزينك تقرا لنا الورقة دي وتفهمنا إيه اللي فيها، عشان إحنا لقيناها في إيد المجني عليها.

أخرج "أحمد" الورقة وأعطاها إلى الشيخ "بلال" الذي أمسكها ووقف خوفًا وتركها على المكتب، ثم اقترب منها مرة أخرى وخلع عباءته وقال:

الحمام منين يا بيه؟ محتاج أتوضأ، الموضوع فيه عهد مع شيطان.

نظر الضابطان إلى الشيخ "بلال" في تعجب واضح على وجوههما ثم أشار "فؤاد" باتجاه دورة المياه، ليتجه بلال متمتمًا إلى هناك وينتهي سريعًا ثم يرتدي العباءة، ويمسك بالورقة مصوبًا تركيزه على تلك العبارات المكتوبة بشكل غريب.

(2)

"عليك أن تعلم أن لكل جريمة دافع، وأن لكل دافع توابع، وأن مع التوابع تأتي الأدلة وتتشابك الخيوط لتنسج أمامك شبكة تحتاج إلى الكثير من التروي لحل طلاسمها، لذلك عليك أن تركز أكثر في القادم فلعلها من فعل الشيطان".

****

مرت عدة ساعات على خروج الشيخ "بلال" ومعه الورقة وشخص ليرافقه، بعد أن أخبرهما بحاجته في الذهاب إلى بيته القريب من هنا ليحضر بعض الكتب وما سيحتاجه، ووعد أنه سيحضر في خلال ساعتين بحد أقصى تاركًا الضابطان يحاولان فهم كلمة "عهد مع الشيطان".

اتصل "فؤاد" بمن يرافق الشيخ "بلال" فأجابه بأنه في انتظاره أسفل العقار، وأنه ما زال هناك من وقت وصولهما، أخبره "فؤاد" أن يصعد ويطمئن عليه ويحضره سريعًا.

بعد نصف ساعة وصل الشيخ "بلال" إلى المكتب ودخل مسرعًا وبيده الورقة وعدة أوراق أخرى بها رسومات وكلمات تشبه تلك الكلمات المكتوبة داخل الورقة دليل القضية.

جلس وأشار لهما أن يقتربا وهو يقول:

الورقة دي جزء من عهد مع الشيطان وبيضم اسم، بس مش واضح الجملة كلها وإيه الغرض من العهد لحد دلوقتي غير اسم واحدة.

انفعل "أحمد" من سماع تلك الجمل وقال:

يعني إيه عهد يا شيخ بلال؟ أنت هترجعنا تاني للدجل والشعوذة؟

نظر له الشيخ"بلال" في جدية وأكد على كلامه وقال:

أحمد بيه.. أنا مش جاي هنا أهزر مع حضرتك، أنا هبلغكم اللي أنا لقيته وإنتم اتصرفوا، بس اللي في

الورقة دي جزء من عهد مع شيطان والموضوع مش بسيط.

ظهرت معالم التصديق والخوف على وجه "فؤاد" وقال:

طب إيه الأسماء اللي في الورقة دي؟ يعني أسماء شياطين؟

رد الشيخ "بلال":

لا أسماء بني آدمين.. وهي جملة فيها اسم ست.. بس مش قادر أعرف الباقي دلوقتي.. محتاج وقت عشان أقدر أكمل الباقي وأجيبلك كل التفاصيل.

حاول "أحمد" مجاراته فسأل...

إيه الاسم اللي وصلتله؟

نظر الشيخ "بلال" إلى الورقة بثقة وقال:

شاهندة، ما اعرفش ده معناه إيه بس الاسم كان واضح جدًّا.

تعجب الضابطان وقال أحمد في تعجب:

شاهندة! بس ده معناه إيه؟

لاحظ الشيخ"بلال" نظرة الضابطين فسأل مسرعًا:

هي مين شاهندة دي؟

تردد الضابطان ولكن "فؤاد" أجاب:

المجني عليها يا شيخ بلال.

تغيرت ملامح الشيخ "بلال" وقال وهو يقلب بأحد الكتب معه:

المجني عليها! يعني ده معناه إن الورقة دي قايلة اسم الضحية في عهد شيطاني.

أحمد مشككًا كعادته:

- أنت متأكد يا شيخ بلال إن الاسم مظبوط؟ أنا قلت الاسم ومن غير ما اعرف إن المجني عليها اسمها شاهندة يا أحمد باشا.

نظر "فؤاد" إلى "أحمد" في تعجب وظل الجميع شاردًا في تلك الورقة وطريقة كتابتها حتى قطع "أحمد" الصمت متسائلًا:

- هي إيه اللغة اللي مكتوب بيها الورقة دي يا شيخ بلال؟ دي مش لغة.. ده علم اسمه علم الأوفاق.. بيستخدموه في التعاويذ والسحر والدجل.. والمتمكن منه بيكون شره كبير.. والورقة دي فيها لغز ومربعات مش واضحة لحد دلوقتي، أنا بس محتاج يومين عشان أعرف إيه هي بقية الجملة.

مسح "أحمد" على وجهه واحمرَّ وجهه وقال:

يومين بالكتير يا شيخ بلال.. إحنا في عرض أي معلومة كاملة، مساعد وزير الداخلية بنفسه متابع القضية وبيتصل بيا كل شوية.

بلهجة واثقة قال الشيخ "بلال":

ما تقلقش يا أحمد بيه إن شاء الله ملحوقة.. يومين بالكتير وهكون جاهز.

وقف الشيخ بلال وسلم على الضابطين وأخذ معه الورقة.. وقبل أن يخرج نظر إلى أركان الغرفة بكل تركيز وقال:

إبقوا خدوا بالكم اليومين دول كويس، الموضوع مش سهل واللي بندور عليه مش هين.

ثم خرج وأغلق خلفه الباب بقوة أصدرت صوتًا خلع قلبي الضابطين، جلس "أحمد" وأمامه "فؤاد" خلف المكتب، كل ممسك بملف وصورة ويحاولان إيجاد شيء منطقي يخرج إلى الرأي العام كنتيجة أولية حتى بدأ هاتف "أحمد" الجوال في إصدار نغمات الاتصال الملحة، فجذب الهاتف في عصبية وأجاب قائلًا: "تمام يا فندم.. إحنا ماشيين في التحقيق حسب

تعليمات سيادتك وإن شاء الله أخبار حلوة آخر الأسبوع".

****

بعد مرور يومين من التحقيقات وانتظار التحريات وما توصل له الطبيب الشرعي قبل إرسال الجثمان إلى مثواه الأخير، ومحاولة الشيخ بلال في فك طلاسم تلك الورقة، حضر "فؤاد" ومعه طبيب نفسي "أسود الشعر، قصير القامة، ملابس تقليدية من قميص متعدد الألوان وبنطال قماش أسود، بشرة سمراء، وشخصية مترددة بداخله". طرق الباب ودلف ومعه الطبيب النفسي ليجد "أحمد" ينهي هاتفة مقاطعًا حديثه الخاص، وأشار لهم أن يجلسوا وذهب هو خلف مكتبه ووضع الهاتف داخل جاكيت بذلته.

قال فؤاد معرفًا:

جلال أمين، الدكتور النفسي اللي طلبناه يا باشا ورشحه لنا حد موثوق فيه من وزارة الصحة، وهو جاهز للمساعدة.

"أحمد" مرحبًا:

أهلًا بيك يا دكتور جلال.

الدكتور "جلال" بتردد:

أهلًا بحضرتك سيادة الرائد أحمد، مش كده؟

ابتسم "أحمد"..

مظبوط، قهوتك إيه؟ عشان إحنا محتاجينك مركز معانا لحد لما نوصل لتحليل منطقي لشخصية القاتل.

"جلال" مقاطعها:

أنا ما باشربش قهوة حضرتك، ممكن لمون ساقع.

تعجب "أحمد"..

في البرد ده؟

"جلال" مبتسمًا:

- معلش.. هو الحاجة الوحيدة اللي بتصفي ذهني وتخليني مركز. ماشي، موسى، موسى؟

دلف "موسى" مسرعًا ثم قال:

- أفندم يا أحمد بيه؟ موسى.. هات لمون للدكتور.

"جلال" مقاطعًا:

بس فيه تلج لو سمحت.

نظر "أحمد" إلى "جلال" ليجده مرتبكًا فتبسم وقال:

هات له تلج يا موسى واتنين قهوة لو سمحت بسرعة.

ابتسم "جلال" وقال:

- شكرًا لحضرتك يا أحمد باشا. على إيه يا راجل؟ على شوية تلج؟ المهم بس تكون مركز معانا.

بعد أن أنهى الدكتور"جلال" مشروبه الحمضي نظر إلى الضابطين في استعداد.. فأشعل "أحمد" سيجارة وأعطى أخرى لـ"فؤاد" وقال:

- بص يا دكتور جلال.. أنا هشرحلك الجريمة وشكل الضحية وأنت تحاول تحللنا شخصية القاتل.. ماشي؟

- ماشي، بس بكل التفاصيل إذا سمحت عشان أقدر أحدد سلوكه. تمام، الجثة لبنت حوالي 27 سنة.. مسلوخ معظم جلدها ومدبوحة بسلاح حاد بقوة.. لأن كان في عمق كبير في الرقبة.. ومرسوم بدمها نجمة على الحيطة.. ومش بس كده.. ده لما موتها ساب في إيدها ورقة فيها كلام تعاويذ وسحر.. وكمان لقينا في الأوضة صور وحاجات خاصة بالسحر وعبادة الشيطان.

ابتلع "جلال" ريقه في خوف وقال:

ممكن واحد لمون تاني معلش؟

طلب له "أحمد" لمون.. وبعد أن شربه سريعًا وأخذ يكسر الثلوج بين أسنانه وهدأ ثم قال:

- حضرتك دي كل التفاصيل ولا في تفاصيل تاني؟ دي كل التفاصيل يا دكتور جلال، أنت شايف إيه؟

وتحليلك إيه للمشهد ده وللقاتل؟

أمسك الطبيب "جلال" الصور وهو ينظر إليها في تمعن، وتبدَّلت شخصيته الخجولة المترددة لجرأة وذكاء ملحوظ.. وقال:

أنا شايف إن ده عقل إجرامي محترف ونفسية معقدة.. بس اللي أنا مستغربه إنه عامل الجريمة وسايب دليل عليه زي الورقة اللي حضرتك قلت عليها، هو عاوز يلعب معاكم لعبة، سادي وذكي وفي نفس الوقت ليه مرجعية دينية، عاوز يوديكم في مكان ديني وسحر وشعوذة، ويلعب هو في مكان تاني مع ضحية جديدة.

صعق الضابطان من تلك الجملة الأخيرة "ضحية جديدة"! جعلت "فؤاد" يقف مسرعًا ويجري مكالمة مع الشيخ "بلال" الذي رد عليه في الحال وقال إنه قادم إليهم لأنه توصل لاسم جديد داخل تلك الورقة، مما يزيد من شكوك الضابطين أن هناك ضحية جديدة ستموت قريبًا، ونظر إلى الدكتور "جلال" في تعجب

من فطنته وتوقعه الذي يحسد عليه، وأخبر "أحمد" بما قاله "بلال" ليصعق هو الآخر.

****

أقل من الساعة ووصل الشيخ "بلال" مسرعًا وهو يلهث، طرق الباب وفتحه ودلف إلى داخله سريعًا، أخرج عدة ورقات بها عدد من الجداول ووضعهم على المكتب أمام "أحمد" و"فؤاد" وسط تعجب الدكتور "جلال" من تلك الأوراق وما هو مرسوم داخلها، نظر "أحمد" وقال:

يا شيخ بلال أبوس إيدك فهمنا ده معناه إيه؟

بصوت قلق رد الشيخ "بلال" شارحًا:

دي الطريقة اللي فكيت بيها تاني طلسم وفي آخر ورقة وصلت لاسم ست تانية برضو وده خلاني محتار ومش فاهم.

أخرج "فؤاد" هاتفه الجوال مسرعًا وسأل:

الست اسمها إيه يا شيخ بلال؟

قلب الشيخ "بلال" في الورق الذي أمامه وأخرج ورقة وقرأ منها الاسم:

اسمها مرفت يا فؤاد بيه، الغريب إني مش قادر أعرف إيه التعويذة اللي بتحتوى على اسمين وإيه معناهم.

ابتسم الطبيب "جلال" وقال متسائلًا:

ممكن يكون كلامي صح يا أحمد بيه؟

رد "أحمد" بتوتر:

شكله كده يا دكتور جلال والله، وشكلها مصيبة وقاتل محترف.

قاطعه الشيخ "بلال" بحدة:

مش قاتل يا أحمد بيه، ده عهد مع شيطان، أنا عارف النوع ده من التعاويذ.

رد "أحمد" بعصبية:

أنا بحاول أخرج الصورة دي من دماغي يا شيخ بلال، الرأي العام مش هيعترف بالتخاريف دي وما ينفعش إني أرد على سيادة اللواء وأقوله ده عمل وتعاويذ.

بصوت مرتفع رد الشيخ "بلال":

بس أنا مصر إنه عهد مع شيطان.. والنتيجة دايمًا بتكون الموت.. وبكرة تصدقوني، الورقة دي معناها موت ناس كتير من غير دليل، أنا عارف أنا بقول إيه.

طرق الباب ودلف الدكتور "سامي" إلى الحجرة وانضم إلى الجمع الأشبه بفريق بحث متعدد المواهب، ظهرت معالم الحيرة على وجهه وتردد كثيرًا في الإفصاح عن نتيجة تحليله الأخير وما توصل إليه فبادره "أحمد" قائلًا:

- اتفضل يا دكتور "سامي" قول.. دول الدكتور "جلال" طبيب نفسي والشيخ "بلال" كان بيحاول يتوصل للكلام على الدليل، وصلت لحاجة جديدة؟ آه يا "أحمد" بيه.. بس مش قادر أفهم لحد دلوقتي ده

حصل إزاي، أنا أول مرة أشوف سلاح ممكن يعمل الضرر ده بالشكل ده.

قال "فؤاد" متسائلًا بتوتر:

وضح أكتر يا دكتور "سامي" بعد إذنك.. إحنا مافيناش عقل تاني للتفكير.

نظر الطبيب الشرعي "سامي" إلى الصور الموضوعة على المكتب وأمسك واحدة بها شكل الضحية وهي ذبيحة وقال:

يا "فؤاد" بيه القاتل ده مش طبيعي، واستخدم سلاح مش مفهوم بكل عمري اللي قضيته في المهنة دي ما شوفتش زيه ولا قادر أحدد إيه ده، بس الضرر بتاعه هو اللي مجنِّني.

"أحمد" بنفاد صبر:

- إزاي يعني يا دكتور "سامي"؟ اشرح أكتر لو سمحت.

يا "أحمد" السلاح كان بيدبح ويكوي في نفس

الوقت.. وهو هو نفس السلاح اللي استخدم في سلخ الجلد.. ومافيش بني آدم بالقوة الكافية إنه ينزع الجلد مرة واحدة بالشكل ده وفي وقت واحد كأنه بيخلع هدوم من فوق حد في الوقت القليل ده.

ارتعشت يد الشيخ "بلال" وقال متسائلًا ومعالم الخوف على وجهه:

ممكن يا "أحمد" بيه تقول لي إيه اللي حصل بالظبط للست دي أو توريني صورة ليها؟

أمسك "أحمد" صورة للمجني عليها وأعطاها للشيخ "بلال" وقال:

"شاهندة" يا شيخ بلال ماتت مدبوحة بعد لما اتسلخ معظم جلد جسمها.. واترسم وراها نجمة سداسية بدمها على الحيطة.. وكل ده ما أخدش وقت طويل حسب تقرير الطب الشرعي.. يعني تم في أقل من 15 دقيقة.

أمسك الشيخ "بلال" الصور التي أعطاها له الرائد "أحمد" وأخذ يقلب فيها وهو في غاية الخوف، وظل يحملق في تلك النجمة حتى صرخ وقال:

لا لا، كده أنا متأكد إنه عهد شيطاني.. ودي من طقوس عبدة الشيطان.. واللي بيفشل بيكون نتيجته كده.. والمصيبة إني شاكك في حاجة لو صح هتبقى كارثة.

"فؤاد" صائحًا:

اتكلم يا شيخ "بلال" إحنا في عرض أي معلومة.

أخرج الشيخ "بلال" الورقة ورسم المربعات والكلمات التي تحويها على ورق كبير، ليظهر للجميع ورسم تلك النجمة السداسية ووضع فوق كل زاوية مربع وكلمة وقال:

لو افترضنا جدلًا وده كان صدفة إن النجمة دي سداسية.. وإن بالصدفة برضو دول 6 مربعات و6 كلمات، وكانت نتيجة المربع الأول والتاني والكلمة

الأولى والتانية شاهدة ومرفت.. وأكيد الباقي هيبقوا أسماء تانية.. فده معناه إن العهد ده في 6 ضحايا مشتركين اللي بيتمثلوا في الست زوايا ودي المصيبة.

نظر الجميع إلى بعضهم في صمت وشرود، وركز معظمهم على النجمة وزواياها وتلك المربعات والأسماء وصورة الضحية الأولى، وقطع تفكيرهم صوت هاتف المكتب يلح بشدة.. فرفعه "أحمد" مسرعًا، ودار حديث بينه وبين المتصل.. لتتغير معالم وجهه ويتعرق جبينه.. ويضع السماعة فجأة ويجلس كأن جسده فارق الحياة.. فتنبه له "فؤاد" وسأله:

في إيه يا "أحمد"؟ مالك؟ إيه اللي حصل؟

بصوت شاحب رد "أحمد" قائلًا:

في جريمة قتل حصلت من نص ساعة بنفس المواصفات والشكل لمرات رجل الأعمال المعروف"أكمل طاهر بسيوني"، وهو لسه مبلَّغ.. واتصلوا بيَّا عاوزين تفسير.. وكمان كلفوني أنا وأنت

يا "فؤاد" بالقضية؛ لأنها شبه اللي فاتت بالظبط، وبيقولوا إنه نفس القاتل.

سأل الطبيب النفسي "جلال":

طب الست دي اسمها إيه؟

رد "أحمد" بشرود:

اسمها "ميرفت محمود نور الدين" يا دكتور "جلال".. شكل كلامك هيطلع صح.

(3)

"الشيطان لا يشعر سوى بالنار التي تسري بين جوانبه، الشيطان لا يكترث لأي ألم يسببه، إنه حقًا لا يكترث بشيء إلا بالذي يطفئ ناره، لا تفقد تركيزك".

****

عدد كبير من سيارات الشرطة ورجال الأمن يحيطون بفيلا فاخرة بأحد الأحياء الراقية بالقاهرة الجديدة.. "فيلا أكمل طاهر بسيوني".. رجل الأعمال المعروف.. والذي قتلت زوجته "ميرفت محمود نور الدين" قبل عدة ساعات، الكل متواجد في موقع الجريمة التي تشابهت تمامًا مع الجريمة التي سبقتها، والتي كانت ضحيتها "شاهندة"، قتلت ذبيحة بعد أن سلخ معظم جلد جسدها ورسم على أحد جدران حجرتها نجمة سداسية الشكل بدمها، وهناك بيدها ورقة مشابهة لتلك السابقة، والكثير من الصور لها وهي تمارس طقوس الشعوذة وعبادة الشيطان كالتي وجدت مع الضحية الأولى.

ظهر غضب وتأثر رجل الأعمال "أكمل" الذي أوقف كل أعماله بالخارج وعاد سريعًا على خبر وفاة زوجته، حضر اللواء "عثمان حماد"، وهو من كلف الضابطين "أحمد" و"فؤاد" بمتابعة تلك القضية هي الأخرى لأنها مشابهة لسابقتها، أبدى تعازيه لأكمل وعرفه على ضابطي التحقيق، ثم شدد على سرعة التحقيق، وتركهم ورحل وسط صخب كبير من سيارات الحراسة من حوله، فهو يشغل مساعد وزير الداخلية وله ثقله المعروف به.

الجثمان يخرج مغطى ومحمولا أمام الضابطين، وتدلَّت من قبضتها ورقة وقعت أرضا متجعدة ومنكمشة من أثر الإمساك بها، تحرك "فؤاد" وحملها وهو ينظر إلى "أحمد" الذي بدا علية الجدية والعصبية المفرطة.

****

بعد مرور يومين، وفي جو ملبد بالغيوم السامة ومعبأ بالنيكوتين ليجعل الرؤية ضبابية والنفس ضيق، جلس

"أحمد" خلف مكتبه ممسكًا بتلك الورقة الشبيهة بسابقتها، ولكنها مختلفة في الكتابة، وجلس "فؤاد" مجاورًا له ممسكًا بملف الضحية الجديدة "مرفت محمود نور الدين" يتصفحة بعناية، وأمامهما الطبيب النفسي "جلال" يفكر بعمق وبيده صور للضحيتين المتشابهتين في طريقة القتل، ومن خلفة يقف الشيخ "بلال" الذي نقل محتوى الورقة الجديدة على لوح كبير ليحاول فك طلاسمه سريعًا، الوضع أشبه بكتيبة عمليات خاصة مكثت وتجمعت لحل لغز غير محدد الهوية، أهو قاتل محترف شديد الذكاء والخداع؟ أم أنه شيء آخر متعلق بالسحر والعالم الغيبي وعهد مع الشيطان قد أتى إلى عالمنا لينفذ انتقامًا ما ويعود أدراجه تاركًا الكثير من القتلى والفوضى العارمة؟ والاحتمالين متكافئين بشكل كبير، غير أن أقوال الشهود في قضية "شاهندة" الضحية الأولى ذكروا نشاطًا غير طبيعي حدث معهم، ما يجعل الكفة تميل نحو الاحتمال الثاني والأكثر خطورة، الجميع ينتظرون النتيجة التي سيتوصل لها الطبيب الشرعي "سامي" لعله يحصل على نتيجة مختلفة تلك المرة.

طرق الباب ودخل "موسى" يعلن عن وصول تقرير الطب الشرعي ومن خلفة دلف سريعًا الدكتور "سامي" مهرولًا ويبدو علية الفزع والاضطراب، جلس وأعطى "أحمد" التقرير الذي نظر ليجده مشابهًا لتقرير الضحية الأولى، ولكنه علم أن هناك أمرًا جديدًا يزعج الدكتور "سامي" فسأله:

التقرير هو هو نفس التقرير بتاع شاهندة يا دكتور سامي، ده معناه إن الملابسات واحدة وإن القاتل واحد، وإن كمان الجريمة اتنفذت بنفس السلاح ولنفس السبب.

أكد الطبيب الشرعي "سامي" على كلام "أحمد" ورد قائلًا:

صح يا أحمد باشا، التشابه يكاد يكون 100% بين الضحيتين في كل حاجة، ابتدا بسلخ معظم جلد الضحية وبعد كده دبحها بنفس السلاح الغريب اللي بيستخدمه، وكل ده كان في وقت ما يتعداش الـ15 دقيقة.

نظر له "أحمد" في تعجب وقال:

طب لما كل حاجة شبه بعض، والتقرير هو نفسه، أنا ليه شايفك متغير؟ حاسك خايف من حاجة أو مرهق.

نظر له "سامي" بعد شرود وقال:

أنا فعلًا أعصابى تعبانة شوية يا أحمد باشا.

تنبه الجميع لملامح الدكتور "سامي" المضطربة، وعرقه الذي بدأ يسيل رغم البرد القارس في ذلك الوقت من السنة، فتساءل "فؤاد" مسرعًا:

إيه اللي حصل يا دكتور سامي؟ في إيه؟

شرد "سامي" قليلًا جاحظ العينين، وعاد إلى رشده وهو يقول:

أنا اتعرضت لحاجة غريبة ما شوفتهاش طول حياتي في المجال ده، أنا بجد بافكر جديًّا إني أبعد تمامًا عن الشغل الفترة الجاية، حاجة حصلت مع الضحية الأولى بس المرة دي كانت مفزعة أكتر يا فؤاد باشا، الجثتين

دول كان فيهم حاجة غريبة وأنا بشرَّحهم بسمع أصوات وبحس إن في حد معايا وقت التشريح، بسمع صراخهم وتعذيبهم، بسمع صوتهم بيترجُّوا حد معين، بيعيطوا، باحس بيهم بيقولوا لي كفاية تقطيع في جسمنا، أنا بجد حاسس إني تعبان ومحتاج أبعد.

لفت ذلك الكلام انتباه الشيخ "بلال" فاقترب من الدكتور "سامي" وقال متسائلًا:

طب إيه اللي أنت شوفته المرة دي غير المرة اللي فاتت يا دكتور سامي؟

ابتسم "سامي" بغرابة كأن عقله قد شت، وقال:

يا شيخ بلال المرة اللي فاتت وأنا بشرَّح في جثة "شاهندة" كان في أصوات كتير وإحساس بحد موجود وبس، لكن المرة دي الجثة بتاعت "ميرفت" فتحت عينها وبصتلي، أنا جت عيني في عينها وحسيتها لسه عايشة، بس بعد كده غمضت تاني.

كانت كلمات كالرصاص الذي يطلق من مسافة قريبة ليحدث أكبر ضرر في الجسد، جعلت الجميع يرتعدون ويشعرون فجأة ببرودة الجو، أو هكذا تهيأ لهم، ترك "جلال" صور الضحايا ووقف وقال إنه في حالة لا تسمح له بالبقاء الآن ورحل، بينما جلس البقية يتبادلون النظرات في خوف وترقب لتلك الرسومات على اللوحة التى رسمها الشيخ بلال، وظل يحاول فكها وفهم ما تحوية هي الأخرى.

****

داخل استوديو تصوير تتحرك فتاة في منتصف العقد الثالث من العمر "صاحبة بشرة قمحية لامعة، وشعر أسود داكن، يضفي المزيد من اللمعان على الوجه ككل، وجسد أنثوي ممتلئ بعض الشيء ترتدي بنطلونًا أسود وبلوزة زرقاء، مع كرافتة صغيرة سوداء"، اتجهت إلى مكان المذيعة خلف مكتب عليه بعض الأوراق واقترب أحدهم كي يعلق لها "مايك" الصوت، ومع عد تنازلي انتهى بـ"اتفضلي يا أستاذة نرمين".. بدأت قائلة: "أهلًا بيكم في حلقة جديدة من برنامج كشف المحظور،

واللي هتكون مختلفة عن سياسة الحلقات اللي فاتت كلها، وده لأن في حد كان المفروض هيكون موجود معانا النهارده ويكشف ملف خطير جدًّا عن تجارة الأعضاء البشرية، وعن اسم بيعتبر إنه من رواد تلك التجارة الحقيرة في مصر.. بس للأسف الشخص ده اتقتل امبارح في بيته وسط غموض وتكتم من أجهزة الأمن، وده لأن الضحية دي تبقى الفقيدة "ميرفت محمود نور الدين"، زوجة رجل الأعمال الناجح "أكمل طاهر بسيوني"، "ميرفت" كانت اتواصلت معايا من فترة قريبة جدًّا وقالت إن معاها ملفات مهمة لتورط رجال أعمال معروفين على الساحة في مجال تجارة الأعضاء البشرية، لكنها للأسف ما قالتش هما مين، وكانت حابَّة إنها تحضر وتكشفهم بالمستندات والصور وأمام الملايين من المتابعين، طبعًا أنا بعزي شخصيًّا زوجها الأستاذ "أكمل"، وبأمل أن أجهزة الأمن تصل سريعًا للقاتل وتجيب حقها".

بعد انتهاء فقرات الحلقة وخروجها من الاستوديو أصدر هاتف"نرمين" اهتزازًا ينبئ عن اتصال من

صاحب القناة التي تعمل بها، فأجابت:

يا مساء الفل يا أستاذ "وجيه".. إيه رأيك في حلقة النهارده؟

جاء صوت "وجيه" بعصبية أب على ابنته:

زفت يا نرمين، إيه اللي إنتي هببتيه ده؟ إنتي عاوزة تحبسي نفسك ولا تموتي نفسك؟

ردت "نرمين" في ثقة:

يا أستاذ وجيه، أنا قلت كده لأن في فعلًا مستندات تحت إيدي، أنا مش عبيطة عشان أدبِّس نفسي مع ناس زي دي، كل اللي ناقصني بس ظرف "مرفت" كانت باعتاه لي نسخة من المستندات اللي كانت معاها، هستلمه وهيكون فيه كل حاجة، وهعرف مين اللي ورا موتها كمان.

هدأ صوت "وجيه" وقال:

طمنتيني، إنتي عارفة إنك زي بنتي وإن أبوكي كان صديقي من وقت الطفولة، أنا بس خايف عليكي وأنتي فاتحة النار على الكل كده وبتلعبي مع الكبار.

ابتسمت "نرمين" وقالت:

ما تخافش على بنتك.. أنا قدها.. وبعدين أنا مؤمنة برسالتي ومش هسيبها إلا لما أموت أو أتقتل.

ابتسم "وجيه" وقال:

- المهم بس خلي بالك من نفسك.. ولو عاوزاني أعين لك حراسة قولي لي. ما اتحرمش منك.. أنا زي الفل.. ما تخافش عليا، بنتك بطل.

ثم أغلقت الهاتف واتجهت إلى سيارتها وأدارت المحرك وانطلقت مسرعة.

****

أفاق الجميع على طرق ثم دخول "موسى" ليخبر بوصول الشهود لأخذ أقوالهم وبداية التحقيقات، مسح

"أحمد" على رأسه في إرهاق وقال للعسكري:

قول لهم إن التحقيقات هتبدأ كمان 10 دقائق.

ثم نظر إلى الموجودين "فؤاد، سامي، بلال"، وقال:

قوم يا فؤاد ظبط حالك كده واغسل وشك.. وأنت يا دكتور سامي روح وحاول تاخد إجازة أسبوع أو اتنين وهتبقى زي الفل.. ولو احتجنالك هنكلمك.. ويا شيخ بلال ما تروحش.. اخرج استنى لما التحقيقات تخلص عشان نشوف حكاية الورقتين دول إيه.. وحاول تسعفنا في الوقت الله يكرمك وتفكلنا مربع ولا كلمة من دول.

وقف "فؤاد" فور سماعه ذلك الكلام وتوجه ليغتسل.. بينما وقف الطبيب "سامي" متخبطًا كالمخمور وخرج من دون إبداء كلام وهو في وضع سيئ للغاية، وخرج متمتمًا، واتجه الشيخ "بلال" ليغطي اللوحات وخرج مسبحًا على مسبحته.

بعد أقل من ربع ساعة بدأ الشهود في الدخول وسماع أقوالهم التي لم تفد الضابطين بشيء، مرورًا بإحدى العاملات بالفيلا والجناينى وأقارب الضحية، حتى أتى الدور على رئيس الحرس الخاص بحراسة الفيلا، دخل شاب "طويل القامة، قوي البنية، أبيض البشرة، حليق الذقن، ومصفف الشعر، ويرتدي بذلة سوداء"، جلس أمام الضابطين وبدأ "أحمد" قائلًا:

اسمك وسنك ووظيفتك؟

رد الشاب في ثقة:

اسمى إبراهيم فرحات، 32 سنة، وأنا رئيس الحرس الخاص بحراسة الفيلا يا فندم.

قال "أحمد" بنوع من العصبية غير المباشرة:

كنت فين وقت الحادثة يا إبراهيم؟ ومين اللي اكتشف الجريمة؟ واحكي لي كمان إيه اللي حصل في اليوم ده؟

ارتبك "إبراهيم" قليلًا وقال:

وقت الحادثة يا فندم أنا كنت موجود بمكتبي على بوابة الفيلا، وسمعنا صرخة فجأة، فسبت حد لحراسة البوابة وروحت، ولقيت "ميرفت هانم" ميتة بالشكل البشع ده، فبلغت "أكمل" باشا، وكمان بلغت الشرطة، بس هو ده كل اللي حصل.

اشعل "أحمد" سيجارة وأخرج أخرى وقال متسائلًا:

يعني ماحدش دخل ولا خرج من قصادك اليوم ده نهائي؟

رد "إبراهيم" وهو ينظر إلى السيجارة:

حضرتك أنا بقالي 4 سنين مع أكمل باشا ومافيش هفوة ممكن تعدي لا مني ولا من الرجالة.

أعطى "أحمد" السيجارة لـ"إبراهيم" وأشعلها له وقال:

أنت متأكد إنك متمكن من وظيفتك بعد اللي حصل ده يا إبراهيم؟

نظر "إبراهيم" في ثقة وقال:

حضرتك أنا بعمل شغلي.. وشغلي مافيهوش أي نسبة للخطأ.

ابتسم "أحمد" بسخرية..

- وأهو حصل أهو.. وماتت اللي المفروض بتحرسها. حضرتك ممكن تراجع الفيديو وتقدر تتأكد بنفسك إن مافيش حد دخل الفيلا ولا خرج يومها نهائي.

تدخل "فؤاد" وقال:

- كويس.. وفين الفيديو ده؟ معاك؟ لا مع أكمل باشا.. هو بس اللي يقدر يطلع ويشوف كل الفيديوهات وإحنا لا، ولو كان شاف حد دخل أو خرج كان زمانه موِّتني شخصيًا.. عشان كده أنا أكيد من كلامي.

ابتسم "أحمد" وقال:

تمام يا إبراهيم.. في حاجة تاني عاوز تضيفها؟

بثقة رد "إبراهيم":

- لا يا فندم.. حضرتك محتاج مني حاجة تاني؟ لا يا إبراهيم مع السلامة.

خرج ذلك الشاب المليء بالعضلات والثقة، ودخل بعده "أكمل" زوج الضحية الثانية "مرفت"، فوقف الضابطان وسلما عليه، ثم جلس وجلسا من بعده، وبدأ التحقيق من قبل "أحمد" قائلًا:

مبدئيًا بعزي حضرتك في زوجتك.. وبأكد لك إننا هنوصل قريب أوي للقاتل.. بس هنسأل حضرتك كام سؤال وبس.

نظر "أكمل" بغضب وحيرة إلى الضابطين، وأخرج "cd" ووضعه أمامهما وقال:

ما اعتقدش إن لما تشوفوا السي دي ده هتبقوا عاوزين تسألوني، أنا اللي باسألكم إيه ده؟ لما تشوفوا الفيديو اللي صورته الكاميرات إبقوا فهموني إيه ده؟

ثم وقف وخرج متأثرًا حزينًا، وقبل أن يخرج نظر للضابطين في خوف وعلى وجهه علامات فزع وتعجب، نظر "أحمد" و"فؤاد" إلى الـ"cd" في عدم فهم، ووضعا أيديهما على رأسيهما في إرهاق.

(4)

"اجتمع فيما مضى جنسان على الأرض، أقدمهما كان بغيضًا حقودًا، والحديث جاهلًا عنيدًا، وعندما تلاقيا تعلَّم الأول من الثاني الجهل، واكتسب الأخير من الأول الحقد، وصار هناك نوع ثالث أشد خطرًا من الجهل والحقد، استمر معي فلم نبدأ بعد".

****

صراخ لسيدة تظهر في حالة من الخوف والذعر وهي تهرول وتقع عدة مرات ثم تقف من جديد، وهي تستنجد وتتوسل لشيء غير واضح في الصورة، تتلقى ضربة لترتمي بعيدًا محدثة صراخًا مكتومًا والدماء تسيل من فمها، تنظر إلى شيء وتتوسل له، شيء لا يظهر داخل هذا المقطع وعلى أكثر من كاميرا رصدت ذلك الحادث، ثم فجأة تفقد الوعي ويبدأ جلدها بالذوبان والسلخ، ثم ترفع في الهواء وتذبح من شيء خفي، ويسيل بعض من دمائها ليرسم على

الحائط نجمة سداسية، ثم تدس ورقة في يدها وينتهي كل شيء.

أفواه فاغرة من الضابطين "أحمد" و"فؤاد"، بينما أخذ الشيخ "بلال" يتمتم بآيات كلما أعاد أحدهما المقطع للمراجعة حتى قال الشيخ "بلال":

أعوذ بالله من غضب الله، أعوذ بالله من شر ما خلق، كل حد بيشيل شيلته.

انفعل "أحمد" وقال بصوت مرتفع:

إيه معنى اللي إحنا شفناه ده؟ دي مصيبة، نقول إيه؟ ونعرضها إزاي على القيادات والرأي العام؟

قال "فؤاد" مهدئًا:

إهدا بس يا أحمد لما نشوف هنعمل إيه، أنا مش مصدق اللي أنا شوفته، ده فوق الوهم بمراحل، أنا حاسس إن دماغي مش مستوعبة.

استعاد "أحمد" تركيزه وقال:

فؤاد.. أنت تاخد السي دي ده وتوديه للمعمل الجنائي يشوفوا في أي مؤثرات أو مفبرك ولا سليم، ويردوا علينا في أسرع وقت.. وأنت يا شيخ "بلال" وصلت لحاجة جديدة ولا لسه؟

قال الشيخ "بلال" وهو ينظر إلى الورق الذي أمامه:

أنا بدأت أفك المربع الثالث في الورقة الأولى، وكمان فكيت المربع الأول في الورقة التانية.

رد "أحمد" مسرعًا:

طب إيه الأخبار؟

نظر له الشيخ "بلال" ومعالم الإرهاق على وجهه، وقال:

إديني بس ساعة ولا حاجة أراجع اللي عملته وأقولكم على كل حاجة.

حرك "أحمد" رأسه بالموافقة وأكمل قائلًا:

طب أنت تقعد هنا ما تتحركش.. واطلب أكل على حسابي وخش خد دش لو عاوز.. ونام شوية.. وأنا هاخرج أروح لبيتي أغير وآخد دش وأرجع لكم، وأنت يا فؤاد اعمل اللي قلت لك عليه حالًا وروَّح كل وغيَّر وتعالى نتقابل على الساعة 8 أنا وأنت في مكتب "أكمل طاهر".. أنا كلمته وأخدت منه ميعاد.

ثم تفرق الجميع، بينما ظل الشيخ "بلال" ممسكًا بورقة ويدون بها بعض الملاحظات وهو ينظر إلى المربعات المرسومة على اللوحة الكبيرة ويتمتم.

****

وسط الأبخرة المتصاعدة من المياه الساخنة يسترخي "أحمد" بجسده المرهق وعقله المشتت في أحداث القضيتين وتفاصيلهما الغريبة، يستمع إلى موسيقى هادئة يحب سماعها وقت استرخائه ويغمض عينيه، يتذكر الضحيتين وأشكالهما بعد سلخ جلودهما فيفتح عينيه في فزع، ثم يحاول إغماضهما مرة أخرى ليدق الباب ويأتي صوت أنثوي جذاب من الخارج قائلًا:

أحمد أنت جوه؟

يفيق "أحمد" من شروده ويرد قائلًا:

أيوة يا حبيبتي أنا هنا.. تعالي.

يأتيه الصوت من الخارج:

- لا أنا هستناك بره عشان عاوزاك، عاوزة أتكلم معاك.
حاضر.. أنا هاخرج حالًا.

يقطع استرخاءه ويرتدي الروب ويخرج وهو يجفف شعره الناعم، ليجد زوجته وابنة عمه "فريدة"، وهي شابة في العقد الثاني من العمر، طويلة الجسد، ذات بشرة بيضاء وشعر أقرب إلى الاحمرار، جالسة في حجرة النوم وهي ممسكة ببعض الأوراق ودامعة العينين، يتنبه "أحمد" لذلك، فيقترب منها ويقول:

في إيه يا فريدة؟ مالك؟ وإيه الورق ده؟

تنظر له بعين مكسورة وتبكي وهي تقول:

دي نتيجة التحاليل الأخيرة بتاعتنا يا أحمد.

يقترب منها ويجلس بجانبها على الفراش..

طب وبتعيطي ليه؟ الدكتور قال لك إيه؟

تجيبه في أسى:

زي اللي قبله يا أحمد.. أنا عمري ما هاخلِّف ومافيش أمل ولا عملية ممكن تخلي في أمل.

احتضنها "أحمد" بقوة وهمس في أذنها قائلًا:

طب وإيه المشكلة؟ أهو يبقى دلع لحد آخر العمر، تعرفي.. أنا أصلا مش عاوز أخلف.

تنظر له "فريدة" بعين دامعة..

بس أنا عاوزة يا أحمد.

يضمها "أحمد" أكثر إلى صدره ويقول:

يا حبيبتي ده قدر ربنا، لازم نرضى بيه ونعيش حياتنا، شوفي عاوزة تسافري فين وأنا أوديكي بس بعد لما أخلص الشغل اللي ورايا.

يمسح دموعها بيده فتبتسم وتقول:

عارف يا أحمد، أنا كل يوم بحسد نفسي على حبك ده.. وبافتكر قد إيه كنت غبية لما بعدت عنك زمان وروحت لبني آدم زبالة باعني وكان عاوز نفوذ بابا، أنا آسفة إني مش قادرة أسعدك وأجيبلك طفل.. وإني كمان بعدت عنك زمان، أنا باحبك يا أحمد.

ينظر إلى عينيها ويبتسم..

وأنا كمان، وما تفكريش كتير، اللي عدى ننساه عشان اللي جاي أحسن بكتير.

قالها وهو مبتسم دامع العينين وضمها أكثر إلى حضنه.

****

داخل مكتب فخم الأثاث ذي الطراز الحديث باهظ الثمن، وتلك اللوحات غاية في الجمال، وهناك التحف الفنية التي لا تقدَّر بثمن فتدل إما على ذوق صاحب المكان وفن اقتنائه للأشياء الجميلة، وإما على رجل يملك من المال ما يكفي لسداد ديون دولة.

حضر "أحمد" و"فؤاد" وانتظرا لبعض الوقت حتى حضر "أكمل"، وجلسوا معًا، وبدأ الحوار في التحقيقات وما توصل إليه فريق البحث الجنائي.. حتى وصلت الجلسة إلى سؤال "فؤاد"..

طب حضرتك بتشك في حد معين يا "أكمل" باشا ممكن يكون القاتل؟ يعني حضرتك شخصية ناجحة فممكن يكون ليك أعداء.

يضع "أكمل" سيجارًا في فمه وقبل أن يشعله يرد قائلًا:

يا فؤاد باشا أنا زي ما عندي أعداء عندي حراسة في كل مكان، هو حضرتك ما شوفتش الفيديو ولا إيه؟

يرد "أحمد" مهدئًا لـ"أكمل":

شفناه يا باشا.. ومستغربين الموضوع.. وبعتناه المعمل الجنائي عشان يكشف عليه، طب حضرتك ما لاحظتش إن مدام "مرفت" كانت متغيرة ولا حاجة قبل مقتلها؟

يشعل "اكمل" السيجار ثم يضع قدمًا فوق الأخرى ويقول:

أحمد باشا أنا راجل عملي.. والأمور الإنسانية دي خاصة بيا.. بس اللي أقدر أقوله إن "مرفت" كانت بتمر بظروف نفسية وحشة من 3 شهور تقريبًا.. لما واحدة من أعز أصحابها ماتت في حادثة.. وكانت بتحضر جلسات تحضير أرواح وتسألها وكلام زي كده، أنا ما بعترفش غير باللي عيني تشوفه وأنا شوفت الفيديو ده وعاوز تفسير منكم، إيه رأيكم؟

رد "فؤاد" بطريقة بديهية وقال:

أنا شايف إننا لازم نتعامل مع الموضوع بجدية وما نستبعدش أي حاجة زي اللي ظهرت في الفيديو، والجريمة اللي من النوع ده متكررة في أكتر من بلد بس بتتدارى.

تظهر ملامح العصبية على "أحمد"..

تاني يا فؤاد هتقول لي احتمال الدجل والشعوذة والشياطين، إحنا اتكلمنا في الموضوع ده قبل كده واستبعدناه.

"فؤاد" مجادلًا..

طب وتفسر بإيه الفيديو ده يا أحمد؟

بعصبية أكتر يرد "أحمد":

الفيديو لسه في المعمل وما ثبتش صحته يا فؤاد.

"أكمل" مقاطعًا الجدل الذي لا يفيده ويضيع من وقته وقال:

طيب أنا في انتظار الرد من حضراتكم.. وأتمنى إنكم تكونوا عارفين شغلكم وعارفين إزاي تتعاملوا مع المواضيع دي، أنا باعتذر بس عشان عندي شغل كتير، إنتم عارفين أنا رجل بيزنس والبيزنس ما بيستناش حد.

وقف الضابطان وسلما على "أكمل" وخرجا إلى سيارتهما وتوجها إلى مكتب التحقيقات ليعلما المستجدات من المعمل الجنائي ومن الشيخ "بلال" ما توصلوا إليه.

****

مع اقتراب منتصف الليل واستمرار انخفاض درجات الحرارة ليعم الصقيع داخليًا وخارجيًا، دخل الضابطان إلى مكتب التحقيقات ليجدا تقرير المعمل الجنائي الخاص بـ"فيديو الضحية الثانية" والشيخ "بلال" نائم على أحد الكراسي وتنبه فور غلق الباب.

أمسك "أحمد" سريعًا بالتقرير وقرأه ثم ألقاه على المكتب وهو ينفخ في حنق وريبة، ليمسكه "فؤاد"

ويعيد قراءته سريعًا، ثم ينظر إلى أحمد في تحدٍّ وقال:

يعني إيه يا فؤاد؟ عفاريت وشياطين سارحين في البلد وقتلوا اتنين؟

"فؤاد" بلهجة المنتصر..

عندك تفسير تاني يا أحمد؟

ينظر "أحمد" إلى الشيخ "بلال" الذي أفاق لتوه..

لا، يا شيخ بلال وصلت لحاجة في الورقتين؟

وقف الشيخ "بلال" فور سماعه السؤال واتجه إلى اللوحة وقال:

وصلت لحاجات يا أحمد بيه مش حاجة واحدة.

بلهفة جلس "أحمد" خلف مكتبه وأخرج علبة السجائر..

كويس.. قولنا طيب مستني إيه؟

نظر الشيخ "بلال" إلى اللوحة وقال وهو يشير:

الورقة الأولى كان فيها اسم الضحية الأول يعني "شاهندة"، "ميرفت"... الورقة التانية بتحتوي اسم الأب.

تعجَّب "فؤاد" واتجه إلى اللوحة وأشار إلى الرسومات وقال متسائلًا:

ثواني كده فهِّمنا أكتر يا شيخ بلال؟

رد الشيخ "بلال":

يعني يا فؤاد بيه الورقة الأولى اللي كانت في إيد الضحية "شاهندة" كان فيها ست مربعات.. أول مربعين كان اسم "شاهندة" و"مرفت".. والورقة التانية كانت فيها برضة 6 مربعات.. ولما فكيت أول مربعين لقيت اسم الأب للضحيتين "السيوفي"، "محمود" ولو جمعناهم هنلاقي إن الورقتين معناهم أسماء اللي ماتوا واللي الدور جاي عليهم.

أشعل "أحمد" سيجارة وقال:

أنت تقصد إن الورقتين ليهم علاقة ببعض، مكملين وبيدلونا على أسامى الضحايا؟ طب ومستني إيه؟ المربع التالت فكيته؟

توجه الشيخ بلال وبدأ يرسم على اللوحة وقال:

أيوة يا أحمد بيه، الضحية الجديدة في الورقة الألى اسمها.. اسمها "نوال"، وفي الورقة التانية اسم أبوها "حامد"، يعني الضحية التالتة اسمها "نوال حامد" يا أحمد بيه.

وضع "أحمد" يده على رأسه وكاد يمزع شعره من الغضب، ثم قال سريعًا:

فؤاد.. بسرعة وحياة أبوك.. اعملنا استعلام وحصر عن كل اللي اسمهم "نوال حامد".. ويا رب يطلعوا عدد قليل عشان نقدر نحميهم.

ظهر الخوف على وجهه الشيخ بلال وقال بصوت مكتوم:

مش هتلحق يا أحمد بيه؟

في قلق نظر "أحمد" إلى الشيخ "بلال"..

ليه يا شيخ بلال؟ ليه مش هنلحق؟ ليه؟

تحرك "بلال" حتى وقف أمام الصور المعلقة وقال:

لأن اللي في الورق ده تحدي لينا من الشياطين، وأنت مش هتقدر على شيطان ليه عهد مع الضحية.

بعصبية "أحمد" قال:

كفاية يا شيخ بلال، كفاية، قوم يا فؤاد بسرعة قبل المصيبة ما تحصل والدنيا تطربق فوق نفوخنا في قضية تالتة وتبقى فضيحة وكارثة.

وقف "فؤاد" مسرعًا وأشار برأسه على الموافقة، واتجه ناحية الباب ووضع يده على مقبض الباب ومعها رن

هاتف المكتب ليتسمَّر الجميع في مكانهم، نظر "أحمد" إلى "فؤاد" الذي استدار ببطء، ووجه نظرة إلى الشيخ "بلال" الذي أغمض عينيه في خيبة أمل، ارتعشت يد "أحمد" قبل أن يرفع السماعة ليتلقى المكالمة ويستمع بحرص، وبدأ العرق يتصبَّب منه، ثم وضع يده على وجهه وقال:

حاضر يا فندم، حاضر، هنتحرك حالًا.

ثم أغلق الهاتف وهو ينظر إلى أعلى في ضيق، وعيناه متسعتين، من ثم أغمضها لثوانٍ، وفتحها موجهًا نظره إلى الشيخ بلال وقال:

الضحية التالتة اسمها "نوال حامد الشافعي" يا شيخ بلال، جريمة قتل تالتة يا فؤاد، يلا بينا.. وأنت كمان يا شيخ بلال تعالى معانا.

****

جسد ضخم يقف في غرفه شبه مظلمة، وقطرات الدم تتساقط من سلاح ما يمسك به في قوة وهو ينظر

إليه بعين لامعة، وهناك حوض استحمام مملوء بمياه تتصاعد منها الأبخرة، ألقى بنفسه داخل الحوض، ومعها أطلق صرخة عالية تدل على ألم، وبعدها صمت كل شيء لينشر الدم لونه السادي على سطح الماء الساخن، راسمًا لوحة من الغضب والكثير من الألم.

****

مع وصول الضابطين "أحمد" و"فؤاد" والشيخ "بلال"، الذي تفاجأ من الكم الهائل من سيارات الشرطة ورجال المباحث وفريق الأدلة الجنائية داخل موقع الحادث، في بيت ما بأحد أحياء مصر القديمة، وداخل غرفة عالية الجدران، وفي منتصف الغرفة يقبع جسد الضحية الثالثة، مذبوحة بوحشية وقد سلخ معظم جلد جسدها بقسوة أكبر من الضحيتين السابقتين، وهناك تلك النجمة السداسية من خلفها مرسومة على الحائط بوضوح من دمائها، ولم يكن هذا ما يبحث عنه الضابطان والشيخ، بل كان كل ما يريدونه تلك الورقة الشبيهة ممزقة بيد الضحية الثالثة "نوال"، وعندما رأوها ثلاثتهم نظروا إلى بعضهم، وابتلع "أحمد" ريقه

في فزع وترقب لما تحوية تلك الورقة وما يحدث مع أولئك الضحايا قبل قتلهم بتلك الطريقة غير المعتادة.

تجول الضابطان داخل الشقة بحثًا عن أي شيء يمكن أن يدل على مرتكب تلك الجرائم، فبكل تأكيد ليس هناك جريمة واحدة كاملة، ونحن الآن بصدد ثلاث جرائم كاملة، ولم يسبق أن حدث شيء مماثل.

ظل الشيخ "بلال" ينظر إلى عين الضحية، وأحس أنها لا زالت تتنفس أو هكذا هيئ له، فاقترب منها وهو ما زال ينظر وعيناه بدأت تذرف الدموع، عين الجثة تحركت قليلًا تبحث عن أحد أو تبحث عن شيء حتى وجدته، تعجب واقترب أكثر محاولًا أن يساعدها أو يسمع شيئًا ما يؤكد له أنه على حق، ارتعد جسد الشيخ "بلال" من يد وضعت على ظهره من أحد رجال المباحث، وهو يقول له:

ما تعديش الشريط لو سمحت.

أعاد النظر إلى الجثة فوجدها هامدة مغلقة العينين، ولكنه ظل ينظر إلى زوايا الحجرة بخوف وهو يتمتم ببعض الكلمات، وأحس بمن ينادي علية باسمه.

سحب تلك الورقة أحد أفراد الأدلة الجنائية ووضعها بكيس عازل ثم وضعها داخل حقيبة خاصة بجمع الأدلة، ومع انغلاق الحقيبة خرج الثلاثة متجهين إلى مكتب التحقيقات في انتظار ما تسفر عنه الأدلة والطبيب الشرعي، وما تحويه الورقة عندما تصل لهم، وبدأ الشيخ "بلال" في فك بقية المربعات في الورقتين السابقتين، بينما اتصل "فؤاد" بالطبيب النفسي "جلال" لحاجتهم الملحة لتفسير جانب القاتل النفسي ودوافعه.

(5)

"لا يكتمل العهد الشيطاني إلا بوجود إنسان وشيطان، وفي بعض الأحوال يظل الشيطان مشاهدًا فقط لما يحدث".

****

في صباح اليوم التالي...

اجتمع الضابطان "أحمد" و"فؤاد"، وأمامهما الطبيب النفسي "جلال"، الذي ظل يفحص التقارير الخاصة بالثلاث ضحايا ويدوِّن داخل مدونة خاصة بة في تركيز شديد، بينما ظل الشيخ "بلال" يمسح عرق وجهه رغم البرودة مع كل مربع يفك طلاسمه ويتوصل إلى شيء جديد، ثم يدون ما توصل له على أكبر لوحة، لتبدو أسماء الضحايا ظاهرة أمام الجميع، وقد كتب عليها بالترتيب من أعلى لأسفل: "الضحية الأولى شاهندة السيوفي، الضحية الثانية ميرفت محمود، الضحية الثالثة نوال حامد، وأخيرًا كتب اسم جديد نرمين صلاح".

نظر "أحمد" إلى ذلك الاسم الجديد، وقال بنبرة مهزومة وهو يشعل آخر سيجارة في علبته فيسحبها ويضم قبضته على العلبة ثم يلقيها بعيدًا في غل:

نرمين صلاح؟ ودي تطلع مين دي كمان؟ إيه لعبة السلم والتعبان دي؟ أنا هاتجنن.

قال "فؤاد" مهدئًا:

اهدا بس يا أحمد وإن شاء الله الورقة التالتة اللي هتوصل مع التقرير الطبى تساعدنا في حل اللغز ده.

احمرَّ وجه "أحمد" واحتدَّ صوته مع خروج دخان السجائر في وجه "فؤاد" الذي يُحسد على هدوئه..

أهدا إيه يا فؤاد! القاتل شغال يدبح يمين وشمال وإحنا قاعدين هنا نلعب كلمات متقاطعة، والرأي العام هيشنقنا قريب، إحنا قصاد القيادات يا باشا فاشلين.

بانفعال يرد "فؤاد":

وأنت يا أحمد مش عارف إنهم لو حاسين بتقصير من ناحيتنا كانوا سابونا ده كله؟ هما عارفين إننا بنواجه قضية ما حصلتش قبل كده زيَّها، وخصوصًا مع الفيديو الجديد ده.

يهدأ "أحمد" ويخرج سلاحه الناري ويضعه أمامه في غل.

كلامك صح يا فؤاد، بس أنا هتجنن من اللي بيحصل ده، إزاي حد قادر يقتل تلاتة في بيوتهم ويسيب دليل وفي وقت قصير كده، والدليل ده عشان يوصَّلنا لنقطة معينة.. ونفضل عندها لحد لما يوصل هو للضحية الجديدة ويتابعنا في فرح ونشوة الانتصار.. ولا إيه رأيك يا دكتور "جلال"؟ ساكت ليه؟

ينظر "جلال" إلى الصور والتقارير ثم يجيب بهدوء:

أنا يا أحمد باشا باحاول أوصل لنقطة واحدة توصلنا لشخص القاتل، نقطة ضعف، نقطة مشتركة في الضحايا كلهم عشان كده قتلهم، دليل واحد منطقي هو

بيتبعة باستمرار، مش لاقي لحد دلوقتي غير حاجة واحدة بس شاكك فيها.. لكن هي مش مقبولة بالنسبة لي.. وده لأن التلات ضحايا مفيش بينهم أي علاقة صريحة لا من قريب ولا من بعيد.. ويمكن ماحدش فيهم قابل التاني حتى لو صدفة، وطريقة القتل كمان سادية لأبعد الحدود، القاتل ده عنده دوافعه اللي لسه ماحدش فينا قادر يوصلها، ومحترف ودقيق، وكمان في حاجة ملحوظة تخلينا نتأكد إنه سليم عقليًا لكنه مريض نفسيًا، وهو إنه بيحاول يخلينا نمشي في طريق بعيد جدًا عن طريقه، مضلِّل لأقصى درجة، وشكاك جدًا، وفضل فترة مش قليلة يدبر للجرائم دي، وليه أسبابه.

مسح "أحمد" على وجهه وقال:

يعني إحنا بنلف في دايرة مقفولة يا دكتور ومش بإيدينا حاجة غير وصول الورقة التالتة واللي من خلالها هنشوف المفاجأة الجديدة اللي عقبال ما نوصلها هيكون خلَّص هو على الضحية الجديدة، الضحية الرابعة.

رد "فؤاد" نيابة عن "جلال":

شكلها فعلًا كده يا أحمد، مفيش بإيدينا غير الانتظار.

مع انتهاء تلك الجملة من "فؤاد" طرق الباب ودخل مسرعًا الطبيب الشرعي "سامي" في حالة مزرية، ويبدو أنه يهزي بكلمات غير مفهومة، ترك التقرير بعين زائغة ومن ثم التفت وأراد الخروج، وسرعان ما استوقفه "أحمد" وأجلسه، وبعدها دخل شخص ترك الورقة الجديدة أمام الضابطين فاتجه الشيخ "بلال" سريعًا إليها، وأخذ ينقلها على اللوحة، وبدأ فكها مسرعًا، نظر "أحمد" إلى الطبيب "سامي" المغيب جزئيًا وقال:

مالك يا دكتور سامي؟ شكلك تعبان أوي.

لم يتلقَّ إجابة، فرفع صوته ليخرج الطبيب "سامي" من غيبوبته ورد بهمهمة، فقال فؤاد:

مالك يا دكتور سامي؟ شكلك فعلًا تعبان.

بنظرات متقلبة وفم يلهث رد "سامي":

أنا مش عارف إيه اللي بيحصل لي يا جماعة، أنا باشوف حاجات غريبة بتحصل معايا وفي كل مكان.

توقف الشيخ "بلال" مع تلك الكلمات واقترب من "سامي" قائلًا:

حاجات زي إيه يا دكتور سامي؟

نظر "سامي" إلى "بلال" كأنه وجد طوق نجاته وقال:

شيخ بلال! كويس إنك هنا، حاول تفسر لي اللي بيحصل.

ربت "بلال" على كتفه وقال:

اهدا كده وقل لي إيه اللي بيحصل معاك؟

ابتلع "سامي" ريقه بصعوبة وقال:

أنا باشوفهم في كل مكان، عاوزين يوصَّلوا لي حاجة، عاوزين يموتوني، عاوزين يشرَّحوني زي ما شرحتهم،

بس ده شغلي، الست الأخيرة اللي اسمها "نوال".. الست دي كانت مضروبة قبل دبحها، عضمها مكسر كله، أنا أعتقد إنها اتعذبت أكتر من الاتنين اللي قبل كده، عضمها بودرة، وفي أجزاء في لحمها متقطع، ده كان انتقام صريح.

"فؤاد" محاولًا تهدئة "سامي"..

بس أنت المفروض متعود على كده يا دكتور، إيه الجديد؟

نظر "سامي" بخوف وقال:

يا فؤاد بيه الجديد إن الست دي مسكت إيدي وأنا باشرَّحها، وحسيت إن لسه فيها الروح، فلت إيدي بالعافية وحاولت أهرب، بصيت في انعكاس المراية وأنا خارج لقيتها واقفة ورايا، ولما لفيت لقيتها نايمة مكانها، أنا إيه اللي بيحصل معايا ده يا شيخ بلال؟

نظر "بلال" إلى "أحمد" ثم إلى "سامي" وقال:

أنا لازم أصارحك أكتر يا دكتور سامي، بعد إذنك يا أحمد باشا، أنا شايف إن الناس دي ماتت مقتولة من الشياطين بسبب عهد معاهم، في بينهم وبين الشياطين عهد ودي كانت النتيجة.

نظر "فؤاد" إلى "أحمد" موافقًا على كلام الشيخ "بلال"، وسرعان ما طردها أحمد خارج رأسه وقال:

أنا مش هاتعامل مع القضايا دي بالشعوذة والدجل ده، أنا راجل ظابط وباتعامل مع الأدلة المادية بس، ماحدش يجيب لي سيرة شياطين وجن وكلام فارغ، كل واحد يعمل شغله، ولازم نكتف شغلنا ونتقابل بكره ونشوف النتيجة، وكلنا مش هنروح ولا نستريح إلا لما نحل القضايا دي، هنبقى نريح بعض بالتناوب زي الخدمة العسكرية كده.

****

بعد عدة ساعات وداخل سكن جميل الأثاث وكثير التجهيزات باهظة الثمن والصور التي تملأ الحوائط لرجال شرطة أدوا الخدمة لوطنهم طوال سنين مضت،

وآخرهم صورة لـ"فؤاد" الذي يجلس أمام زوجته، "شقراء الشعر، متناسقة الجسد، مع ذلك الوجه الأبيض المستدير، متوسطة الطول"، على مائدة الطعام يتبادلان الحديث.

بدأ فؤاد حديثه قائلًا وهو يشرب بعض الماء:

الغريبة يا عبير إن أحمد مش عاوز حتى مجرد التفكير إن التلات ستات اللي ماتوا دول كان ليهم علاقة بالشياطين والجن، مع إنهم مذكورين في القرآن وعارفين إنهم بيضلوا ويئذوا الناس اللي بتتعاهد معاهم.

تبتسم "عبير" ليظهر جمالها الكامل وتقول:

هو برضو يا فؤاد معذور، مش كل الناس بتصدق زيَّك في الكلام ده، مع إنك ظابط وبتتعامل بالدليل المادي.. بس دايمًا حساك بترجَّح الإحساس والشعور، كأن عندك حاسة سادسة أو اتعاملت مع الشياطين قبل كده.

يصدر "فؤاد" ضحكة ويقول:

يا حبيبتي الفكرة مش في الحاسة السادسة، كل الموضوع إن العقل في بعض الأوقات بيكون أقل حاسة للإنسان، وبيكون عاجز، وهنا بييجي دور حواس تانية ماحدش يقدر يستخدمها، هي بتظهر لوحدها، ومن حيث الشياطين والمعاملة معاهم ففي كل يوم بنقابل شيطان شكل.

تتغير ملامح "عبير" وتقول:

المهم تقدروا توصلوا لحل القضايا دول قبل ما حد تاني يموت وتبقى كارثة وحالة عامة.

تتغير ملامح "فؤاد" للجدية ويقول:

ربنا يستر، القضية دي مش زي أي قضية مرِّينا بيها قبل كده، في وراها سر وسر كبير جدًّا كمان.

ينهي "فؤاد" طعامه ثم يتوجه إلى "عبير" ويقبل رأسها ويذهب إلى غرفته ليستريح.

****

وقفت سيارة "أحمد" أمام عقار بأحد الأحياء الراقية، هبطت زوجته "فريدة" وأغلق زجاج السيارة وهبط خلفها، بسبب برودة الجو أسرعا في الدخول إلى باب العقار، ثم طلب المصعد، وقبل أن يصل تذكر "أحمد" أنه نسي شيئًا فأخبر زوجته بأن تصعد هي إلى أعلى وسيلحق بها.

خرج مسرعًا إلى سيارته وأحضر هاتفه وعاد ليطلب المصعد، وظل يتفقد محتويات الهاتف الجوال، حينها سمع صوت أقدام من خلفه وصوتًا أشبه بسعال خفيف، التفت ليجد الثلاث ضحايا أمامه ملتفين بغطاء أبيض ملطخ بالدماء، ويتقدمون نحوة في بطء، فزع واضطرب، ظل يضغط على زر طلب المصعد ولكن دون جدوى، برودة الطقس تزداد في قسوة، وهو ينظر إليهن في خوف وعدم استيعاب، أخرج سلاحه الناري، رن هاتفه، أخرجه مسرعًا ليجد اسم زوجته على شاشة الهاتف، وعندما نظر إليهن لم يجد شيئًا، بلل العرق جبينه وجف حلقه وهدأ قلبه قبل أن يتوقف عن العدو، وبدأ في استنشاق الهواء وملأ به صدره

وأخرجه في بطء، فتح باب المصعد وأغلقه خلفه في عدم اتزان وهو يضع السلاح الناري في مكانه.

****

بعد منتصف الليل جاء اتصال ملح على هاتف "أحمد" أفزعه وجعله يقف على قدميه في خوف، أجاب ليجد صوت الشيخ "بلال" يحدثه ويقول:

أحمد بيه.. أنا وصلت لأول مربع في الورقة التالتة، الورقة دي مهمة ومكتوب فيها الاسم التالت لكل ضحية، وده ممكن يساعدنا إننا نقدر نحمي الضحية الجاية؛ لأن هيكون فيها الاسم التالت ليها، أنا هاسبق حضرتك على المكتب وأحاول أوصل للاسم الثالث للضحية الرابعة، وهستناك هناك، سلام.

أنهى "أحمد" المكالمة واتصل بـ"فؤاد" وأخبره أن يقابله في مكتب التحقيقات، وأن يحضر فريقًا كاملًا من المباحث ليكون جاهزًا وعلى أتم الاستعداد لإحضار الضحية الجديدة قبل أن تموت وتلحق بالثلاثة وتلقى مصيرهم، ثم أغلق الهاتف وارتدى

ملابسه سريعًا، وقبل أن يخرج نظر إلى زوجته الغارقة في النوم وخرج مسرعًا.

(6)

"لكل شيطان مارد اسم كتبه بافوميت في كتاب لم يكتبه سليمان، ثم تركه تحت عرشه، فلما وجدوه بني الإنس اعتقدوا أنه السيط الذي روض به سليمان بنو الجن، وعند نطق ذلك الاسم فقط يحضر صاحبه، وإما أن تروضه أو يدمرك، لا تنشغل أكثر بما مضى، وانظر لما هو آت وأمعن النظر".

****

الساعة التاسعة صباحًا وقد بدأ التحقيقات وسماع أقوال الشهود وأقارب المجني عليها "نوال حامد الشافعي" الضحية الثالثة في تلك الجرائم المتسلسلة برابط يشتت الانتباه والتركيز، أنهى الضابطان "أحمد" و"فؤاد" معظم التحقيقات وجاء دور آخر الشهود وزوج الضحية "بكر أحمد النجار" الشهير بـ"بكر الفيل"، ما إن لفظ العسكري اسمه إلا وحرك "أحمد" رأسه دليلًا على معرفته به وقال:

دخل لي يا ابني "بكر الفيل" أنا عارفه، بسرعة.

خرج العسكرى سريعًا ودخل من بعده شاب "ضخم الجسد مفتول العضلات، قمحي البشرة ومجعد الشعر الأسود، لديه بعض العلامات بوجهه ورقبته ويده من أثر العراك المستمر الذي يزاوله، غائر العينين السوداوين وبهما حدة وجهل"، عندما وقعت عينه على "أحمد" ارتعدت فرائسه وأعطى التحية العسكرية التي لاحظها الجميع فضحك "أحمد" وقال:

بكر الفيل! تعالى اقعد، ده أنا ما شوفتكش من ساعة القضية إياها، تعالى.

اقترب "بكر" في خوف وجزع من "أحمد" وقال:

يا باشا والله توبنا وبعدنا عن الخناقات والشقاوة، أنا ربنا هداني واتجوزت واشتغلت بالحلال.

ابتسم "أحمد" بسخرية وقال:

وأنت اللي زيَّك يعرف حلال! بُص له كده يا فؤاد بيه وقول لي إيه رأيك في الأشكال دي.

نظر "فؤاد" إلى بكر الفيل من أسفل إلى أعلى ثم قال:

ما له يا أحمد بيه؟ ما الراجل جاي شاهد وهناخد أقواله وهيمشي.

ابتسم "أحمد" ونظر إلى "بكر" بحدة وقال:

لا.. يمشي يروح فين؟ ده سوابق يا فؤاد بيه.. ده هيشرف هنا كام يوم ونبعته مع أمين شرطة يلف بيه على الأقسام كعب داير.. يمكن علية قضية كده ولا كده.

انقبض وجه "بكر" وقال:

يا أحمد باشا لزومه إيه بس؟ أنا توبت والله وبطلت بلطجة.

انتفض "أحمد" وقال بعصبية:

اقعد يلا ورد على الأسئلة اللي هنقولها، وبعد كده هتعمل زي ما قلت لك.. هو اللي زيك يعرف توبة.

يجلس الشاب في ضيق ونظرة غل لـ"أحمد" لاحظها "فؤاد" فبدأ قائلًا ليلفت انتباهه:

اسمك بالكامل وسنك ومهنتك يا بكر وعلاقتك بالمجني عليها.

وجه "بكر" عينه إلى "فؤاد" وقال في خوف:

حاضر يا باشا، أنا اسمى بكر أحمد النجار، وشهرتي لا مؤاخذة بكر الفيل من أيام الشقاوة والبلطجة، عمري 33 سنة، والمرحومة كانت مراتي يا بيه، وكنت باشتغل معاها في التجارة وكده.

تعجب "فؤاد" وقال:

مراتك! بس دي أكبر منك بفرق كبير أوي؟

أشار "بكر" بيده شارحًا..

صح يا بيه.. أصل أنا كنت صبي عندها... ولما كبرت وبقى ليا هيبة حبتني وشافت فيا الراجل اللي يحميها.

قاطعه "أحمد" بعصبية:

من غير كلام كتير.. يلا انجز.. كنت فين وقت ارتكاب الجريمة؟

رد "بكر" مسرعًا:

كنت مسافر يا بيه، ومعايا شهود بكده.

سأله "فؤاد":

كنت مسافر فين يعني؟

رد سريعًا تلك المرة أيضًا:

كنت في بورسعيد باخلّص شغل لينا هناك وبنستلم بضاعة عشان الصيف داخل علينا كمان كام شهر ولبس الصيف وكده، وعرفت وأنا هناك وزعلت والله.

وضع "أحمد" قدمه على الأخرى وقال:

ما باين عليك أهو، تلاقي ليك يد في قتلها، وتلاقيك هتورث قد كده.

وضع "بكر" رأسه في الأرض وقال بأسى:

أنا مش عارف ليه يا أحمد بيه ظنك بيا دايمًا سوء، مع إني نفسي أخدمك أي خدمة وننسى بيها إني كنت سوابق أيام الطيش.

وقف "أحمد" مشيرًا بيده في عصبية إلى "بكر" وقال:

أنت هتصاحبني يا روح أمك.. قوم اقف واطلع استنَّى بره لحد لما ابعتلك أمين يلف بيك مصر.. ونبقى ساعتها نتأكد إنك نضفت ولا لآ.

انتفض جسد "بكر" ووقف في خوف وقال:

يا أحمد بيه حرام عليك، أنا مراتي لسه ميتة، طب آخد عزاها وأجيلك تعمل اللي أنت عاوزه فيا.. ما تقول له حاجة يا فؤاد بيه.

نظر "فؤاد" إلى "أحمد" ووقف مهدئًا إياه وقال:

يا أحمد باشا الراجل ياخد عزا مراته ونبقى نجيبه ونتصرف معاه.

نظر "أحمد" إلى "فؤاد"، ثم نظر إلى "بكر" وقال:

معلش يا فؤاد بيه.. أنا عارف الأشكال دي كويس.. تلاقيه عنده قضية ولا محضر وهربان، يلا بره يلا.

يخرج "بكر" متأففًا وتلفظ ببعض الأقوال غير المفهومة، وينظر له "أحمد" بعين من له عنده ثأر قبل ذلك، ويشعل سيجارة ويعطي أخرى لـ"فؤاد".

****

الساعة الثانية ظهرًا وقد بدأت أعصاب "أحمد" تنفلت وهو ينتظر الاسم الثالث للضحية الجديدة، وهو يتحرك بعصبية مفرطة ويشعل سجائر جديدة وهو ممسك بإحداها بينما يجلس الجميع في شرود عدا الطبيب النفسي "جلال"، الذي ظل يرمق الجميع بنظرات متفحصة ويقرض أظافره بنهم كطفل مصاب بمرض التوحد، مرت دقائق وبدأ يتجه الشيخ "بلال" نحو اللوحة الكبيرة ويكتب الاسم الأول "شاهندة السيوفي علام" الاسم الثاني "مرفت محمود نور الدين" الاسم الثالث "نوال حامد الشافعي" الاسم

الرابع "نرمين صلاح"، ثم توقف أمام الورقة الثالثة التي أخذ يرمقها بتحدٍّ لكثير من الوقت، ما جعل "أحمد" يقترب منه ويقول بانفعال:

بقى لنا هنا من قبل الفجر وخلصنا التحقيقات مع قرايب الضحية التالتة "نوال"، وأنت هنا جايبنا تفرجنا على أسامي ماتت بالفعل؟ المهم عندنا الاسم الرابع اللي عاوزين نعرف مين ونلحقه أو نلحقها، وأنت واقف هنا تتفرج عليّ وتندهش، إحنا هنهزر يا شيخ بلال؟

نظر "بلال" إلى "أحمد" في هدوء، ثم أشار إلى مربع مرسوم وقال:

المربع ده في حاجة مختلفة، انتقل بينا لمرحلة جديدة من علم الأوفاق، المربعات اللي فاتت كلها كانت حروف بس ودي فكها أسهل كتير من ده.

قال "فؤاد" مستفسرًا:

وإيه الجديد في المربع ده؟

اقترب الشيخ "بلال" من اللوحة وقال:

الجديد يا فؤاد باشا إنه استخدم هنا الأرقام كمان، الموضوع هياخد وقت كتير عقبال ما أقدر أفك المربعات الباقية؛ لأن كلها فيها حروف وأرقام.

قال الطبيب النفسى "جلال" مباغتًا:

كأنه قاصد يعطلنا!

نظر الجميع إلى الطبيب النفسي "جلال" الذي لاحظ نظراتهم الاستفهامية وقال سريعًا:

الشخص ده أيًّا كان من العالم ده أو عالم تاني أو تالت، هو قاتل وذكي، ودايمًا سابقنا بخطوة، يعني هو عاوزنا نفضل دايمًا في خوف وتعب وإرهاق ذهني وجسدي ونفسي، ماحدش فينا عارف ينام، فمش مركز، وماحدش فينا معاه دليل مادي غير ورقة هو اللي كاتبها وبيمشينا وراه فيها، يبقى مش هنقدر نوصل لنتيجة إيجابية إلا لو نسينا الورقة دي، أو قدرنا نوصل للي فيها أسرع، الشخص ده درس كل حاجة

اقترب الشيخ "بلال" من اللوحة وقال:

الجديد يا فؤاد باشا إنه استخدم هنا الأرقام كمان، الموضوع هياخد وقت كتير عقبال ما أقدر أفك المربعات الباقية؛ لأن كلها فيها حروف وأرقام.

قال الطبيب النفسى "جلال" مباغتًا:

كأنه قاصد يعطلنا!

نظر الجميع إلى الطبيب النفسي "جلال" الذي لاحظ نظراتهم الاستفهامية وقال سريعًا:

الشخص ده أيًّا كان من العالم ده أو عالم تاني أو تالت، هو قاتل وذكي، ودايمًا سابقنا بخطوة، يعني هو عاوزنا نفضل دايمًا في خوف وتعب وإرهاق ذهني وجسدي ونفسي، ماحدش فينا عارف ينام، فمش مركز، وماحدش فينا معاه دليل مادي غير ورقة هو اللي كاتبها وبيمشينا وراه فيها، يبقى مش هنقدر نوصل لنتيجة إيجابية إلا لو نسينا الورقة دي، أو قدرنا نوصل للي فيها أسرع، الشخص ده درس كل حاجة

وخد وقته بالكامل عشان يبقى في مركز قوة، وكلنا كده متجمعين في مركز ضعف ومستنين الضحية الجديدة ونلف في نفس الدايرة.

كانت تلك الكلمات كشعلة نشاط دبَّت في كل الموجودين، خاصة "أحمد" الذي قال:

طب يبقى كلنا لازم نتحرك، وبعد ساعة نتجمع تاني ونكون خلصنا اللي اتكلفنا بيه، "فؤاد" اعمل حصر لكل اللي اسمهم "نرمين صلاح" واعمل فرز كده للأسماء دي وهاتلي بالكتير اسمين مرشحين، وشغِّل الناس اللي نامت بره دي، ساعة واحدة يا فؤاد بس، وأنت يا شيخ "بلال".. قدامك ساعة واحدة بس تكون خلصت حساب المثلثات ده وفكيت حجر رشيد وتجيب الاسم الثالث... يا إما تاخد عفاريتك وترجع بلدك، وأنا هعمل بحث عن السجلات الجنائية والمجرمين اللي من النوع ده والسوابق ونتجمع بعد ساعة.

خرج فؤاد فوجد "بكر الفيل" يجلس القرفصاء وبيده القيود وسيجارة أوشكت على أن تلسع يده وهو غارق

في شرود و حزن، نظر "فؤاد" إلى "أحمد" الذي هبط بالفعل من الرواق، فصاح مناديا على أمين الشرطة المكلف به، جاء مسرعًا رجل عظيم الجسد غليظ الصوت أمره "فؤاد" أن يفك قيوده وأن يبحث عن سوابقه عن طريق "الكمبيوتر" وإن لم يجد له محاضر أو قضايا قيد التحقيق يتركه سريعًا، شكره "بكر" وابتسم في حزن وأسى.

****

في شرفة مليئة بالزهور تجلس "فريدة" بجانب والدها اللواء سابقًا "متولي الشريف"، أحضرت الخادمة كوبين من الشاي الدافئ في هذا الطقس الشتوي حتى وقت الظهيرة، رشفت فريدة من كوبها ثم قالت:

تفتكر إن إحنا ظلمنا أحمد معانا يا بابا زمان؟ أصله طلع بيحبني أوي... وما كنتش أتصور إنه يفضل معانا بعد لما حضرتك طلعت على المعاش وأنا سيبته وكنت هتجوز غيره.. ومع ذلك رجعلي.. وبعد لما عرف إني ما باخلّفش لسه معايا.

ابتسم "متولي" وقال في فخر:

يا فريدة يا بنتي أحمد مش ابن أخويا وبس.. لا هو ابني كمان، بس ما كانش ينفع أدلعه وأطلعه عيل بايظ، ولا كان ينفع آجي عليكي يومها لما كنتي عاوزة الواد اللي هرب وسابك زمان، أحمد تربيتي وشبهي ومش ممكن يسيبنا وقت حوجتنا ليه.

تركت "فريدة" كوبها ثم وقفت ونظرت إلى أسفل الشرفة وقالت:

أنت عارف يا بابا أنا ابتديت أحبه بجد، وابتديت أحس إن مقامه كبير أوي وإحنا كنا شداد عليه وقاسيين.

وقف "متولي" بجانبها واحتضنها وقال:

ربنا يهدي سركم يا بنتي.. وأنا مطمن طول ما هو بيحبك.. لأنه هيفضل شايلك في عينيه.. وهو ده اللي أنا عاوزه في آخر أيامي.. وموضوع الخلفة ده ما

تخافيش، هاسفَّرك بره وهتتعالجي وهتبقي زي الفل.. وهاشوف ولادك قبل ما أموت.

قبلت "فريدة" رأس أبيها وقالت:

بعد الشر عليك يا بابا، إن شالله أنا قبلك.

****

بعد مرور ساعة اجتمع الضابطان والشيخ والطبيب النفسي، وانضم إليهم "سامي" الطبيب الشرعي، وعرض كل منهم ما توصل إليه وبدأ "فؤاد" موجهًا كلامه إلى "أحمد" قائلًا:

عملت الحصر اللي سعادتك قلت لي عليه واستقريت على اسمين ممكن جدًّا يكونوا هما الهدف والضحية الرابعة، الأولى اسمها "نرمين صلاح أبو المجد"، ودي يا أحمد باشا لسه متجوزة قريب من ظابط في الجيش.. وأعتقد إن القاتل بيختار ناس معروفة وممكن تعمل ضجة.. والتانية "نرمين صلاح بكر" الصحفية اللي طلعت في التلفزيون وكانت عاملة ضجة على قضايا

الفساد.. واللي خلاني أشك إنها ممكن تكون الضحية الرابعة إنها كانت على علاقة بالضحية الثانية "مرفت محمود نور الدين".

قالها وهو يخرج ملفين بأسماء المرشحتين وأعطاهما لـ"أحمد"، وبعد عدة دقائق من القراءة قال الشيخ "بلال" بعد أن كتب الاسم الثالث بارزًا وواضحًا للجميع بخط كبير.. "نرمين صلاح بكر".

اسمها يا أحمد بيه "نرمين صلاح بكر".. أنا متأكد.

نظر الجميع إلى الشيخ "بلال" واللوحة، ثم قال أحمد بخوف:

"فؤاد".. بلغ كل الوحدات إنها تتحرك على عنوان بيتها حالًا، ويكونوا هناك في أسرع وقت، ويراقبوا كل مداخل ومخارج بيتها، وأي حد مشتبه فيه قريب من السكن بتاعها يقبضوا عليه، مش عاوز غلطات، وإحنا هنحصلهم على هناك، وكلكم تعالوا معايا.

ثم خرج مسرعًا ومعه الشيخ "بلال" والطبيبين النفسي "جلال" والشرعي "سامي"، بينما فؤاد يمسك بجهاز لاسلكي ويعطي الأوامر بالتحرك.

أصوات "سارينة" سيارات الشرطة تدوي في أفق السماء في غسقها، وقاربت شمسها على الغروب، وأصيب المارة بهلع من كمية السيارات المتحركة للشرطة كأنهم في حملة قبض على خلية إرهابية، وإن كان أفعال هؤلاء أقل وطئًا من ذلك المجرم ذي الدهاء العالي.

وصلت السيارات أمام منزل المذيعة "نرمين صلاح بكر"، التي لم تستجب لجميع الاتصالات على هاتفها المنزلي والجوال، هبط أحمد ومعه فؤاد سريعًا وتتبعه قوات من الشرطة لاقتحام المكان وتأمينه، ضغط "أحمد" جرس الشقة ولم يستجب أحد، فعل مرة أخرى ولا جدوى، أسند أذنه على الباب ليستمع إلى صوت موسيقى هادئة، عاد إلى الخلف وقال:

اكسروا الباب ده بسرعة!

نفذت القوات ما قاله "أحمد" واقتحموا الشقة ليجدوها في حالة فوضى عارمة نتاج عراك أو ما شابه، دخل الجميع مسرعيين واحد تلو الآخر حتى جاء صوت أحدهم على جهاز نقل الإشارة "اللاسلكي" قائلًا:

الهدف في أوضة النوم يا فندم.. دي.. دي مدبوحة ومسلوخ جلدها.. وفي نجمة على الحيطة من الدم وفي ورقة في إيديها، إحنا وصلنا متأخر يا أحمد بيه.

ألقى "أحمد" جهاز نقل الإشارة أرضا ليتهشم ويصدر صوتًا مزعجًا ويكمل "أحمد" دهسه بقدمه حتى صمت، ثم يمسك برأسه ويضع يده على فمه وقد ازداد توهجًا وعصبية، نظر إليه "فؤاد" وأمسك بجهاز الإشارة الخاص به وقال:

- تمام الإشارة، ابدأوا الإجراءات، وامنعوا دخول الصحافة نهائيًا، ودخّلوا رجالة الفحص والطب الشرعي، انتهى. تمام يا فندم هنبدأ حالًا.

وقف الشيخ "بلال" أمام الغرفة وألقى نظرة على جثمان الضحية الرابعة، وظل يتمتم ببعض الكلمات، ثم نظر إلى النجمة السداسية الشكل التي رسمت من دماء الضحية، وهناك صوت يهمس في أذنه بشيء غير مفهوم، ولكنه يتحدث سريعًا ويكرر الجملة، حتى انقبض قلبه عندما وقعت عينه على وجه الضحية، التي فتحت عينيها فجأة ونظرت له ثم أغلقتها من جديد وقالت: "هتموت أنت كمان". ليرتعد ويعود إلى الخلف ثم يخرج من الشقة في اضطراب وعدم اتزان لاحظه الجميع، استوقفه "أحمد" قائلًا:

شيخ بلال، شوفت إيه؟

بجسد متعرِّج وعدم اتزان قال:

لما نرجع المكتب يا أحمد بيه هاحكيلك.

بعصبية واضحة قال "أحمد":

باقول لك شوفت إيه يا شيخ بلال؟ قول أنا مش باتحايل عليك.

ظهرت معالم الغضب على وجه الشيخ "بلال" وقال بخوف:

شوفت شيطان معشش في أجسادهم، و.. وسمعت تلاوتهم.. وشوفت اللي حصل لهم يا أحمد بيه.. ومش عاوز أكون هنا دلوقتي لو سمحت.

نظر إليهم بعين دامعة شديدة الاحمرار ثم تركهم وهبط السلالم يتمتم وهو يستند على الحائط، نظر "فؤاد" إلى "أحمد" نظرات خوف وفزع دفين بقلوبهم.

(7)

"إن شئت أم أبيت سيصل بك القطار إلى موقع التصادم إذا لم تقفز منه وأنت أعلم بعطل مكابحه. مقولة كانت تقال وقت العند الشديد في مواقف الضعف الشديد، أنصحك بها الآن، استمر معي وأنصت جيدًا".

****

بدأت التحقيقات تتوالى ما بين حارس العقار الذي نفى دخول أو خروج أحد غريب من باب العقار طوال اليوم الذي وقعت فيه جريمة القتل، وبين سكان العمارة من جيران المجني عليها "نرمين"، وكلهم أكدوا أنهم لم يسمعوا أو يروا شيئًا غريبًا طوال اليوم، وبعضهم أرجع ما حدث لتورطها مع رجال الأعمال أصحاب العمليات المشبوهة، وهي من فتحت النار عليها في برنامجها.

بعد عدة ساعات من التحقيقات غير المجدية، وصل مالك القناة ومن تولى تربية "نرمين"، رجل الأعمال

"وجيه غالي"، رجل "عجوز هزيل الجسد، ظهرت علية أعراض الشيخوخة، ولكنه ما زال محتفظًا بعقل واعٍ"، دخل إلى المكتب دامع العينين.

وقف "أحمد" و"فؤاد" وسلما عليه وسأله أحمد قائلًا:

اسم حضرتك وسنك ووظيفتك؟

أجاب "وجيه" بحزن:

اسمي وجيه إدوارد غالي، وسني 68 سنة، وأنا رجل أعمال وعندي مجموعة قنوات فضائية.

ابتسم"فؤاد" وقال:

حضرتك ممكن تقول لنا إيه علاقتك بالمجني عليها؟

مسح العجوز عرقه وقال:

أنا علاقتي بنرمين متشعبة بين العلاقة العملية والشخصية، بمعنى أصح أنا اللي ربِّيتها من بعد موت أبوها صلاح بكر شريكي وصديق عمري، مات في

حادثة هو ومراته وكل إخوات نرمين، وساب لها فلوس وشراكة معايا، أنا ربّيتها واعتبرتها بنتي اللي ربنا ما رزقنيش بيها، ولما ماتت سابتني لوحدي تاني.

دمعت عين العجوز فحاول أحمد تهدئته وقال:

حضرتك بتتهم حد بقتلها؟

مسح العجوز عينه وقال:

أكيد يا بهوات، الناس اللي كانت عاوزة تكشفهم هما اللي قتلوها، ولازم تجيبوا حقها، أنا هاعمل أي حاجة عشان أموِّت اللي قتلها.

قال "فؤاد" محاولًا إخراج فكرة الانتقام من رأس "وجيه":

إحنا مقدرين شعور حضرتك.. وبنوعدك في أقرب وقت هنقدر نوصل للقاتل والعدالة هتاخد مجراها ما تقلقش.

نظر الرجل إلى الضابطين وقال:

أتمنى إنكم تجيبوا حقها حتى لو كان من الشيطان نفسه.

ثم وقف وأدار ظهره إلى الضابطين اللذين نظرا إلى بعضهما وخرج وهو يبكي بصوت مسموع.

****

بعد انتهاء التحقيقات هاتف يرن ويحاول تجنبه أحمد، لكنه رأى اسم عمه "اللواء متولي الشريف"، فابتعد وهدأ وقال:

سيادة اللوا، عامل إيه؟

جاء صوت ضحكة من الهاتف..

يا واد يا بكاش، لواء إيه بقى ما خلاص قاعدين معاش أهو واتنسينا.

رد "أحمد" مجاملًا:

ما تقولش كده يا عمي.. أنت اسمك لسه بيهز الداخلية كلها لما يتقال في أي مكان.

رد "متولي" مادحًا "أحمد":

عشان أنت موجود يا أحمد يا ابني، باقولك إيه.. سيبك من الكلام ده، حليت القضية ولا لسه؟ أنا عارف إنها صعبة ونادرة بس أنا زرعت فيك التحدي.

نفخ "أحمد" في حنق وقال متأزمًا:

يا عمي والله مش باين لها هتتحل بالساهل، في حاجة غلط، المهم أنت عامل إيه وصحتك عاملة إيه؟

جاء صوته ضعيفًا:

أنا الحمد لله، أنا كنت عاوز أكلمك في موضوع يخص فريدة.

ظهر الخوف على ملامح "أحمد"..

ما لها فريدة يا عمي؟ أنا سايبها كويسة؟

جاء الرد:

إهدا بس.. هي عندي أصلا وكويسة، بس أنا خرجت بره أشرب قهوتي وقلت أكلمك لأنها منهارة ومتأثرة أوي، اسمعني.

جلس أحمد على مكتبه وقال:

خير يا عمي؟

"متولي" بصوت رخيم:

أنا مش عاوزك تزعل من موضوع الخلفة ده.. إحنا هنسفرها بره مصر وتتعالج وهتخلفوا إن شاء الله.

"أحمد" بنفاد صبر:

- يا عمي أنا قلت لها ما تقلقيش وهنسافر وهتتعالجي. أنا عارف.. أنا بس عاوز أقول لك إنك أنت اللي لينا أنا وهي ما تسيبهاش، هي بتحبك.. خليك معاها لحد لما ربنا يكرمكم، أنت عارف إنك ابني وإني أنا اللي مربّيك، ما تخيّبش ظني.

دمعت عين "أحمد" وقال:

- يا عمي أنت ربيت راجل ما تخافش، أنا عمري ما هاسيبها إلا في حالتين، الموت أو إنها تختار تسيبني، هدِّيها يا عمي وقول لها ما تخافش.. أنا عمري ما هابعد.. أنا بحبها بجد وأنت عارف ده. عارف يا أحمد.. عارف يا ابن أخويا.

أنهى "أحمد" المكالمة ثم وضع الهاتف على المكتب وشرد قليلًا.. ثم عاد إليه رشده وسحب الهاتف وأجرى مكالمة وعلى وجهه الجدية.

****

في منزل "فؤاد" الذي يقف أمام المرآة ويرتدي ملابسه ثم يضع سلاحه الناري في مكانه تحت سترة البدلة، يرفع صوته ويحدث زوجته التي بالخارج قائلًا:

عبير، أنا نازل.. عاوزة حاجة قبل ما أنزل؟

جاءه صوتها من الخارج وهي تقترب حتى دخلت الغرفة وهي تقول:

لا يا حبيبي سلامتك، قولي.. هتتأخر النهارده؟

نظر لها "فؤاد" في ود وقال:

مش عارف يا عبير والله، أنتِ عارفة إن شغلنا مش بيخلص ومالوش مواعيد، أنتِ خارجة ولا حاجة.

ابتسمت "عبير" وقالت:

أصل كان النهارده عيد ميلاد ماما وكنت عاوزاك تيجي معايا.

ابتسم "فؤاد" وقال:

كل سنة وهي طيبة.. بس معلش أنتِ عارفة إني شغال على قضية العمر، اسحبى المبلغ اللي تحبيه وهاتي لها هدية محترمة.

تغيرت ملامح "عبير" وخرجت وتركته ينتهي مما يفعله، خرج بعدها "فؤاد" مسرعًا وهو يرد على الهاتف في عجلة، ولم ينظر حتى ناحية زوجته أو يتذكر غضبها.

****

المكان أصبح يعم بالفوضى، وهناك في الركن البعيد من المكتب أزاح "أحمد" مكتبه بعيدًا، وعلق على الجدار الكبير لوحة عملاقة، وعلق عليها كل ما يخص الأربع ضحايا من صور وأوراق وملفات، حتى تلك الورقات الصغيرة التي يقوم بحل طلاسمها الشيخ "بلال"، وظل ينظر لهم في حالة من النفور والبغض، وأصبحت أعصابه في حالة من التأهب لعدم سماع المزيد من الهراء عن الشياطين والأعمال وتلك الأكاذيب من وجهة نظره، أشعل العديد من السجائر، وشرب الكثير من المنبهات، وتجنبه كل من حوله حتى بالحديث، الجميع يجلس خلفه في ريبة وعدم استيعاب لما يحدث، منتظرين رد الطبيب الشرعي "سامي" وما توصل إليه رجال المباحث من تحقيقات.

مرت ساعات من الدخان الذي ملأ الصدور، ومن الاضطرابات التي ملأت النفوس، والشكوك التي ملأت العقول، ما بين قاتل محترف يتلاعب بعقول أكفأ الضباط والأطباء ورجال المباحث، وما بين أعمال

شيطانية وطلاسم من عالم آخر وأفعال لها علاقة بالدجل والعوالم الأخرى، الاعتقاد الذي يؤمن به الجميع ويرفضه "أحمد" بكل ما يملك من قوة.

وصل الطبيب الشرعي "سامي" ذو الجسد الهزيل، ومعه تقريره عن الجثة الرابعة "نرمين" من تلك السلسلة البشعة من الجرائم المتعاقبة، وكأنها لعنة حلَّت بالجميع، وزاد الأمر سوءًا منظر الطبيب "سامي" الذي أصبح أشبه بالمومياء المتحررة توًّا من كفنها الملكي.

بمجرد أن رأى الشيخ "بلال" منظر الطبيب "سامي" اقترب منه في ريبة وقال:

دكتور سامي؟

نظر له في عدم اتزان..

أيوة يا شيخ بلال.

قال الشيخ "بلال" بصوت مواسٍ:

أنت شوفت حاجة جديدة في الجثة دي؟

نظر له في تعجب..

أنت عرفت منين يا شيخ بلال؟

قال "فؤاد" مواجهًا:

رد على سؤاله يا دكتور سامي لو سمحت.

ارتعد الطبيب "سامي" من غير سبب وقال:

حا.. حاضر يا فؤاد بيه، أنا سمعت المرة دي، سمعتها بتقول لي إن الكتاب هو السبب، إنه لازم يتحرق، لازم نلحق الباقي قبل ما يموتوا هما كمان ويشوفوا العذاب، قالت لي إن الكتاب لسه في بيتها، ولسه في بيت التلاتة اللي قبلها، قالت لي إنه مراقبنا كلنا وهيموتنا واحد واحد، وأي حد هيسعى وراه أو يدور عليه هيدبحه وهيعذبه.

فار الدم في عروق "أحمد" وقال:

قالت لك كده إزاي يعني؟ قامت وأنت بتشرَّحها؟ أنت شكلك رجعت للشرب تاني يا دكتور سامي ومخك فوِّت.

بتخبُّط قال "سامي":

- لا يا أحمد بيه أنا فايق، فايق أوي، ووقتها كنت في وعيي، أنا كنت ماسك المشرط وبشوف في أي جديد عن التلاتة اللي قبلها، فجأة النور قطع، المشرط وقع مني وسمعت صوته رن على الأرض، وسمعت كمان صوت خطوات على الأرض، وصوت عجل الترابيزة بيتحرك، اترعبت وحاولت أهرب، كلمتني وطمنتني وقالت: "مش أنا اللي المفروض تخاف مني، إحنا ضحايا غلطة وعهد، والدور عليكم، وخصوصًا اللي هيقرب منكم للحقيقة هيموت وهيحصلنا". وبعد كده النور جه، ولقيت الجثة في مكانها، أنا عارف أنا بقول إيه كويس يا أحمد باشا. أنا مصدقك يا دكتور سامي، أنا مصدقك، وهما كمان هيصدقوك قريب.

قالها الشيخ "بلال" واقترب من اللوحات وأخذ يحاول فك المربع الخامس من الورقة الثالثة وينظر إلى الورقة الرابعة في خوف، وترك الجميع في حالة من الفوضى العارمة وعلامات التعجب على وجه كل واحد منهم.

****

شاب يتجهز أمام المرآة وهو يرتدي "بذلة سوداء أنيقة، أبيض البشرة، مصفف الشعر الأسود على جانبي الرأس، طويل القامة" ويضع "مايك" ثم يتجه ويجلس خلف مكتب، ويشير للمصورين بتوجيه الكاميرات العملاقة إليه بينما يبدأ أحدهم قائلًا: "3، 2، 1 هوا".. ليبدأ الشاب قائلًا بتأثر:

أنا باعتذر طبعًا إني بكمِّل البرنامج الخاص بزميلتي "نرمين صلاح" الفقيدة، ربنا يرحمها ويصبر أهلها، لكن دي ضريبة بيدفعها كل الشرفاء في البلد دي لما يحاولوا يوضحوا الحقيقة ويكشفوا مجرمين وفاسدين جوه بلدنا اللي الفساد معشش فيها، بس ده

مش هيضعف إرادتنا ولا هيوقفنا ولا هيهدم حلمنا إننا نشوف بلدنا أحسن بلد في الدنيا، أنا مش طالع عشان أقول شعارات ولا أعمل شو إعلامي، أنا طالع عشان أوصل رسالة للي كان السبب في قتل "نرمين"، وأقوله إن البلد لسه فيها ناس نضيفة كتير زي رئيس القناة السيد "وجيه غالي"، اللي أصر الحقيقة إني أكمل المشوار ونثأر لزميلتنا اللي كان هو في مثابة أبوها اللي رباها، وكمان عشان أوجه رسالة لوزارة الداخلية، وأقول للمسؤولين فيها إن القضية دي لازم تتقفل بسرعة، ويمسكوا الفاعل في أسرع وقت، لأن أنا باقول من مكاني إن مقتل "نرمين صلاح بكر" قضية رأي عام، ومش هنسكت عن حقنا ولا حق الأبرياء في البلد دي، ولازم الفساد ينتهي، شكرًا، "عدنان ثابت" مكملين المشوار.

****

فتح باب الطائرة وبدأ المسافرون في الهبوط واحد تلو الآخر، وظهرت شابة "شقراء الشعر الطويل، بيضاء البشرة، متناسقة الجسد المختبئ تحت فستان أزرق

ضيق يفضح أكثر مما يستر".. ارتدت نظارتها فور مقابلة الشمس لوجهها المشرق، هبطت سلالم الطائرة في دلال متعمَّد وسط نظرات الرجال المعجبين بجمالها.

بعد أقل من النصف ساعة ركبت سيارة كانت في انتظارها بعد أن وضعت كل حقائبها في السيارة وأخرجت هاتفها الجوال وطلبت رقمًا، وعندما أجاب قالت:

إيه الأخبار؟ أنا في مصر.. جاهز بالشغل ولا إيه؟ أنا راجعة تاني خلال أسبوع.. والناس مستنية الشغل اللي بعته لي في الصور ومستعدين يدفعوا جامد، وطبعًا أنا نسبتي هتزيد.. ولا إيه؟

استمعت بحرص وبدأت ملامح وجهها تتغير وتختفي ابتسامتها إلى الغضب وردت قائلة بصوت عالٍ:

- لا خد بالك.. القطة كبرت خلاص وطلعلها سيوف مش ضوافر.. "هند" بتاعت زمان انساها خالص، بص..

سواء أنت اللي خلصت الحتة دي أو غيرك فأنا هاخرج بيها وأنا مسافرة وبأي ثمن، حتى لو نزلت المقابر بنفسي ومعايا خمسين شيخ من بتوعك اللي مش عارفين يفتحوا حتة مقبرة، وخد بالك.. كل اللي فات ده كان بمزاجي، ولو لعبت معاية بعفاريتك اعمل حسابك أنا معايا اللي يحميني، وما بقيتش أخاف زي زمان، وهاضحي بيك حتى لو كان إني أبلغ عنك شرطة الآثار يا.. يا باشا.. ومعايا ملفات كاملة ليك أنت واللي مشغلينك واللي حامييينك، سلام.

وبعدها أغلقت الهاتف وأنزلت زجاج السيارة وظلت تنظر إلى الشوارع من حولها، وعادت بسمتها المتحجرة مرة أخرى إلى محياها ووجهها الجميل.

****

هاتف يرن داخل مكتب التحقيقات، وما زال "أحمد" واقفًا أمام الملفات المعلقة والصور المتناثرة على الحائط وهو في تركيز كبير وعميق، حتى إنه لم يسمع

الهاتف في أول الأمر، ولكنه سرعان ما تنبَّه واتجه ناحيته مشيرًا إلى "فؤاد" الذي كان على وشك الرد.

رفع سماعة الهاتف وقال:

الرائد أحمد الشريف.

جاءه الرد كصفعة مدوية أصابته من اللواء "عثمان حماد" قائلًا:

ما أنا عارف يا حضرة الرائد إنك أحمد الشريف، أمال أنا باتصل بسعادتك ليه؟ معاك اللواء عثمان حماد.

ارتبك "أحمد" وقال:

أيوة يا فندم.. أنا آسف.. تحت أمر سيادتك.

قال اللواء "عثمان" معنفًا:

خليك أنت نايم على ودنك لحد ما الدنيا هتتطربق فوق نافوخنا، افتح يا بيه التليفزيون وشوف إعادة البرنامج بتاع المذيعة اللي ماتت اللي اسمها "نرمين"،

اللي كنا بنحاول نخبيه عن الرأي العام انكشف، وفي عيِّل جديد هتلاقيه بيكمل البرنامج وهيقلب الدنيا علينا، اتحرك شوية يا سيادة الظابط.

فتح "أحمد" التلفاز وأخذ يقلب بين القنوات فوجد البرنامج المقصود وظل يتابع ثم قال:

تعليماتك يا فندم حاضر، تعليماتك.

هدأ صوت اللواء "عثمان" وقال:

الوزير لسه قافل معايا وقلقان إن في قاتل داير يقتل لحد دلوقتي 4 وإحنا مش عارفين نمسكه، أمال إحنا لازمتنا إيه في البلد دي؟ ده إحنا لو عاوزين نجيب الدودة من بطن الحجر بنجيبها، مش عارفين نجيب واد زي ده؟ اشتغل يا حضرة الظابط، وإياك أي معلومة عن الـ4 ضحايا تخرج للإعلام، هوقفك عن العمل.. أنت فاهم؟

تعرَّق وجه "أحمد" وقال بصوت خفيض:

- فاهم يا فندم.. فاهم.

- قدامك أسبوع بالكتير تكون جبت الواد ده وخلصتنا من البهدلة دي، يا إما هاكلف حد غيرك بالقضية، أنت إيه اللي حصل لك ده؟ أنا جت لي توصيات كبيرة عليك عشان كده كلفتك بالقضية دي، وعرفت إنك ظابط شاطر من ملفك طول فترة خدمتك، وإنك أكفأ واحد في المباحث، اتصرف وخلصنا من البلوة دي، سلام. سلام يا سيادة اللواء، تعليمات معاليك.

أغلق الهاتف ونظر إلى "فؤاد" وإلى الشيخ "بلال" والطبيب النفسي "جلال" الذي يقرض أظافره باستمرار، وقال:

سيادة اللواء قال لي إن قدامنا أسبوع ونمسك القاتل قبل ما يغيرنا ويوقفنا عن العمل.. إحنا لازم نتصرف.

وقف الطبيب النفسي "جلال" وقال:

إحنا كل واحد فينا يفكر ويحط احتمالات.. مثلًا اعتبر نفسك مكان القاتل وتخيل دوافعه، هتشوفه وتحس

بيه وتعرف نقطة ضعفه، هو دايمًا أبعد واحد عن الشبهات، وواقف بيتفرج من بعيد علينا، إحنا ليه بنلف في دايرة؟ ما تيجي نفكر بره الصندوق شوية.

قال "أحمد" مستفسرًا بقلة صبر:

يعني عاوزنا نعمل إيه؟

قال الطبيب "جلال":

ندور يا أحمد بيه على عامل مشترك بين الأربع ضحايا دول هنقدر نوصله بكل سهولة.

نظر "فؤاد" إلى الطبيب النفسي "جلال" وقال:

صح.

(8)

"النار لغز من ألغاز الحياة، فهي إن كثرت أهلكت، وإن قلَّت افتُقِدت، غريبة هي، من استعان بها للتدفئة نفعته، ومن احتفظ بها بين ضلوعه أضرته هو ومن حوله، هل تشعر بها الآن بين ضلوعك؟ لا تجب الآن، فقط أكمل وستدرك كل شيء في وقته".

****

أفاق "أحمد" من نومه، نظر إلى زوجته "فريدة" فلم يجدها، شعر بالبرد، ونظر عبر الحجرة المظلمة ليلمح ستائرها ترفرف من أثر الشرفة المفتوحة، وقف على قدميه وسارع في خطواته المتحفزة، وصل إلى الشرفة ليجد زوجته تعتلي السور وهي ممسكة بكتاب أسود تقرأ ما به بلهجة مختلفة وصوت مخيف، ارتبك وازداد خوفه وحاول الاقتراب، ولكنها سرعان ما نظرت له برقبة تنسل منها الدماء وقفزت من الشرفة لتقع أسفل العقار على سيارته، وترسم دماؤها السائلة

نجمة سداسية الشكل وهي تنظر إليه وتشير مستغيثة به.

فزع "أحمد" وجلس على فراشه في خوف وقطرات العرق تملأ جبينه، لقد كان يحلم، أفاقت زوجته بعد أن شعرت بفزعه من كابوس أقلق منامه، هدأته وهي تحتضنه، نظر إليها ثم قبلها وهبط من على الفراش مفزوعًا، وذهب كي يغتسل، وعندما فرغ عاد إلى غرفته وارتدى ملابسه، نظر إليها في خوف ثم ابتسم ورحل إلى عمله الذي تداخل مع حياته الشخصية بشكل مفزع وكبير حتى وصل إلى أحلامه.

****

داخل فيلا عالية الأسوار كبيرة المساحة الخضراء، يجلس بالقرب من مغطس سباحة "عدنان"، ذلك الشاب الوسيم، وأمامه رجل الأعمال "وجيه غالي" يشربان القهوة.

أعطى "عدنان" إلى "وجيه" بعض الصور والأوراق ليتفحصها في تريث.

أنت جبت الصور دول منين يا عدنان؟ أنت عارف إنك ممكن تقلب بيهم الدنيا لو طلعت بيهم الحلقة الجاية؟

قالها رجل الأعمال المعروف وصاحب مجوعة قنوات فضائية "وجيه غالي"، وهو ممسك بأربع صور للضحايا الأربعة وهم مذبوحين وبعض جلودهم مسلوخة.

ابتسم "عدنان" وتباهى وهو ينظر لها وقال:

أنا مش بالعب يا وجيه بيه، أنا برضو ليا سككي في الداخلية، شغلتي وأنا حريف فيها.

ابتسم "وجيه" وقال:

أيوة يا ابني بس إزاي هتذيع الصور دي على الشاشات؟ أنت هتولع الدنيا لما يعرفوا الناس إن الأربعة دول ماتوا في وقت قصير وبنفس الطريقة، وإن الداخلية لسه مش عارفة تجيب القاتل.

رد "عدنان" بانفعال:

هو ده قصدي.. لأن القضية بتاعت "نرمين" ما بقيتش ليها لوحدها.. دي بقت رأي عام.. ولازم أجيب حقها هي واللي ماتوا قبلها، هو مش أنت كمان عاوز تجيب حقها؟

نظر العجوز إلى صورة تخص "نرمين" وقال:

طبعًا، دي بنتي، أنا اللي مربِّيها، بص أعلن إن الحلقة الجاية في مفاجأة بالصور والمستندات وإنك هتقول كل حاجة، واقلب الدنيا لحد ما تجيب حق "نرمين"، ومالكش دعوة بالداخلية، إحنا لينا سلطتنا برضو في البلد وفي حرية الإعلام، يلا حالًا.

ابتسم "عدنان" وهو يقف وقال:

تمام يا وجيه بيه، تمام.

****

وصل "أحمد" إلى مكتبه وسط التحيات العسكرية، دخل مكتبه ليجد الضابط "فؤاد" يغط في النوم على أحد الكراسي داخل المكتب، وكذلك الشيخ "بلال" على

كرسي آخر، تحرك ببطء حتى لا يوقظهما فيبدو أنهما ناما إرهاقًا وتعبًا، علق "البالطو الأسود" الخاص به، وعاد ليجلس على مكتبه، أضاء "الأباجورة" بنورها الخافت ليجد "4" كتب سوداء متراصة فوق بعضها البعض، أمسك أحدها ونظر إليه تحت الضوء الخافت، فوجده "كتابًا لونه أسود بالكامل، عدا كلمة مكتوبة باللون الذهبي بشكل غريب".. حاول أن يقرأها بصوت مسموع لنفسه فنطقها هامسًا "سفر القتل"، فزع وتذكر الحلم ومنظر الدماء السائلة من رقبة زوجته "فريدة"، ولكنه تماسك وقال بصوت عالٍ ليوقظهما:

إيه الكتب دي يا فؤاد؟ فؤاد؟

أفاق "فؤاد" فزعًا ومعه الشيخ "بلال" الذي ظل يبسمل في خوف، اعتدل فؤاد وقال:

صباح الخير يا أحمد بيه.

أمسك"أحمد" أحد الكتب السوداء وقال:

صباح الخير.. إيه الكتب دي؟

وقف "فؤاد" واقترب من "أحمد" ثم قال:

ده الشيء الوحيد اللي لقيناه مشترك في بيوت الأربع ضحايا، كتاب أسود فيه تعاويذ وطلاسم وطريقة تحضير وصرف شياطين وجن.

وضع أحمد الكتاب فوق الآخرين واتجه خلف مكتبة وقال:

أنت إيه رأيك يا شيخ بلال في محتويات الكتب دي؟

رد الشيخ "بلال" في خوف:

الكتب دي يا أحمد بيه سفلية.

أخرج "أحمد" علبة سجائره وأخرج واحدة وأشعلها ثم قال:

يعني إيه سفلية؟ أنا ما بفهمش الكلام ده.

تحدث "بلال" شارحًا:

- سفلية يعني اللي بيتعامل معاها بيتعامل مع شيطان بكل قوته وملكه، وبيبقى عارف عواقب اللي بيعمله، الكتب دي نادرة جدًّا، والكتابات اللي فيها قديمة، وبيكون فيها عهد مع شياطين معروفة جدًّا بقوتها وأذاها وشرها.

أخرج "أحمد" نفسًا مليئًا بالنيكوتين ثم قال:

- وتفتكر إن الكتب دي كانت عند الضحايا دي بتعمل إيه؟ والله يا أحمد بيه دي فيها تعاويذ استعانة بملوك الجان وأقوى الشياطين في حاجات كتير، زي طلب الأذى والمال، وطلب الخلفة، وطلب الانتقام والقتل، وحاجات تانية كتير.

وضع أحمد يده على رأسه خوفًا من ذلك الكابوس الذي تسلل إلى رأسه من جديد وجعله يشعر بخوف ظهر عليه واضحًا متجلٍّ أمام "فؤاد" و"بلال"، ولكنه سرعان ما فكر بطريقة عملية وقال:

- وصلت لأي حاجة جديدة من الورق ده يا شيخ "بلال"؟

- وصلت يا أحمد بيه، بص وراك على اللوحة وأنت تعرف إني ما نمتش طول الليل لحد ما وصلت للضحية الخامسة واسمها بالكامل ومعاد قتلها كمان.. بس مش فاضل غير المكان. طب مستنى إيه؟ يلا نتحرك يا فؤاد.

نظر خلفة ليجد الأسماء متراصة داخل مربعات، بكل مربع اسم حتى وصل إلى آخر مربع به التاريخ ومكتوب "الاسم الخامس - هند منصور الزيني - بتاريخ اليوم 21/2/2016" فقال مسرعًا:

- فؤاد هات لي كل المعلومات عن الاسم ده وعنوانها ورقم تليفونها، وفي أقل من ساعة لازم نكون عندها ومحاوطين المكان بالكامل وعاملين كمين صح لابن الكلب ده.

- تمام يا أحمد بيه.. أنا عملت كده بالفعل.. وخلال دقائق المعلومات هتكون قدامنا.. بس تفتكر هنلحقها؟ لازم نلحقها يا فؤاد، أنت فاهم؟ لازم نلحقها، مافيش قدامنا طريقة غير دي.

طرق الباب ودخل "موسى" ومعه ملف به عدة أوراق وأعطاه لـ"فؤاد" الذي قرأه سريعًا ثم أعطاه إلى "أحمد"، الذي قال بعد أن أنهاه:

يلا نتحرك على العنوان ده.. وهنكلمها في الطريق وإحنا رايحين ليها، خلي كل القوات تتحرك يا "فؤاد".. وأنت يا شيخ "بلال".. لو لحقناها هتبقى أنقذت روح ووصلتنا للي قتل" 4" قبلها، تعالى معانا يلا.

ثم خرج مسرعًا، ودوَّت أصوات عربات الشرطة المعروفة من عدة سيارات ومدرعات تحركت بتشكيل يرهب من يراه.

****

في أحد الطرق التي تؤدي إلى قرية نائية بمحافظات الصعيد، سيارة دفع رباعي تقترب من وادٍ شبه مهجور من ساكنيه، يهبط رجل يرتدي زيًّا مخالفًا لأهل الصعيد يترجل على قدميه حتى يدنو من مجموعة رجال يحفرون بهمة داخل حفرة عميقة تصل إلى 3 أمتار، ينظر لهم من أعلى، ثم يظهر من جانبه رجل يرتدي جلبابًا أسود يقال له الشيخ، وينظر إلى داخل الحفرة، أغمض عينيه وأخذ صدره يعلو ويهبط سريعًا، وفجأة فتح عينيه في خوف وذعر ثم قال لهم في حدة:

بس، بس أنت وهو، كفاية واخرجوا بسرعة، الرصد خارج عليكم.

يمسك الرجال بسرعة الحبال ويتسلقون مسرعين، لتتعالى الرمال من كل جانب وتغطي الحفرة بالكامل وتدفن كل من كان فيها من الرجال.

ينظر الرجل بخوف إلى الشيخ ويستفهم عما حدث، ليجيبه الشيخ قائلًا:

الرصد هنا قوي يا بيه، وربنا يستر علينا منهم.. دول ما بيخلُّوش.

(9)

"تترامى الضحايا أمامك وتتكاثر الدماء، أعلم بما تشعر الآن، فقد شعرت به من قبلك، لن أكون متساهلًا معك، فيجب أن أعطيك الجرعة كاملة، وأنتظر غريزتك لتتحرك وتحاول إرشادك لما يحدث، التزم الصمت وأكمل".

****

محاولات من تكرار المكالمات التي يجريها "أحمد" وتنتهي بعدم الرد من قبل "هند"، الشيء الذي أقلق أحمد، فقال عبر جهاز الإرسال:

كل الوحدات تكون جاهزة ومتأهبة.. إحنا خلاص قربنا على المكان، الانتشار يكون سريع وكل المخارج تتأمن كويس، مش عاوز غلطة، دي حياة إنسانة.

جاء الرد بالكثير من كلمة "تمام يا افندم" التي استمع إليها "أحمد" وهو شارد ويشير إلى السائق بأن يسرع

في القيادة، وبعدها تلقى مكالمة من اللواء "عثمان حماد".

- أخبار التحركات إيه يا سيادة الرائد؟

- تمام يا سيادة اللواء، إحنا خلاص قربنا على بيت "هند" وهنكون مطوقين المكان بالكامل ومأمنين مداخل ومخارج "المريوطية" كلها، وفي أكتر من كمين متواصلين معاه بشكل مستمر. تمام يا "أحمد"، مش عاوز أي غلطة، ويا ريت تمسكوه النهارده لأن الموضوع طوِّل أوي وبوَّخ.

نظر "أحمد" إلى ساعته وقال:

- أوعدك يا فندم هنمسكه في أسرع وقت ومش هيفلت المرة دي.

- بالتوفيق.. وعاوز أسمع أخبار حلوة. تعليمات سيادتك يا فندم، مع السلامة.

أنهى المكالمة وحاول الاتصال مرة أخرى بـ"هند" التي أجابت بصوت ضعيف مرتعب قائلة:

ألو.. ألو، أنت مين؟

أخذ نفسه وقال مسرعًا:

أنا الرائد أحمد الشريف، إحنا بنحاول نتصل بيكي من فترة وأنتِ مش بتردي، إحنا عندنا معلومات إن حياتك في خطر، مكانك فين؟

تظهر معالم الخوف على صوت "هند" وتقول:

الحقوني، أنا في بيتي في المريوطية، أنا حد بيحاول يدخل الشقة بقاله شوية.. وأنا مستخبية في أوضة النوم ومش عارفة أعمل إيه.

يفزع "أحمد" مما تقوله.. ثم يكمل:

إيه! طب خليكي مكانك وإحنا هنوصلك في دقائق، إحنا أصلًا يعتبر عندك، خليكي هادية وما تتحركيش وخليكي معايا على التليفون ما تقفليش.

بصوت ضعيف ترد:

حاضر.. حاضر.

صوت زجاج يتهشَّم، وهناك صوت أشبه بحيوان يزأر، وبعدها دوى صوت صريخ "هند" وهي تقول:

إيه ده؟ إيه ده؟ لا.

تتبدَّل ملامح "أحمد" إلى الخوف والعصبية وهو يقول بصوت مرتفع:

هند؟ هند! إيه اللي بيحصل عندك؟ هند؟

فلم يحصل على إجابة ثم أغلق الخط، ظهرت معالم الخوف على وجهه وصاح في الجميع عبر جهاز اللاسلكي:

كل الوحدات بسرعة في أماكنها.. إحنا وصلنا خلاص، واحتمال يكون القاتل وصلها قبلنا، بسرعة.

بعد دقائق قليلة توقفت السيارة وهبط "أحمد" منها مسرعًا وخلفه "فؤاد" وعدد كبير من عناصر الشرطة، بينما اعتلى آخرون أماكن عالية من المباني المجاورة، وأعدوا سلاحًا للقنص في أكثر من مكان، وأغلق البقية كل مداخل المكان.

وصل "أحمد" إلى الشقة التي تقطن بها "هند" وأمر بكسر الباب وإطلاق النار على أي هدف متحرك بخلاف "هند"، برودة الظلام تستعمر البيت كله من الداخل، وهناك صوت أنفاس متقطعة لشخص يتألم قادمة من غرفة النوم، دخل "أحمد" بحذر معتمدًا على كشاف إنارة يمسكه بيد وبالأخرى سلاحه، لمح شيئًا قابعًا وسط الغرفة، أضاء النور، ليجد "هند" تقطر دمًا من رقبتها بغزارة وقد سلخ معظم جلد جسدها، وهي تشير إليه في محاولة يائسة للتعلق بالحياة، هرول إليها في خوف وقد تيقَّن أنه خطا فوق دمائها التي ملأت الغرفة بالكامل وصبغت أرضها، وضع فستانًا خاصًّا بها على رقبتها محاولة منه لوقف النهر الجاري من دمائها، ولكن لم يتوقف نحرها عن إفراغ دماء

الحياة وأصبح الموت أقرب، أرادت التحدث ولكن لا جدوى فقد قطعت أوصال صوتها وفقدت القدرة على التحدث، ولكن عينيها روت الكثير مما رأته من رعب وفزع، طلب أحمد طبيبًا وهو يصيح، أمسكت بملابسه وجذبته بشدة وهي تنظر إلى داخل عينيه الدامعتين ووضعت ورقة بيده ثم فارقت الحياة وسط دموعها وصوت روحها المعذبة، تركها أرضًا بتروٍّ وهو يمسح وجهه الذي اكتسى بالدماء، وقف ونظر إلى الورقة، ثم نظر إلى من حوله في غضب وخوف، ليلمح نجمة سداسية قد رسمت بدماء "هند" التي ما زالت دافئة على حائط قريب من جثمانها المشوه.

يضع الجميع يده على رأسه من الفشل والعجز الذي عشش داخل عقولهم وأحبط من عزيمتهم، فكل تلك المجهودات باءت نتائجها بالفشل، وتمكن واحد من اختراق الحاجز المنيع وتلاعب بهم جميعًا كطفل يلهو بدمية لا إرادة لها.

****

بعد عدة ساعات وفي مكتب اللواء "عثمان حماد"، يقف الضابطان كتلميذين ضعيفي المستوى أمام معلمهما القاسي ينهرهما بشدة قائلًا:

يا بهوات الداخلية كلها مقلوبة بسبب الملف ده، ولأول مرة في تاريخ مصر من ساعة ربنا ما خلقها يحصل كده، 5 يموتوا وفي وقت قريب أوي يمكن أقل من شهر وبنفس الطريقة وإحنا بنلف حوالين نفسنا، أنا عاوز رد مقنع يخليني ما احوِّلكُمش للتحقيق إنتم الاتنين، حد يرد.

رد "أحمد" محاولًا الدفاع عن نفسه وعن "فؤاد" الصامت:

يا سيادة اللوا، إحنا كنا قريبين جدًّا المرة دي، وكنا خلاص هنمسكه، بس...

قاطعه صوت اللواء "عثمان" المرتفع:

بس إيه يا أحمد باشا؟ يا أكفأ ظابط في الجهاز، بس إيه؟

رد "أحمد" بصوت منخفض:

كان يا فندم أسرع، هو دايمًا سابقنا بخطوة.

ابتسم اللواء "عثمان" ابتسامة ساخرة وهو يقول:

قول لي كلام مفهوم ويدخل دماغي، هو ده اللي هتقوله للرأي العام يا سيادة الرائد؟ أصله أسرع مننا! دا إحنا بنلعب سباق سرعة أهو.

قال "فؤاد" بصوت ضعيف:

- لو سمحت يا فندم ممكن أتكلم؟

- اتفضل يا سي فؤاد.

- أنا عندي رأي مختلف وعاوز أوضح لحضرتك نقطة غايبة. إيه بقى النقطة الغايبة؟

تقدم "فؤاد" إلى الأمام ووضع مغلفًا أمام اللواء "عثمان" على المكتب..

- اتفضل.. الملف ده فيه كل حاجة.. ومعاه سي دي أعتقد إن حضرتك لازم تطلع عليه. هات يا سيدي لما نشوف الحجج.

بعد أن اطلع اللواء "عثمان حماد" على ملفات الضحايا وعلى الكتب التي وجدوها بمحل الجريمة والفيديو الخاص بالضحية "مرفت نور الدين"، تغير وجهه وظهر الخوف والفزع على معالمه التي تخفي عمرًا مديدًا من الخبرة في القضايا، فقال:

يعني إيه الكلام ده؟ وليه أول مرة أشوف الفيديو ده والكتب دي؟

رد "فؤاد" باندفاع:

كنا شاكين في الموضوع يا سيادة اللواء.. وكمان "أحمد" دايمًا مستبعد فكرة الشياطين والجن.

نظر اللواء "عثمان" إلى "فؤاد" وأشار إلى "أحمد" وقال:

هو عنده حق.. بس لو ما كانش فيه الفيديو ده، كده في حاجة غلط، روحوا كملوا شغلكم دلوقتي وإوعوا حد يشم خبر عن الفيديو ده، وعندكم مهلة لحد الأسبوع الجاي، لو ما وصلتوش لحاجة هاعفيكوا من الملف ده وهاعيِّن حد بدلكم، بس الأول هاتأكد من حاجة، انصراف.

وقف الضابطان وأديا التحية العسكرية، وفي طريقهما إلى الخروج نظر "أحمد" إلى "فؤاد" معاتبًا إياه.

****

في مكتب "أحمد" الذي تحول إلى قاعدة عمليات عسكرية خالية من كل الأثاث إلا من عدة كراسٍ مترامية ومكتب يستخدم كدرجة للصعود فوقه، ولوحة عملاقة مرسوم بها جدول مكون من "6" خانات مكتوب في أول خمسة خانات الخمسة أسماء للضحايا ووقت ارتكاب الجريمة، وظلت الخانة الأخيرة خاوية للاسم السادس، وتم إضافة عمود آخر للمكان، وفي الجهة الأخرى يضع الشيخ "بلال" أمامه

عدة لوحات مرسوم بها محتوى الخمس ورقات، وبجانبهم نجمة سداسية أصبحت مألوفة للجميع.

طرق الباب ودخل "فؤاد" وبيده ملف الضحية الجديدة ومعه صندوق، فلم يلتفت إليه لا "أحمد" ولا الشيخ "بلال"، فالكل مشغول بما يفعل، نظر إليهما وقال:

أحمد باشا! في حاجة ضروري تشوفها.

التفت له في بطء وأمسك بالملف ومعه الصندوق ووضعهما على المكتب وبدأ في قراءة الملف، ثم فتح الصندوق ليجد نسخة جديدة من ذلك الكتاب الأسود، فأخذه ووضعه فوق الأربعة القدامى، وظل ينظر إليهم في رعب وقال:

دكتور سامي خلص تقريره عن الجثة دي ولا لسه؟

رد "فؤاد":

هيكون جاهز النهارده، أنا لسه قافل معاه، أنت عارف يا أحمد إحنا لازم ندور شوية في حياة المجني عليهم،

أكيد في حاجة مشتركة بينهم غير الكتاب ده.

التفت أحمد وظل ينظر إلى الخمس صور المعلقة للضحايا قبل قتلهن وهو يستمع إلى كلمات فؤاد..

يعني أكيد في عامل منطقي أو سبب لكل اللي بيحصل.

نظر أحمد إلى فؤاد وقد لمعت عيناه وقال:

- هو إحنا ليه ما فكرناش ننبش كده وراهم؟ يعني آخر أيام ليهم كانوا فين وبيكلموا مين وجابوا الكتاب ده منين؟ ما هو حاجة من الاتنين، يا إما في شيء منطقي بيربطهم ببعض، يا إما القاتل ده بيسوحنا ومودِّينا في سكة تانية وبيرمي لنا كل الحاجات دي عشان يكون هو سابقنا بخطوة.

- صح، يبقى إحنا كده لازم ندور شوية ونرجع لكام حاجة، زي شركات الموبايل مثلًا هتنفعنا، وكمان لو في أي حاجة تربطهم ببعض. تمام يا فؤاد، اتحرك وهات المعلومات دي في أسرع وقت، إحنا قدامنا أسبوع

بالكتير، ومش هنسيب الملف ده إلا وإحنا واصلين لحاجة في القضية دي على الأقل.

خرج فؤاد مسرعا وامسك أحمد باحد الكتب الخمس وبدأ في قرائة اول صفحاتة وقال موجها كلامة إلى الشيخ "بلال"....

تفتكر في حاجة اسمها جن وشياطين و عفاريت يا شيخ بلال؟ولا كلة دجل وخذعبلات؟

لم يجبه الشيخ "بلال"، بل نظر إليه وعاد مرة أخرى إلى الكتابة على اللوحات ومحاولة فك طلاسم الورقة الخامسة، ثم نظر إليه مرة أخرى، وقال:

ما أنا لو قلت لك مش هتصدق برضو.

****

داخل استوديو يستعد "عدنان ثابت" بابتسامة يشوبها الفخر والغرور لحلقة جديدة ويضع "المايك" ويعدل من ملابسه وهو يتحدث إلى "وجيه غالي" مالك القناة التي يعمل بها، وهو يقول:

- يا باشا هتشوف النهارده الشارع مولَّع بعد الحلقة دي، أنا محضر لهم مفاجأة هتقلب الدنيا وهتخلي الرأي العام يتحرك، وهتخلي القناة تعلا فوق أوي.

- أنا واثق فيك يا عدنان.. بس لو تقول لي بتجيب المعلومات دي منين هكون مطَّمن أكتر.

- يا وجيه بيه أنا ليا طرقي، ما تقلقش عليا، المهم حضرتك تكون في ضهري لحد ما أجيب حق اللي ماتوا. ربنا معاك.

أنهى المكالمة ودخل إلى مكانه خلف المكتب المزين، وتلك الخلفية الجذابة التي تعطي الإيحاء بالأهمية القصوى لتلك النوعيات من الحلقات التي تلقى رواجًا كبيرًا بين فئات الشعب المختلفة، وبدأ الحلقة قائلًا:

"من غير مقدمات تضيع وقت الحلقة الثمين مننا، أنا هابدأ على طول لخطورة إلى هاقوله حالًا، هيظهر على الشاشة قدام حضراتكم 5 صور خليكو حافظين وشوشهم كويس، عشان كمان شوية هاورِّيكم حصل

لهم إيه، الخمسة ستات، واللي فيهم آنسات لسه، ماتوا بأبشع الطرق وفي أوقات قريبة جدًّا من بعض، وبنفس الطريقة، وهي سلخ الجلد وبعد كده الدبح، ودي صورهم بعد القتل اللي قدام حضراتكم، أنا طبعًا باعتذر عن بشاعة الصور، بس الغرض من ده حاجة واحدة، هي ليه الناس دي ماتت؟ وليه بالطريقة دي؟ والأهم بقى.. ليه الداخلية ساكتة ومش عاوزة تطلّع خبر عنهم ولا عاوزة الناس تعرف حاجة؟ الجرائم دي حضراتكم تمت في سرية، ووزارة الداخلية ما قالتش حاجة، أنا عاوز دلوقتي حد من مسؤلي وزارة الداخلية يتصل ويعمل مداخلة ويفهمني إيه اللي بيحصل، 5 ماتوا يا جماعة بالطريقة دي ولسه في توقُّع إن ناس تانية تموت، يعني ممكن حضرتك أو أخت حضرتك أو مرات حضرتك أو بنتك أو أنا شخصيًّا يكون الدور عليا، لازم نعرف إيه اللي بيحصل، ومين المجنون اللي سايب في الشارع ده وعمال يموِّت في بنات وستات، الصور دي أكبر دليل على إن في تقصير كبير من وزارة الداخلية، وتقصير من كل المصريين في حق الناس اللي ماتت دي، أنا باطالب من خلال البرنامج ده النائب

العام إنه يجهز ملف ويتحرك لأن اللي بيحصل ده مش خاص بأهل الضحايا وبس، لا ده ليه علاقة بمصر كلها، باعتذر مرة تانية عن الصور، وبما إن مافيش حد اتصل بينا يبقى أنا كنت صح، أوعدكم إن الحلقة لسه فيها مفاجآت كتير، وهاقولكم أسماء الضحايا وملابسات القضية، والحلقة دي واللي جاية هتكون فيها إجابات وتطورات كبيرة ومرضية، تابعونا وفعّلوا الهاش تاج ده "#ابحث_مع_الشرطة"، وخلوه يلف العالم وكل المواقع، يمكن الداخلية تتحرك شوية أو يفهّمونا في إيه بالظبط، خليكو معانا لبعد الفاصل".

(10)

"التحدي بدأ منذ اللحظات الأولى التى لمست فيها قدم الإنسان تلك الأرض، أرض أم سجن أم اختبار؟ لا داعي للتشتت الآن، القادم أشد وطأة وأكثر تعقيدًا، لا ترهق نفسك الآن".

****

أفاق "أحمد" على نفس الكابوس المفزع الذي يرى فيه زوجته تموت وهي تحمل كتابًا أسود، أصبح كابوسه منذ أن رآه في المرة الأولى، فزعت زوجته وأخذت تمسح عرقه بيدها وهي تحتضنه وتخفف توتره الملحوظ وقالت:

مالك يا حبيبي؟ أنت بقيت تحلم بكوابيس كتير.

جلس على الفراش واحتضنته هي من الخلف وقال:

أنا فعلًا بامر بفترة صعبة جدًّا في شغلي، معلش استحملني يا حبيبتي، هانت.. وكل حاجة هتبقى كويسة.

قبلته من خده وقالت متسائلة:

- إنتم لسه ما مسكتوش القاتل ده يا أحمد؟

- مش قادرين نحدد هو عايز إيه وبيتحرك إزاي، دايمًا سابقنا بخطوة وأسرع مننا.

- أكيد هتقدر عليه يا حبيبي.. أنا عارفاك ما بتسيبش حقك. وهو ده اللي مطمِّني ومخوفني، إني ما باعرفش أنسى ولازم آخد حقي.

ثم ترك الفراش واتجه إلى الخزانة وبدأ يرتدي ملابسه ليتجهَّم وجهها وتقول:

أنت رايح فين بس؟ الساعة 3.

يضع "أحمد" سلاحه في جانبه ويقول:

هو أكيد مش نايم.. وأنا ما ينفعش أنام وهو صاحي لنا ومركز، معلش يا حبيبتي.

ثم قبلها وغادر مسرعًا وفي عينيه نظرات خوف وغل.

****

في أحد أماكن الرقص "الديسكو"، ووسط الصخب من سماعات عالية التردد، يتراقص "عدنان ثابت" بين عدد كبير من الفاتنات ويشعر باهتزاز في جيب بنطاله، فيخرج هاتفه سريعًا ليجد اتصالًا من اسم سجله "المصدر" فينتبه ويخرج مسرعًا بعيدًا عن الصخب ويرد:

أنت على طول تلفونك مقفول كده؟ أنا حاولت أتصل بيك كتير وما عرفتش.

يأتيه الرد صادمًا من صوت معدَّل فيبدو متضخمًا:

- ومش هتعرف، أنا بس اللي أقدر أتصل بيك وأوصل لك وما تحاولش تدور عليا، أنت فاهم؟ خلاص يا عم فاهم.. بس أنت ليه دايمًا بتتصل بيا مغيَّر صوتك كده؟ ما أنا باعمل اللي اتفقنا عليه أهو؟

جاءه الرد بحدة..

- وبتاخد أجرك كويس، يبقى ما تسألش.. أنت تنفذ وبس، فاهم؟ خلاص يا عم أنت حمقي أوي، أنا كان قصدي نوطّد العلاقات، أصل أنا مستغرب أنت بتجيب المعلومات دي منين وبتشتغل لحساب مين!

صاح الذي يحدثه بحدة:

- أنا فاهمك أكتر من نفسك وعارف كل بلاويك، فما تحاولش تلعب اللعبة دي معايا، أنت هتعمل كل اللي أقولك عليه وبالحرف، وتاخد فلوسك وأنت ساكت، لو زودت على كلامي هخلص منك في ثانية عشان أنت عبارة عن ماكيت أنا بحركه، وعندي زيَّك كتير أوي.
تمام، أنا ما اقصدش، طب الخطوة الجاية إيه؟

هدأ من يحدثه وقال:

اسمعني كويس لأني مش هاعيد كلامي، والغلطة عندي بروح لازم تطلع من رقبة حد، أصل دي موهبتي في الحياة.

****

وصل "أحمد" إلى مكتبة وسط الظلام، فتح بابه وشعر ببرودة شديدة، وأحس بخوف دخيل، فتح الأنوار وأغلق خلفه الباب، علق معطفه وأخذ شهيقًا باردًا ملأ به صدره القلق وطمأن قلبه للحظات قبل انقباضة من رؤية كلمة "فريدة" مكتوبة في المربع السادس على تلك اللوحة التي علقها، اقترب ببطء وذعر ليتأكد حتى وقف أمامها، وتأكد من صحة الكلمة، فصاح ليفزع النائمين "فؤاد" والشيخ "بلال" والطبيب النفسي "جلال" وهو يصيح:

شيخ بلال؟ شيخ بلال؟ فريدة إيه؟ هه؟ فريدة إيه؟ اسم أبوها إيه؟

يعتدل الشيخ "بلال" في فزع وهو يحاول استيعاب الصوت الذي هبط كرعد من السماء أوشك على الفتك به وتمزيق قلبه وقال:

في إيه؟ إيه؟

أشار "أحمد" إلى اللوحة فوق مكتبه وقال قلقًا:

فريدة؟ المربع السادس؟ اسمها فريدة إيه؟

وقف الشيخ "بلال" في اضطراب وقال:

حاضر.. ثانية واحدة.. هاقوم أفك المربع التاني حالًا، في إيه بس؟

بارتباك ظاهر على وجه "أحمد":

اخلص يا شيخ بلال، يا فؤاد؟

وقف "فؤاد" ومسح رأسه وقال:

أيوة يا أحمد واخد بالي، إهدا بس.. أنا ما رضيتش أكلمك إلا لما الصبح يطلع، إهدا بس وهنشوف الموضوع إيه، يمكن مش هي.

اعتدل الطبيب النفسي "جلال" من نومته وقال:

هي مين فريدة دي؟

قال "فؤاد" بهدوء:

استنى بس يا دكتور جلال.

بإلحاح شديد قال "جلال":

أنا لازم أعرف مين فريدة اللي كنت هتموتنا عشان اسمها مكتوب.

رد "أحمد" باندفاع:

مراتي يا دكتور.. خلاص!

جلس الطبيب "جلال" بعد أن سمع الرد وأخذ يحك رأسه في خوف ظاهر على ملامحه، بينما ظل الضابطان يقفان خلف الشيخ "بلال" في تأهب لاسم الأب الذي سيستخرجه بعد قليل.

****

طرقات على استحياء، وبعدها عدة رنَّات لتتجه "فريدة" إلى باب الشقة وتنظر من "العين السحرية"، لتجد رجلًا يحمل بيده صندوقًا صغيرًا، فتحت الباب

لتجد شابًا يعمل بإحدى شركات التوصيل وبيده صندوق صغير وبعض الأوراق، فسألته:

أفندم؟

قال "الشاب" وهو ينظر إلى اللوحة الملعقة بجانب الباب:

مش حضرتك ده منزل الرائد "أحمد الشريف" ؟

أجابت "فريدة":

تمام مظبوط.

مد "الشاب" يده بالصندوق وقال:

تمام اتفضلي حضرتك الطرد ده.. وممكن تمضي لي هنا بالاستلام؟

سحبت "فريدة" يدها بعد أن مدتها وقالت:

إيه الطرد ده؟ ومين اللي باعته؟

أنكر الشاب معرفته وقال:

- مش عارف حضرتك.. بس كل حاجة تقريبًا جوه الصندوق. طب هو أحمد مش موجود عشان يستلمه.. ممكن حضرتك تروح مكتبه وتوصله له.

أجابها الشاب:

الطرد باسم حضرتك مش باسم أحمد باشا.. ومبعوت على العنوان ده.. هو مش حضرتك "فريدة متولي الشريف"؟

ظهرت معالم التعجب على وجهها وقالت:

- تمام، صح. تمام الطرد عشان حضرتك، هاستأذنك توقعي هنا.

أمسكت الصندوق بعد أن مضت على الأوراق في استغراب، أغلقت الباب بعد رحيل الشاب، دخلت إلى غرفتها، فتحت الصندوق في خوف وفضول، لتجد كتابًا أسود يحمل اسم "سفر القتل"، نظرت إليه برهبة

انتابتها فجأة، ولكنها سرعان ما شعرت بفضول رهيب لتصفحه، فبدأت أول ورقة به.

****

طرقة سريعة على باب مكتب الرائد "أحمد"، أعقبها دخول "موسى" ومن خلفه الدكتور "سامي" وبيده المرتعشة تقرير عن الضحية الخامسة، تنبَّه الضابطان إليه واقتربا منه، أخذ "أحمد" التقرير بتعجُّل من يده وجلس فوق المكتب يقرأه بينما أخرج الدكتور "سامي" مشروبًا من جيبه وأخذ يشرب منه في تقزز الشيء الذي رآه "فؤاد" وعلم أنه يشرب خمرًا.

أنهى "أحمد" التقرير وأعطاه إلى "فؤاد" كي يقرأه هو الآخر وقال:

اتأخرت علينا يا دكتور سامي ليه المرة دي؟ ومالك مبهدل كده في نفسك؟

أجابه بعد فترة وكأنه لم يسمعه، ثم قال بعدم تركيز:

- مافيش.. التشريح خد وقت طويل وأنا كنت تعبان شوية.

- تعبان مالك يعني؟ وإيه اللي بتشربه ده؟

- هاكون تعبان من إيه يعني؟ شوية هلاوس وتخاريف يا أحمد بيه.. ما تاخدش في بالك. لا ده أنت سكران طينة، قوم روح وخد إجازة.

شرد قليلًا ثم قال:

هههههه، آخد إجازة؟ آخد إجازة إزاي؟ وهما هيسيبوني في حالي؟ دول عايشين معايا.

قال الشيخ "بلال":

هما مين دول؟

نظر الطبيب "سامي" إلى الشيخ "بلال" بعين زائغة وقال:

- أهلًا شيخ "بلال".. أنت كنت مستخبي ولا إيه؟

- هما مين دول اللي عايشين معاك؟ الشياطين الخمسة، قاعدين معايا على طول.

انفعل "أحمد" وقال:

- وضَّح كلامك يا دكتور سامي، شياطين إيه؟ الخمس ستات اللي متعلقين دول على الحيطة، أنت حاططهم أهو.

اشار بيده إلى صور الضحايا الخمس المعلقة على اللوحة الكبيرة في الحائط المواجه للباب، ثم أخرج الزجاجة وحاول أن يشرب مرة أخرى لولا أن منعه أحمد وانتزعها منه وألقاها بسلة مهملات قريبة من المكتب، ثم سحبه إلى دورة المياه وفتح الماء على رأسه حتى أفاق من سكره وهو يقول بانهيار:

أنت فوَّقتني ليه؟

تعجب "أحمد" وفقد أعصابه..

فوَّقتك ليه؟ أنت إزاي دكتور أنت؟ أنت سكران، وأكيد كل تقاريرك دي مضروبة.

ارتفع صوت "سامي" فوقف الجميع..

أنا ما باسكرش وقت الشغل، وبعدين أنت تعرف إيه عن الخمسة دول غير اللي في الورق؟ ها؟

اقترب "أحمد" عدة خطوات، فوقف بينهما "فؤاد" محاولًا منع اشتباك وشيك.

وأنت تعرف إيه أكتر من اللي في الورق؟

ابتسم "سامي" في خوف وقال:

لا أعرف كتير، أعرف هما إزاي ماتوا، وإيه شكل اللي موتهم، وموتهم ليه.

تعجَّب "فؤاد" وقال:

تعرف شكل اللي موتهم وساكت؟

اتجه "سامي" إلى سلة المهملات والتقط الزجاجة وقال:

أيوة لازم أسكت، أنت فاكر نفسك هتقدر عليه؟ ده مش في استطاعتك، وبعدين هما اللي اختاروا الطريق ده، وأهو بيعيطوا ومتحسرين.

انفعل "أحمد" واستشاط غضبًا..

لا أنت شكلك لسه سكران ولا تعبان في دماغك، أنت لازم تروح لدكتور نفسي.

أخذ "سامي" رشفة من الزجاجة وقال بعدها:

أنا مش سكران ولا مريض، أنا شوفت الحقيقة اللي كلكم ما شوفتوهاش، أنا حسيت بآلامهم، وحسيت بخوفهم، وعرفت اللي عملوه.

اندفع "أحمد" باتجاه "سامي" وهو يقول:

خرَّجوا المجنون ده بره.. ده بيهلوس.

اتجه "سامي" إلى سلة المهملات والتقط الزجاجة وقال:

أيوة لازم أسكت، أنت فاكر نفسك هتقدر عليه؟ ده مش في استطاعتك، وبعدين هما اللي اختاروا الطريق ده، وأهو بيعيطوا ومتحسرين.

انفعل "أحمد" واستشاط غضبًا..

لا أنت شكلك لسه سكران ولا تعبان في دماغك، أنت لازم تروح لدكتور نفسي.

أخذ "سامي" رشفة من الزجاجة وقال بعدها:

أنا مش سكران ولا مريض، أنا شوفت الحقيقة اللي كلكم ما شوفتوهاش، أنا حسيت بآلامهم، وحسيت بخوفهم، وعرفت اللي عملوه.

اندفع "أحمد" باتجاه "سامي" وهو يقول:

خرَّجوا المجنون ده بره.. ده بيهلوس.

رجع "سامي" خطوات للخلف ثم قال:

لا، لا، أنا خارج لوحدي، وخليك أنت في ملفاتك وتقاريرك يا.. يا ظابط.

ثم خرج يترنح ولحق به الشيخ "بلال" يحاول سماع ما أراد قوله، وظل "أحمد" مرتبكًا ومتوترًا فاقترب منه "فؤاد" وقال:

أنت ليه ما سمعتوش يا أحمد؟

"أحمد" متعجبًا من الكلام:

أسمع مين يا فؤاد أنت كمان؟ ده بيقول لك شافهم بيموتوا، وسكران وعمال يهرتل بالكلام، إحنا في إيه ولا في إيه.

"فؤاد" مهدئًا:

ممكن يكون شاف ده بجد، أنت ليه بتصد الفكرة دي؟

يتعصب "أحمد" ويشعل سيجارة..

يا فؤاد إهدا بقى بلاش تخاريف، مافيش حاجة مالهاش تفسير منطقي، صدقني أنا عارف وحاسس.

يجلس "فؤاد" ويقول:

إدِّي لنفسك فرصة تفكر في الاحتمال التاني يمكن نوصل.

يزفر "أحمد" دخانًا كثيفا، ثم قال وهو يقف ويرتدي البالطو:

- لا مش هافكر.. وهنوصل.. وبعدين روح انده الشيخ بلال خلينا نخلص.. وأنا هاروح على الأدلة الجنائية وبعدين أطلع على البيت وأنت لو في حاجة جدِّت كلمني. ماشي.

ثم خرج مسرعًا ليجد الشيخ "بلال" يتحدث مع الدكتور "سامي" وهو يبكي ومتأثر مما رأى ويريد البوح به، فتركه بعد أن أشار له بأن يتعجَّل.

(11)

"في اللحظة التي تعتقد فيها أنك اقتربت منه هي في الأصل نفس اللحظة التي يخدعك فيها، عن الشيطان أتحدث، أنت بالكاد تراها الآن، ولكنها ليست كما تعتقد، فالحقيقة دائمًا خادعة مثل الشيطان، انتبه من الاثنين".

****

"فريدة متولي الشريف" كتبت بخط واضح أعلى اللوحة المعلقة فوق المكتب، وكتب بجانبها "الضحية السادسة" ثم وضع علامات "إكس" على المربعين المكتوب بداخلهما "مكان الجريمة ووقت الجريمة".

وضع "فؤاد" يده على رأسه ثم أزاحها ووضعها على فمه، ونظر إلى الطبيب النفسي "جلال"، ثم وجه نظره إلى الشيخ "بلال" وقال:

أنت متأكد يا شيخ بلال من الاسم ده بالكامل؟

أجابه "بلال" وهو ينظر إلى الورق الذي أمامه:

- أيوة يا "فؤاد" بيه وراجعته أكتر من مرة، بس لسه ما وصلتش لمكان القتل ولا وقته. ماحدش يقول لـ"أحمد" حاجة دلوقت لو سمحتم، أنا هاكلمه في الوقت المناسب، وأت يا شيخ "بلال" استعجل في فك الورق اللي ناقص، عاوزين نعرف المكان والوقت النهارده.

قال "بلال" متسائلًا:

- حاضر يا "فؤاد" بيه، بس ليه مش عاوز تقول له عشان يلحق يتصرف؟ أنا أدرى بشغلي وبـ"أحمد" يا شيخ "بلال".. لو سمحت خلص اللي قلت لك عليه.

نظر "جلال" إلى "فؤاد" بتمعُّن وقال:

أنت ليه يا "فؤاد" مش عاوز تقول له؟

اقترب "فؤاد" من "جلال" وقال:

يا دكتور "جلال" لو عرف هيخرب الدنيا وهيتصرف بدافع الخوف وهتحصل مشاكل كتير، ممكن يبعدوه

عن القضية كلها بسببها، وبعدين أنا في حاجة كده بدوَّرها في دماغي ومحتاج وقت شوية، وأنا بالفعل بدأت خطة تأمين "فريدة" مراته.

وضع "جلال" يده على صدره وقال:

تفتكر؟

ثم نظر إلى "فؤاد" بغرابة، الذي بادله نفس النظرة غير المفهومة.

****

باب الشقة يفتح ويدخل من خلفه "أحمد" مسرعًا وهو ينادي زوجته "فريدة" بصوت مرتفع قائلًا:

فريدة! فريدة! أنتِ فين يا حبيبتي؟ أنا جيت.

لم يتلقَّ ردًّا، فألقى بمفاتيحه وهرول إلى كل الغرف ولم يجدها، توتر وتصبب عرقًا ثم أخرج هاتفه وحاول الاتصال بها فوجد أن هاتفها مغلق، تدفقت الدماء في عروقة ودمعت عيناه ثم دب الخوف في قلبه عندما

لمح كتابًا أسود داخل غرفة النوم يحمل نفس اسم الكتب الخمس السابقة مع الضحايا "سفر القتل" فوق "كومودينو" الخاص بزوجته.

ضم قبضته ووضعها أمام فمة ثم اتجه إلى الغرفة في قلق، اقترب من الكتاب وأمسكه ليجده نفس الكتاب الذي وجد مع الضحايا الخمس، توترت أعصابه وارتعشت يده وهو يمسح عرقه، وجد علامة مميزة عند ورقة توقفت عندها زوجته من القراءة، فتحها ليجد صفحة كتب عنوانها بكلمات غير مفهومة ولم يتمكن من معرفة ما بها.

أخذ يقلب داخل الكتاب عن شيء ما حتى سمع صوت غلق الباب، خرج مسرعًا ليجد زوجته "فريدة" تحمل بيدها بعض طلبات البيت وهي متعجبة من وجوده، ألقى الكتاب الأسود على الأرض وأسرع نحوها واحتضنها وهو دامع العينين، فبادلته العناق وهي في غاية التعجب من وجوده ومن تصرفه.

ظل لدقائق معانقًا إياها كالطفل الذي وجد أمه بعد غياب طويل وتيه، وبعدها أجلسها وذهب وأحضر الكتاب ووضعه على منضدة قريبة، ثم نظر إليها وأخرج هاتفه وأخرج رقم "فؤاد" واتصل به حتى أجاب، فقال:

- فؤاد! ها! الشيخ "بلال" اتأكد من الاسم؟

- لا لسه يا أحمد، ليه مستعجل كده؟

- مستعجل يا فؤاد عشان لقيت الكتاب الأسود في بيتي.

- يعني إيه لقيت الكتاب الأسود في بيتك؟ مين اللي جابه؟

- خليك أنت في سؤالي، خلي "بلال" يخلص حالًا، أنت فاهم يعني إيه الكتاب ده هنا؟

- أحمد، أنا مش هخبي عليك، الاسم السادس هو اسم مراتك بالكامل، مراتك هى الهدف السادس.

- إيه؟! طب المكان؟ الوقت إمتى؟

- أنا فعلًا قلت للشيخ "بلال" يوصل لهم النهارده، أنت فين يا أحمد؟

- أنا في البيت مع مراتي فاهمني؟

- طب، إوعى تقول لها حاجة خالص.

- هيحصل، بص.. تعالى وهات معاك قوة كبيرة.. وفي مأمورية عاوزك فيها ضروري ممكن توصَّلنا لحل، لأن الكتاب وصل هنا بطرد ورقمه موجود قدامي على صندوق الطرد، وأنت بنفسك هتطلع شركة الشحن وهتجيب كل البيانات، وهنوصل للي بعت الطرد ده بطريقتنا، أنا هابعتلك رسالة حالًا فيها كل التفاصيل. ماشي حاضر، أكيد هنوصل له يا أحمد.. هنوصل له بسرعة ما تقلقش.

أغلق "أحمد" المكالمة مصطنعًا الابتسامة وقلبه كاد أن يقف من كثرة الطرق على ضلوعه التي تفتت عظامها خوفًا، علقت "فريدة" على المكالمة وسألته:

- هو في إيه يا أحمد؟

- مافيش يا حبيبتي، كل حاجة تمام.

- طب ماله الكتاب ده؟ وإيه الخوف اللي أنت بتداريه ده؟

- لا يا حبيبتي، أصل الكتاب ده المصنفات منعاه واستغربت لما شوفته، نازل بيه منشور وشوفته بالصدفة هنا فبلغت "فؤاد" يقوم باللازم.

- طب وإيه القوة اللي أنت طلبتها؟

- أنتِ بس قلقانة ليه يا حبيبتي؟ كل حاجة تمام، وبعدين أنا هنا، مش ده بيخليكي مبسوطة؟ طبعًا، يا ريت تفضل هنا على طول معايا.

****

الشاب الوسيم "عدنان ثابت" يتأهَّب خلف مكتبه داخل استوديو التصوير ويبدأ التصوير بإشارة من مخرج البرنامج، وبدأ "عدنان" قائلًا:

أهلًا بيكم في حلقة جديدة من "كشف المحظور"، ولسه بتكمل مشوار الفقيدة "نرمين صلاح"، وباكمِّل قضية مقتلها هي و4 ضحايا كمان بنفس الطريقة وبنفس الوحشية، وسط تعتيم وتكتم من وزارة الداخلية اللي بنعتبره عجز في قدراتها أو تستر على مجرم مريض ومختل، والحقيقة العذرين أقبح من بعض، أنا مش باهاجم الداخلية ووزيرها، لا أنا بهاجم الحكومة كلها بكل وزرائها وعلى رأسهم رئيس الوزراء بكل درجاتهم وتخصصاتهم وصلاحياتهم، أنا عندي يا سادة معلومات جديدة بتأكِّد إن الداخلية لسه مش قادرة تحدد هوية القاتل أو حتى تقرب منه أو تحط احتمالات لمشتبهين، يعني من الآخر عاجزة وفاشلة تمامًا تمامًا، طب أنا هنا ليه النهارده؟ أنا هنا عشان عندي معلومات وأدلة بتقول إن في ضحية سادسة على وشك إنها تتقتل في الساعات المقبلة، خايفين؟ والله عندكم حق.. أنا كمان خايف، طب أنا دليلي إيه؟ الـ"5"ورقات دول، هما قدامكم على الشاشة الآن، وهما بصراحة لما تشوفهم من أول مرة تحس إنهم أي كلام مكتوب من دجال أهبل أو حد بيحاول يلعب، بس دي

مش لعبة يا سادة، دي مربعات لعلم اسمه علم "الأوفاق" والقاتل الهايل اللي هو مصنف إنة قاتل صاحب مرض نفسي وقدر إنه يلعب لعبة مع الداخلية لطيفة أوي وإيه هي بقى هاقولكم، كل ورقة من دول فيها أسماء الضحايا وأماكن قتلهم وكمان الميعاد، ما تستغربوش، راجل برنس بيلاعب الداخلية، طب أنا مجهز إيه؟ أنا مجهز تقرير وبعض آراء الناس من الشارع المصري اللي حاسين بخطورة الموقف وحاسين إنهم ممكن يكونوا معرضين للخطر زي اللي ماتوا، اتفضلوا شوفوا الوعي وصل لحد فين يا داخلية، وهنرجع بعد الفاصل.

****

أمام شقة "أحمد" يقف وسط عدة ضباط بملابس العمليات الخاصة وهم يدلون بتقاريرهم عن التأمين.

"تمام كده يا فندم، تم تأمين كل مداخل ومخارج البيت والعمارة وكمان في كمايين من كل اتجاه ولجان تفتيش ودوريات على بعد 5 كيلو من البيت سيادتك"،

قالها ملازم أول للرائد "أحمد" الذي نظر له في ثقة، وأشار له بالانصراف، وبعد أن نظر من الشرفة ليجد انتشارًا جيدًا لرجال الشرطة، فاطمأن، ثم سمع صوت جرس الباب فتوجه ليجد "فؤاد"، أدخله وجلسا سويًّا ليبدأ أحمد:

- إيه الأخبار يا فؤاد؟ وصلت للي بيبعت ليهم كلهم؟

- وصلت يا أحمد.. ومش هتصدق مين.

- مين يا فؤاد؟ اتكلم.

- اللي قالب علينا الدنيا ومبهدلنا في الفضائيات.

- عدنان ثابت؟ طب إيه مصلحته؟ مش فاهم؟

- وأنا كمان عمَّال أجيبها يمين وشمال مش عارف.

- طب هات بقى المعلومات دي ويلا بينا عشان الخيط ده مهم، وهيوصلنا للقاتل اللي هو ممكن يكون قريب أوي دلوقتي وما توقَّعش الغلطة دي.

- مش عارف يا أحمد ليه حاسس إن القضية مش بالسهولة دي. سهولة! دول 5 ماتوا ومراتي الجاية وبتقول سهولة؟!

ثم خفض صوته سريعًا في آخر جملة، بعد أن كان صوته مرتفعًا للغاية، وأشار لفؤاد أن يصمت وهما واقفين يهمسان في طريقهما إلى الخروج، في نفس الوقت الذي كانت فيه "فريدة" تستند إلى حائط بالقرب منهما وسمعت الحديث كاملًا وعينها فاضت بالدموع، وانهارت لتجلس أرضًا من الخوف، ومما سمعته وأدركته بكل تلك الحراسات المشددة، فأخرجت هاتفها وأجرت اتصالًا، وعندما أجاب قالت وهي تبكي:

بابا.. في مصيبة.. الحقني!

****

في مكتب اللواء "عثمان حماد" الذي قال بتوتر ملحوظ:

يستحسن يكون عندكم دم وتكونوا جبتوا معلومات ليها قيمة، القضية بقت رأي عام والواد "عدنان" ده فاتح علينا النار وبيهددنا وبيقلب الناس في الشارع علينا.

قال "أحمد" بطريقة مفاجئة:

وهو ده اللي جايين لك فيه يا سيادة اللواء، إحنا مسكنا طرف خيط مهم أوي يا فندم، الواد ده متورط جدًّا.

قلب اللواء "عثمان" نظره بين الضابطين محاولًا فهم ما يرميان إليه، ثم قال:

مش فاهم، إوعوا تكونوا عاوزين تلبسوه قضية عشان يهمد، إنتم كده بتفتحوا علينا باب جهنم.

رد "أحمد" مبررًا:

- لا يا فندم.. الموضوع بالأدلة وبالتحريات وهو فعلًا متورط.

- طب فهمني يا أحمد.

- يا فندم حضرتك فاكر الكتب السودة دي اللي لاقيناها في شقة الضحايا الخمسة؟ أيوة فاكرها بتاعت السحر والدجل.

أخرج "أحمد" عدة ورقات من ملف معه وأعطاها إلى اللواء "عثمان".

تمام حضرتك، الكتب دي كانت بتوصل للضحايا عن طريق شركة شحن، بس كل مرة شركة شحن جديدة، إحنا قدرنا نوصل لكل الصناديق ونفرَّغ محتوياتها ونوصل للي كان بيبعتهم وطلع شخص واحد، "عدنان ثابت".

اللواء "عثمان" يضع يده على المكتب وهو يقرأ الورق ثم ينظر إلى الضابطين ويقول:

إنتم عارفين ده معناه إيه؟ حالًا إذن نيابة وتقبضوا عليه حتى لو كان في بطن أمه، ده ممكن يكون مخطط كبير لهز الداخلية، الله ينور.

ابتسم الضابطان وقال "فؤاد":

- تعليماتك يا فندم.. بس في حاجة تانية عاوز أقولها لحضرتك.

- قول يا فؤاد، اتفضل.

- في مستجدَّات في القضية لازم حضرتك تعرفها.

- اتفضل أنا سامعك.

- إحنا عرفنا مين الضحية السادسة يا فندم، وكنا عاوزين توصية من حضرتك عشان الحراسات الزيادة وكمان تأمين من الحراسات الخاصة من الداخلية.
طب تمام، مين؟ قول.

نظر "أحمد" إلى "فؤاد" وقال:

مراتي يا فندم، فريدة الشريف، هو فؤاد قال اللي كنت محرج أقوله، أنا ما كنتش عاوز أشغل حضرتك.. بس فؤاد سبق.

ظهرت معالم الخوف على وجهه اللواء "عثمان"، فهو لم يتوقع أن يقترب أحد من أهل أحد الضباط بتلك الطريقة.

مراتك يا أحمد! ده أكيد عشان أنت اللي ماسك القضية، مين ابن الكلب ده؟

حاول "أحمد" أن يبتسم ففشل، ثم قال:

- مش عارف يا فندم السبب.. بس اللي أعرفه إني مش ممكن أسيبها تموت.. فبعد إذن معاليك محتاج طقم حراسة خاصة.

- طبعًا اعتبر الموضوع خلصان، روحوا هاتوا الواد المذيع ده وابتدوا تحقيق معاه حالًا وهاتوا لي نتايج مرضية للرأي العام. تعليمات سعادتك يا فندم.

ثم وقفا وأديا التحية وخرجا يفكر كل منهم في طريقة لحل القضية وما الدافع لقتل كل هؤلاء.

(12)

"همزات الشيطان، جملة تحمل الكثير من الضرر لمن يعلمها، لقد علم أنك تعلم وسوف يأتي إليك، اقتربت اللحظات الحاسمة".

****

سيارات شرطة تحيط مدينة الإنتاج الإعلامي، وبالأخص المحطة الفضائية التي يذاع منها برنامج "كشف المحظور" ومذيعه "عدنان ثابت"، يهبط "أحمد" ومن خلفه "فؤاد"، ويتجهان إلى الاستوديو ليجدا المذيع الشاب "عدنان" في حلقة له على الهواء، فيشير له "أحمد" بأن يخرج في فاصل ويحضر لأنه مطلوب القبض عليه، فهم "عدنان" ما يرمي إليه المشهد العام، وخرج في فاصل طارئ ووقف مذهولًا واتجه إليهم في يأس، وعلم أنه تم كشف أمره، فسلم يده التى قيدت بالأصفاد الحديدية في الحال، ومنها إلى سيارات الشرطة، ثم إلى مكتب التحقيقات، وسط راحة ظهرت على وجهه أحمد وفؤاد معًا.

****

وضع "أحمد" سلاحه على المكتب أمام "عدنان"، الذي ظل باهت الوجه لا يتفوه بكلمة واحدة، وبيده "الكلبشات"، كأنه في عالم آخر، اقترب "فؤاد" وضغط على كتفه ليجلسه فجلس في صمت.

جلس أحمد خلف مكتبه وهو يشمِّر عن ساعديه ويفتح درج مكتبه ويخرج أحد الكتب السوداء ويضعه أمام "عدنان" بنظرة شامتة منتصرة.

قول لي بقى يا عم الوطني.. إيه اللي تعرفه عن الكتاب ده؟

حرك "عدنان" رأسه ببطء ونظر إلى الكتاب في خوف، ثم نظر إلى "أحمد" ولم يتحدث.

بص بقى.. شغل المصدوم والشريف اللي بتلعبه ده مكشوف.. فأحسن لك تتكلم وتعترف بكل حاجة بالطريقة السهلة.

لم يحرك "عدنان" ساكنًا، لكنه رد بصوت ضعيف:

أنا ما اعرفش حاجة عن الكتاب ده، وما اعرفش أنا هنا ليه، ومش هاتكلم إلا في حضور المحامي.

ابتسم "فؤاد" في سخرية وقال:

محامي إيه يا ابني؟ أنت متهم في 5 جرائم قتل مع التخطيط لقتل مرات ظابط مباحث، أنت مش مدرك إن أنت انتهيت خلاص؟

ارتفع صوت "عدنان" وقال:

أنا ما اعرفش إيه اللي جوه الكتاب ده، ومش هاتكلم إلا في حضور المحامي، وأنا مش متهم بحاجة، أنتم ملفقين ليا الموضوع عشان باقول الحقيقة وقالب عليكم الدنيا.

وقف "أحمد" في عصبية وكاد أن يلكم "عدنان"، لولا أن لحق به "فؤاد" وأمسك بيده وأجلسه، ثم أمر أحد أمناء الشرطة بأن يأخذ عدنان إلى الحجز المنفرد لعرضه غدًا على النيابة بعد التحقيق معه، وبعد أن خرج نظر "فؤاد" إلى "أحمد" وهو مبتسم.

أنا عارف إنك عاوز تموِّته بس مش يمكن هو دور في مسرحية كبيرة؟

جلس "أحمد" وقال:

أنا عارف يا فؤاد، مش هو اللي قتل، بس هو اللي هيوصلنا للقاتل، المهم إننا وقَّعنا قطعة مهمة في اللعبة.

جلس "فؤاد" هو الآخر وقال في تفكُّر:

- أتمنى يا أحمد ما يكونش ده من ألاعيب القاتل الحقيقي.

- قصدك إيه يا فؤاد؟ قصدي إن اللي بنتعامل معاه عقلية ذكية جدًّا، ومش بعيد يكون ملفَّق التهمة لعدنان عشان يلهينا ويخلص هو على الضحية الجديدة، أقصد...

ظهر الخوف على وجه "أحمد" وتملَّك كل جسده..

فريدة! أنا إزاي ما اطمنتش عليها ده كله؟!

أخرج "أحمد" هاتفه وأخرج رقم "فريدة" واتصل أكثر من مرة من دون إجابة، ظهرت معالم الفزع على وجهه، وأغلق ليخرج رقم الضابط المسؤول عن طقم الحراسة الخاص، واتصل به.

- أيوة يا أحمد بيه؟

- أنا باتصل بمراتيي ما بتردِّش اطلع شوف الموضوع وأنا معاك ع الخط.

- حاضر يا أحمد بيه، بس مافيش حد لا دخل ولا خرج من باب العمارة.

- العمارة ليها مدخل تاني يا حضرة الظابط، اطلع بسرعة شوف. حاضر، حاضر...

صعد الضابط وتتبعه عدة أشخاص من طاقم الحراسة، وطرق الباب فلم يجبه أحد.

أحمد بيه.. ماحدش بيرد من جوه.

شعر "أحمد" بالاختناق ففك ربطة عنقه..

- اكسر الباب يا حضرة الظابط. حاضر يا فندم.

دفع الضابط الباب بقدمه فكسره ودخل الجميع يبحث عن "فريدة"، فلم يجدوا أحدًا، وأبلغ الضابط عبر اللاسلكى كل الوحدات بأن تتجهز.

أحمد بيه مافيش أثر لمرات حضرتك.

أغلق "أحمد" الهاتف وعلى وجهه خوف شديد، أخذ سلاحه وارتدى الجاكيت، وأدرك "فؤاد" ما حدث، فأخرج هاتفه وأجرى مكالمة، وقبل أن يصل "أحمد" إلى الباب وجد أمامه الشيخ "بلال" يلهث.

- أنا عرفت مكان وميعاد القتل يا أحمد بيه. فين المكان بسرعة يا شيخ بلال؟

أخرج الشيخ "بلال" من جيبه ورقة وأعطاها لـ"أحمد" وهو يلهث...

العنوان أهو في الورقة دي.. خد.

أمسك "أحمد" الورقة وتغيرت معالم وجهه وقال بصوت ضعيق خائف.

ده عنوان أبوها "متولي الشريف" عمي، أنا هاروح وأنت يا فؤاد بلغ الوحدات تتحرك على هناك.

أمسكه الشيخ "بلال" وهو ينظر إلى عينيه مباشرة، وقال بخوف:

مش هتلحق تعمل حاجة يا أحمد بيه.

فتح "أحمد" عينيه حتى كادتا أن تبرزا وتكتَّلت الدموع داخل عينيه وقال بصوت شاحب:

إيه؟ أنت ليه بتقول كده؟ في إيه يا شيخ بلال؟ ليه بتقول كده؟

دمعت عينا الشيخ "بلال" وقال:

وقت الجريمة من 10 دقائق فاتوا يا أحمد بيه.

جلس "أحمد" أرضًا ودمعت عيناه وحاول "فؤاد" والشيخ "بلال" إيقافه ومساعدته على الخروج من المكتب، أخرج "فؤاد" هاتفه وأخبر كل الوحدات بالتحرك إلى العنوان المكتوب.

مرت الدقائق كأنها عام على "أحمد" الذي ظل جالسًا بجوار "فؤاد" داخل سيارة الشرطة، ومن خلفه وأمامه عربات نقل الجنود، وهو غير مصدق لما قاله الشيخ "بلال"، وغير مدرك أنه لن يجد زوجته على قيد الحياة.

****

مدرعات الشرطة في كل مكان، وإضاءات سيارات الشرطة تلمع في عيون المتجمعين أمام مكان الحادث، ويحاول رجال الشرطة إبعاد من يحاول العبور من صحفيين وفضوليين.

يهبط "أحمد" من السيارة وهو لا يكاد يسمع سوى صفير في أذنه مختلطًا بصوت "فريدة" تنادي باسمه تارة وتضحك تارة أخرى، لا يرى ولا يكاد يشعر بما

يحدث، يخطو خطوات مترنحة وسط الناس، يهرول "فؤاد" ويقف بجانبه ويحاول دفع الناس بعيدًا ليسهل عبوره، يلاحظ أحد الضباط قدوم "أحمد" فيتجه ناحيته ومعه عدة جنود ليفسحوا له المجال.

يدخل "أحمد" إلى بيت عمه ووالد زوجته، يصعد إلى الطابق العلوي ليجده جالسًا أرضًا يبكي في انهيار وأمامه جثمان ابنته "فريدة" ذبيحة وبها بعض الحروق في الجسد، علاوة على جلدها الذي سلخ من مكانه ودمائها السائلة في كل مكان، ومرسوم بها تلك النجمة على جدار خلفها.

اقترب من عمه وانعدمت رؤيته من كثرة الدموع، جلس أرضًا وزحف نحو جثمان زوجته "فريدة"، بكى حرقة واحتضنها لتلطخ دماؤها كل ملابسه ووجهه، شعر عمه "متولي" بوجوده فاندفع نحوه يحتضنه ويبكي معه متألمًا ويتبادلان النظرات التي ملئت بالغل والحزن.

وقف "فؤاد" من خلفهما ووضع رأسه أرضًا وهو دامع العينين، يجذب شعره ندمًا، ثم اتجه إلى "أحمد" ووضع يده على كتفه مواسيًا، دفعه، ترك جسد زوجته أرضًا ووضع سترته فوقها، أخرج سلاحه وشد أجزاءه، ثم هبط السلالم مهرولًا وخلفه "فؤاد" الذي لم يلحق به قبل أن يستقل السيارة ويقودها في جنون.

****

داخل زنزانة الحجز التى يحبس بها "عدنان" يقترب أمين شرطة يلتفت حوله يمينًا ويسارًا ثم يدخل إلى مكان الحراسة، يشير إلى عسكري الحراسة ليفتح له الباب، يدخل أمين الشرطة ويقف أمام "عدنان" ويشير إليه، يقف "عدنان" ويخرج عدة ورقات من المال ويعطيها لـ"أمين الشرطة" الذي بدوره يخرج هاتفًا ويضعه بيد "عدنان" ويخرج سريعًا.

يخرج عدنان شريحة "موبايل" من جوربه ويدخلها بالهاتف ثم يكتب رسالة ويرسلها لرقم وينتظر دقائق،

حتى يأتيه اتصال من رجل صوته به بعض المؤثرات الصوتية التي تخفي صوته وتغيره لتجعله ضخمًا.

- أنا مش قلت لك ما تحاولش تتواصل معايا إلا لما اتكلم معاك أنا؟ إيه اللي خلاك تبعت رسالة؟

- يا باشا أنا مقبوض عليا والمباحث هتحقق معايا وبكرة هتعرض على النيابة، هو أنت بعتني؟

- بعتك إيه وهبل إيه؟ أنا عملت كده عشان أقدر أسحب الاتنين الظباط بعيد وأعمل اللي أنا عاوزه، بكرة هتخرج وإوعى تكلمني تاني، أنا لما تخرج هاكلمك وهاقولك ع الخطوة الجاية.

- بس أنا هاخرج إزاي؟ أنا مش سهل يا باشا، ومش مستغني عن عمري ولا هستنى اتحبس.

- أنت إزاي تتكلم معايا كده؟ وبعدين اطَّمِّن أنت كنت محبوس وقت ارتكاب الجريمة السادسة، أنت بس اعمل فيها عبيط وأنا هاخرَّجك.

- حاضر يا باشا.. بس أنا ما باحبش الغدر.

- وأنا ما باتهددش، وخليك عارف إن الظابط مراته اتقتلت وهيبقى مجنون وهيضغط عليك، إوعى تنخ، فاهم؟

- فاهم يا باشا بس أنا خايف لا يقتلني.

- لو قلت له حاجة أنا اللي هاقتلك. يعني إيه يا باشا؟

أغلق الهاتف في وجه "عدنان" الذي نظر إلى الهاتف وبصق ثم أخرج الشريحة وجلس وهو يضع قبضته أسفل ذقنه مفكرًا.

****

دلف الشيخ "بلال" إلى شقته في أسى وهو يتحدث إلى نفسه كأنه يلومها، خلع حذاءه وعلق عباءته واتجه إلى غرفة خاصة به، وضع مفتاحًا غريب الشكل داخل باب به شراعات زجاجية ثم دخل وأغلق خلفه، اتجه إلى مكتب قديم يتوسط الغرفة الصغيرة، ومن خلفه

مكتبة ضخمة بها مراجع عملاقة كثيرة الورق، سحب الكرسي المتهالك وجلس فوقه في تروٍّ.

فتح كتابًا موضوعًا على المكتب، وأخرج ورقة وأخذ يستخرج منه كلمات ويضعها في تلك الورقة وهو في أعلى درجات تركيزه، وبعد مرور بعض من الوقت بدأ جبينه بالتعرُّق وعينه لم تسعفه لفترة أطول فبدأ يمسحها بشدة، اهتزت أطرافه وسقط القلم بعد أن انقبض قلبه.

ظهر خيال خلف الشراع الزجاجي يمر ببطء في الخارج، اتسعت عيناه ووقف مسرعًا، اتجه إلى الباب وأحكم قبضته ثم أغمض عينيه وفتح مسرعًا فلم يجد أحدًا، ابتلع ريقه وأغلق مرة أخرى وعاد ليكمل ما كان يكتبه.

(13)

"في القدم اعتاد عامة الناس على اتباع النخبة منهم اتباعًا أعمى، لذلك فقدت الحياة مصداقيتها أمام الكثير من البشر الذين اختاروا أن يكونوا تابعين، يرسم الطريق أمامك الآن فتتبع موضع القلم".

****

وصل "أحمد" إلى مكان حجز "عدنان" وهو في قمة عصبيته وعيناه تزرفان الدموع لا إراديًّا، أمر العسكري المخصص لحراسة "عدنان" بأن يفتح له ثم دلف إلى الحجز وبيده سلاحه الناري، ما إن رآه "عدنان" حتى أفاق من نومه وبدأ يتراجع في خوف وهو يلمح السلاح بيده وعلامات الغضب على قسمات وجه "أحمد"...

هتعمل إيه؟ مالك؟ إهدا بس.

أمسك "أحمد" "عدنان" من ملابسه وجذبه بقوة ثم دفعه إلى الحائط وقال:

قول كل اللي تعرفه حالًا أو مش هيكفيني فيك تقطيع كل حتة في جسمك وهاورِّيك نار وعذاب ما شافهوش مخلوق في الدنيا، أنت فاهمني ولا نبدأ؟

وضع "أحمد" السلاح فوق منضدة أمر العسكر بإدخالها ومعها كرسيين داخل الحجز، ثم شمَّر عن ساعديه وأخرج من جيبه شيئًا أشبه بالسكين ملتوي الشكل ووضعه بجانب السلاح، وقبضة من حديد بها بعض المسامير، ثم اتجه إلى "عدنان" وجذبه بقوة ووجَّه له لكمة جعلت الدماء تسيل من بين شفتيه، وسدد له أخرى جعلت وجهه يدمى، وبدأ في البكاء والانهيار.

استنَّى بس، أنا مش عارف حاجة والله.

سدد له ضربة أخرى وقال:

هتتكلم ولا أكمل؟ ومافيش قوة هتمنعك مني.

يبكي "عدنان" بشدة ويقول:

أنا ما اعرفش حاجة، أنت عاوز مني إيه؟

يركله "أحمد" بقدمه بقوة...

مين اللي بيقتل؟ ومين اللي قتل مراتي؟

يتألم "عدنان" بشدة ويقول بتوسل:

أنا ما اعرفش أنت بتتكلم عن إيه، صدقني.

أوقع "أحمد" "عدنان" أرضًا بركلة قوية ثم اتجه إلى المنضدة ووضع المقبض الحديدي ثم عاد وأخذ يوجه لكمات متتالية إلى ضلوع "عدنان" الذي ظل يصرخ بصوت مرتفع ويستغيث وهو يبكي بقوة، وبعد عدة ضربات تركه أرضًا واتجه إلى المنضدة وضع القبضة الحديدية بعد أن اصطبغت باللون الأحمر الدامي، ثم سحب السكين الملتوي وعاد إلى "عدنان"، الذي نظر إلى السكين بخوف وهرول إلى زاوية داخل الحجز وهو يصرخ باستغاثة.

لا، استنى، الحقوني، الحقوني.

يرفع "أحمد" السكين إلى اعلى وهو يقول:

قلت لك هاقطع من جسمك وهوريلك ألم ما حصلش، هتتكلم ولا إيه؟

ينظر "عدنان" إلى السكين في خوف ثم يقول:

هاتكلم، هاتكلم خلاص، بس استنى، أنا ممكن اتقتل لو اتكلمت.

يقترب "أحمد" أكثر مهددًا...

وممكن أوي أموِّتك حالًا لو فضلت ساكت، قول وأنا هاحميك.

يخفض جسمه أكثر ويبكي بأسى ويقول:

لا، مش هتقدر تحميني منه صدقني، ده أقوى من ألف زيك وزيي.

بصوت جهور يقول "أحمد":

اتكلم يا عدنان قبل ما اقتلك هنا وادفنك.

بدماء سائلة اختلطت بعرق وبكاء "عدنان"...

بص.. أنا هاتكلم، بس توعدني إنك تعيِّن عليا حراسة وتخرجني من القضايا دي؛ لأني فعلًا ما اعرفش أكتر من اللي هاقوله لك دلوقتي.

يخفض "أحمد" السكين ويتراجع...

قول يا عدنان.. وأوعدك هاحميك.

يعتدل "عدنان" ويجلس في مكانه...

حاضر.. هاقول كل حاجة، حاضر.

وصل "فؤاد" إلى الحجز وأمر العسكري أن يفتح سريعًا واتجه إلى "عدنان" وأوقفه خلفه وهو يوبخ "أحمد" ويحاول تهدئته..

أنا كنت عارف إنك هتعمل كده يا أحمد، بس ليه يا أخي هتودِّي نفسك في داهية ليه؟

بعصبية مفرطة يحاول "أحمد" الوصول إلى "عدنان"...

مراتي اتقتلت وبتقول لي ليه يا فؤاد؟ حط نفسك مكاني يا أخي.

محاولًا منع "أحمد"...

ومش هي دي الطريقة اللي ترجَّع بيها حق مراتك، عاوز تودِّي نفسك في داهية؟ في قانون يا أخي.

يحاول "أحمد" جذب "عدنان" من خلف "فؤاد" بالقوة...

قانون إيه اللي بنوهم نفسنا بيه؟ دي حاجة بنقولها وخلاص، إحنا اللي بنحط القانون ونرجع نكسره، ودلوقتي وقت كسر القانون، إوعى يا فؤاد.

يدفعه "فؤاد" بقوة...

لا مش هاوعى.. وبعدين في ألف طريقة نخليه يتكلم بيها غير دي.

يتشاجر "أحمد" مع "فؤاد" ويحاول العبور بقوة...

- هو أصلا كان هيتكلم قبل لما تدخل، إوعى خليه يتكلم يا فؤاد. اتكلم يا عدنان.

يمسك "عدنان" في ملابس "فؤاد" وهو يبكي ويقول:

الحقني يا فؤاد باشا.. ده اتجنن ونازل ضرب فيا.. حرام عليكم، أنا ما اعرفش حاجة.. انجدني منه.

يستشيط "أحمد" غضبًا ويجتاز "فؤاد" ويمسك بـ"عدنان"، ليدفه "فؤاد" ويبعده مرة أخرى.

أنت لازم تموت.

اتجه "أحمد" سريعًا إلى المنضدة وسحب سلاحه وشد أجزاءه ثم وجهه إلى رأس "عدنان"، ليقف "فؤاد" أمامه سريعًا ويمنع قتل "عدنان".

اعقل يا أحمد عشان خاطري، وأوعدك إننا هنعرف نجيب حق مراتك، خليك واثق فيا.

ظل "أحمد" دامع العينين ناظرًا إلى "فؤاد" لبعض اللحظات ثم خفض سلاحه واتجهه إلى الخارج وهو

يصيح ويركل كل شيء في طريقه.

****

داخل مكتب "أحمد" اجتمع "فؤاد" والشيخ "بلال" والطبيب النفسي "جلال" في انتظار تقرير الطبيب الشرعي "سامي"، الذي كلف أيضًا بتشريح وفحص جثمان "فريدة متولي" زوجة "أحمد"، والذي غاب لوقت طويل وأغلق كل هواتفه.

نظر "فؤاد" إلى ورقة مهترئة وجدت بيد الضحية السادسة "فريدة"، وكانت تحوي مربعًا خاصًا بعلم "الأوفاق" ككل الأوراق السابقة، ثم نظر إلى الشيخ "بلال" وإلى الطبيب "جلال" كأنه يستشيرهما.

يا ترى دي قايمة اغتيالات جديدة هي كمان؟

رد علية الشيخ "بلال" وقال:

أنا بدأت فعلًا افك اللي مكتوب فيها، بس دي مختلفة عن كل اللي فات يا فؤاد بيه.. تقريبًا تحذير أو كلمة على بعض.

يعطي "فؤاد" الورقة إلى الطبيب النفسي "جلال".

رأيك إيه يا دكتور جلال؟

يمسك "جلال" الورقة بخوف وينظر إليها بتمعن ويرد:

أنا شايف إن القاتل نجح في اللي عاوزه، ولأنه شخصية عنيدة دايمًا هيحب يكون متواجد على الساحة ويشغلكم بكلام فارغ زي ما عمل معاكم في الست جرائم اللي كان مخطط لهم من زمان.

ينفعل "فؤاد" ويقول:

- أنا مش قادر أفهم هو قادر يكون متماسك كده إزاي؟ وإزاي قادر يقتل ويخطط في وقت قصير كده؟

- قصدك هم مش هو.

- أنت شاكك إنهم أكتر من واحد يا دكتور جلال؟

- أنا مش شاكك.. أنا متأكد.. ولو راجعت الست ورقات هتلاقي الخط مختلف يا فؤاد بيه، اللي بيخطط أكتر

من واحد، لكن اللي بيقتل شخص واحد محترف.

- الكلام ده كبير أوي يا دكتور جلال، أنت كنت ساكت ليه طول الوقت ده؟

- وكلامي كان هيفيد بإيه من غير مواقف تأكد لي وآديني اتأكدت. الكلام ده لازم نبلغ بيه أحمد لما نقدر نوصل له.

جلس الجميع محاولين إيجاد ما يساعد في حل القضية، باحثين وسط الملفات الخاصة بالست ضحايا، وملفات المشتبه بهم، مر الكثير من الوقت ولكن دون نتيجة، فلا احد ينطبق علية مواصفات القاتل بتلك الطريقة الشيطانية ولا هناك دليل واضح داخل الست ملفات، وبعد مجهود ضاع هباء جاء هاتف إلى "فؤاد" فأجاب سريعًا.

ألو.. مين معايا؟

تتغير معالم وجهه.

أحمد الشريف؟ آه طبعًا.. هو فين؟

يقف على قدميه في خوف.

إيه؟ مستشفى إيه؟ طب هو عامل إيه؟ أنا جاي حالًا.

ثم أغلق الهاتف وظهرت معالم الخوف على وجهه ليسأله الطبيب "جلال":

- في إيه يا فؤاد بيه؟

- أحمد عمل حادثة بالعربية وهو في المستشفى، بيقولوا كان سكران.

- طب هو عامل إيه؟

- الدكتور طمني وقال لي كدمات بسيطة ومافيش حاجة تخوف، أنا هاروحله وأنتم خليكم هنا حاولوا توصلوا لحاجة، يا شيخ "بلال" فك الورقة دي بسرعة. حاضر.. أنا شغال فيها وقبل ما ترجع هكون خلصتها ما تقلقش.

أمسكه "جلال" قبل أن يخرج وقال:

- فؤاد بيه، لما توصل طمني على أحمد. حاضر يا دكتور جلال.

خرج "فؤاد" مسرعًا خارج المكتب تاركًا الشيخ "بلال" ينظر إلى الطبيب النفسي "جلال" في خوف وريبة مما يحدث، ثم ابتسم "جلال" ووقف وخرج باتجاه الرواق أمام المكتب وأجرى مكالمة.

****

بمكتب مساعد وزير الداخلية اللواء "عثمان حماد"...

يجلس اللواء "عثمان" خلف مكتبه الفخم وأمامه يجلس رجل الأعمال "أكمل طاهر"، ويظهر عليه علامات الغضب والانفعال الشديد، أحضر أحد العساكر فنجانين من القهوة ووضعهما أمام القامتين العظام بعظمة برجي التجارة العالميين ثم خرج مسرعًا، تناول كل منهما فنجانه وتبادلا النظرات التي لا تنم عن شيء سوى الفراغ الذي يحوي كل شيء.

بعد عدة دقائق من النظرات الثاقبة قال "أكمل":

لو الداخلية يا سيادة اللواء مش قادرة تجيب لي حق مراتي وتجيب الواد اللي قتلها أو تعرف إيه اللي حصل يوم مقتلها أنا ممكن أتصرف وعندي طرقي ورجالتي، بس المفروض إننا دولة مؤسسات، والمفروض إن الداخلية عارفة كل صغيرة وكبيرة في البلد، ولا أنا غلطان؟

يبتسم اللواء "عثمان" في ضيق ثم يضع يده على المكتب أمامه ويقول بتروٍّ:

أنا مقدَّر طبعًا زعلك وحزنك على الفقيدة، وعشان كده مش هرد على كمية الإهانات اللي حضرتك قولتها، بس أرجو إن حضرتك ما تنساش إنك في مكتب مساعد وزير الداخلية، أنا بأكد لحضرتك إننا عارفين شغلنا كويس، وإن الموضوع محتاج شوية وقت وهنقبض عليه، وأكيد حضرتك عارف إننا جيبنا زي الواد ده كتير وأتقل منه كمان، الصبر يا أكمل بيه، وأنا بأكد لك

إن خلال الأيام الجاية دي هنجيب الواد ده وكل اللي وراه.

يضع "أكمل" قدمًا على الأخرى في تعالٍ ويقول متسائلًا:

كل اللي وراه! إنتم شاكين إنه تنظيم ولا إيه؟ وبعدين أنا داخلي إيه بتنظيم ولا بعصابة؟ أنا عاوز نتيجة لو سمحت.

يفعل اللواء "عثمان" المثل ويضع قدمه على الأخرى ويغير نبرة صوته.

أنا بأكد لحضرتك إننا في أقرب وقت هنكون وصلنا للواد ده حتى لو كان جن أو في بطن أمه، مافيش حاجة ما نعرفش نعملها يا باشا، هي مسألة وقت، شرفت يا أكمل بيه، وأنت أكيد مقدَّر مشاغلي والضغط اللي عليا.

وقف "أكمل" في ضيق وعدَّل من هيئته وسلم على اللواء "عثمان" ثم غادر مكتبه وهو يجري مكالمة

بعصبية.

****

وصل "فؤاد" إلى المستشفى التي استقبلت "أحمد" واتجه إلى غرفته بعد أن سأل عنها في الاستقبال، طرق الباب ودخل ليجد "أحمد" يرتدي سترة البدلة ويضع سلاحه وهو يعاني من ألم واضح يبطئ من حركته.

اتجه "فؤاد" إلى "أحمد" وحاول مساعدته لكنه دفعه فسأله:

إيه اللي حصل يا أحمد؟ مالك؟

بضيق يحاول أن يعدل من وضعية ملابسه.

مافيش يا فؤاد.. والنبي سيبني دلوقتي، حققتوا مع الواد ده ولا لسه؟

نظر له في شرود.

واد مين؟

ظهرت العصبية على وجه "أحمد".

- عدنان يا فؤاد بيه.. اتكلم ولا لسه؟

- في حاجة أهم من كده عاوزك فيها يا أحمد.

- مافيش أهم من التحقيق مع الواد ده يا فؤاد.

- لا في يا أحمد.

- إيه هي؟ لقينا ورقة في إيد مراتك، ورقة سادسة.

جلس "أحمد" على أحد الكراسي الموجودة في صعوبة.

- إيه؟ وده معناه إيه؟ مكتوب فيها إيه؟ قايمة جديدة؟

- لسه مش عارفين، الشيخ بلال شغال فيها، وكمان الدكتور جلال قال حاجة مهمة.

- قال إيه؟ قال إنه احتمال يكون مش واحد اللي بيلعب معانا، ممكن يكون تشكيل كامل.

يبتسم في سخرية.

- طب ما واضح، ما الواد أهو مرمي في الحجز وسيادتك بتحميه مني ومش عاوز تحقق معاه حتى.

- هنحقق معاه بس قلت آجي أطمن عليك الأول. طب يلا نطلع على الواد ده ونبدأ.

ينظر فؤاد إلى "أحمد" فيجده يتألم بشدة فيقول:

- أنا من رأيي تريَّح شوية وبكرة نبقى نحقق معاه.

- بكرة إيه يا فؤاد؟ أنا مراتي اتقتلت والواد ده عارف مين اللي قتلها وتقول لي بكرة؟! خلاص حاضر.

خرج "أحمد" مستندًا إلى "فؤاد" وهو يتألم بشدة من مواضع مختلفة في جسده، ثم هبط إلى الدور الأرضي حتى باب المستشفى.

رن هاتف فؤاد ليجيب:

ألو، آه، أحمد معايا بس تليفونه فاصل، في إيه؟ إيه؟ بتقول إيه؟ طب ماشي إحنا جايين في الطريق.

ثم أغلق الهاتف في ذهول.

- في إيه يا فؤاد؟ مين اللي كان بيتكلم؟ عدنان لاقوه مقتول في الحجز مدبوح، ولاقوا لسانه وعينيه مش موجودين.

مسح "أحمد" على وجهه في عدم تصديق.

إيه؟ إزاي؟ الكلام ده من إمتى؟

نظر "فؤاد" إلى "أحمد" في عدم استيعاب وقال:

من ساعة بس.

(14)

"أظلم كل شيء الآن رغم توهج النيران، أصبح كل شيء باردًا مثل لوح ثلج بداخله قلب ما زال ينبض بخوف، الكل ينظر عكس اتجاه الآخر، ومع كل ليل يعود تقع الجثث أرضًا، لتضيف إلى الظلام رهبة، هل تشعر بكل شيء؟ استمر في ما تفعله ولا تترك الأمر الآن".

****

وسط ظلام الليل البارد، وفي شرفة منزله يجلس "متولي الشريف" ممسكًا بصورة ابنته "فريدة" وهو يبكي منتحبًا، ويتحدث معها راجيًا إياها أن تسامحه، يقترب من الصورة كأنه يرى ابنته، ويقبلها وهو يقول:

سامحيني يا فريدة، سامحيني يا حبيبتي، أنا ما قدرتش أحميكي، أنا قصرت في حقك وما كنتش جنبك وقت ما كنتي محتاجاني، كنت بعيد عنك في معظم الأوقات، كنت عاوز أأمن لك مستقبلك وأعيشك

أحسن عيشة، وفي الآخر أنا اللي فاضل وأنتِ اللي مشيتي، طب ليه؟

ثم ينظر إلى السماء في حزن ويكمل: "ما أنا أهو يا رب.. أنا كنت مستني دوري، ليه هي مش أنا أو أي حد تاني؟ بس لا.. مش هاموت إلا لما أجيب لك حقك من اللي موتك وحسَّرني عليكي يا نور عيني اللي انطفا بدري".

يكمل بكاء حتى يتوقف فجأة ويتخيل وجود ابنته "فريدة" أمامه مبتسمة وتمد يدها إليه في دلال، تسقط الصورة من يده ويبتسم وهو يتجه ناحيتها مسرعًا، ويفيق قبل أن يسقط من الشرفة، ليعود إلى البكاء من جديد وهو يتفوَّه ببعض الكلمات، ويجلس أرضًا في أسى.

****

يجلس "أحمد" خلف مكتبه وأمامه يجلس "فؤاد" والدكتور "جلال" ويقف أمامهما أمين شرطة وعدة عساكر خدمة ويتحدث إليهم "أحمد" بعصبية.

مين فيهم يا أمين صلاح اللي كان في الخدمة وقت ما عدنان اتقتل؟

ينظر الأمين "صلاح" إلى العساكر الموجودين ثم يقول بخوف:

العسكري شعبان يا أحمد بيه.

يشعل "أحمد" سيجارة في غل وينظر إلى العسكري فيضع عينه في الأرض برهبة.

اتكلم يا ابني قول لي عدنان ده اتقتل إزاي وأنت واقف خدمة على الحبس؟

تدمع عينا العسكرى وهو يقول:

ما اعرفش والله يا أحمد بيه، ما اعرفش.

ينفعل "أحمد" ويقف على قدميه ويقول:

ما تتكلم يا ابني بدل ما أودِّيك في داهية.

ينتفض جسد العسكري ويرجع للخلف ويقول:

أنا كل اللي أعرفه يا أحمد بيه إنه كان بيناهد ويعيط وكأنه بيتكلم مع حد.. ولما شكّيت بصّيت عليه لقيته مدبوح وغرقان في دمه، جريت على الأمين صلاح وبلغته، بس والله ماحدش لا دخل ولا خرج من الحبس طول مدة خدمتي.

يتدخَّل "فؤاد" ليحاول مساعدة العسكري والدخول أكثر في تفاصيل التحقيق.. فيسأل:

وأنت ما اتحركتش طول فترة الخدمة؟

ينظر العسكرى إلى "فؤاد" ويقول:

لا يا فؤاد بيه اتحركت 5 دقائق روحت دورة المياه ورجعت.. بس المفاتيح كانت معايا.. وأكيد ماحدش يلحق يعمل ده كله في الوقت القصير ده.

يجلس "أحمد" في غل ويقول:

- وأهو لحق يا أخويا وأنت واقف نايم، هاتوا لي كل تسجيل الكاميرات في الحبس وكل حتة في الوقت

اللي الواد ده اتقتل فيه، وأنت يا أمين صلاح خد الواد ده حطه في الحجز لحد لما نعرف إيه اللي حصل. تمام يا فندم.

ثم خرج الأمين صلاح برفقة عساكر الخدمة في نفس الوقت الذي وصل فيه الطبيب الشرعي "سامي" وعلى وجهه خوف وفزع، وعندما جلس نظر إلى "أحمد" في خوف، وأراد أن يتحدث لكنه استشعر الحرج فسكت، وساد الصمت، حتى بدده "أحمد" وقال بعين دامعة:

قول يا دكتور سامي.. إيه نتيجة التشريح؟ أنا سامعك.

نظر "سامي" إلى "أحمد" مواسيًا ثم قال وهو يمد يده بملف:

التقرير أهو يا أحمد باشا فيه كل حاجة.

أعطى "سامي" التقرير إلى "أحمد" ثم همَّ بالقيام.

اسمح لي أستأذن.

استوقفه "أحمد" وقال:

اقعد يا دكتور سامي، عاوز تقول إيه؟ خلاص اللي حصل حصل.

استشعر "سامى" الحرج.

مافيش حاجة يا أحمد باشا.. مش مهم.

نظر له "أحمد" بعين دامعة.

لا يا دكتور.. كل حاجة مهمة بالنسبة لي، دي مراتي قبل ما تكون قضيتي.

جلس "سامي" في أسى وتردد قبل أن يقول:

أنا كنت بشرَّح.. أقصد كنت باشتغل، وهي بصت لي فجأة، أنا رجَّحت إني أعصابي تعبانة، بس هي قالت لي: قول لأحمد إن اللي قتلني هيقتلكم كلكم، وإن مافيش حاجة هتقدر تمنعه، قالتها أكتر من مرة، خلصت.. وقبل ما أخرج لقيت خيال كبير واقف بره في الطرقة مالوش ملامح، هو سواد، الوقت كان

متأخر، وما كانش في حد أستنجد بيه، النور قطع ورجع، وما كانش في حد، خرجت بسرعة ورجعت على بيتي وأنا بافكر في كل حاجة حصلت من أول واحدة ماتت لحد مراتك يا أحمد باشا، فضلت أشرب كتير لحد لما نمت وأنا باشرب، أنا مش عارف إيه اللي بيحصل، ومين القاتل ده، أنا تعبت وقدمت استقالتي النهارده الصبح وقبلوها، أنا هاسافر كام يوم أغير جو وبعدين هارجع على أي جامعة أدرس فيها وأبعد عن المجال ده خالص، أشوفكم على خير، شد حيلك يا أحمد باشا.

ثم وقف وسلم على "أحمد" و"فؤاد" والطبيب "جلال" وغادر وهو يخرج زجاجة صغيرة من جيبه وتجرع منها عدة رشفات متتالية أمام عين "أحمد" الدامعة التي رافقته حتى غاب عن الأنظار.

****

في غرفة مظلمة يقف جسد ضخم مكتسٍ بالسواد وهو يصقل سكينًا غليظًا ويتمتم ببعض الكلمات غير

المفهومة، ويضع أمامه 6 صور للقتلى على لوح من خشب، يمد يده فتظهر مغطاة ببعض الشاش به الكثير من الدماء، يمسكهم ثم يضعهم جانبًا وهو يضحك بصوت مرتفع.

****

في مكتب اللواء "عثمان" يقف الضابطان "أحمد" و"فؤاد" أمام مكتبه منتظرين انتهائه من مكالمة يبدو أنها من جهات عليا في الوزارة.

انتهى اللواء "عثمان" من مكالمته ثم نظر إلى الضابطين بعين يملأها الشر محاطة بهالة حمراء داخل هالة سوداء، ثم ضم قبضته وطرق بها على المكتب بعصبية قائلًا:

فشلتوا في حل 5 حالات قتل في وقت قصير وورا بعض وقلنا ماشي وكانت النتيجة مراتك ماتت يا حضرة الظابط، وعذرناك.. لكن نفشل إننا نأمن مسجون عندنا ويموت بالطريقة دي جوه الحجز من غير ما نلاقي دليل واحد ولا يبان حاجة في أجهزة

التسجيل، ده مش ممكن ولا حصل وهيحصل تاني في الوزارة يا شوية فشلة.

حاول "أحمد" أن يرد.

يا فندم...

قاطعه اللواء "عثمان" بحدة:

مش عاوز أسمع صوت.. أنا مش جايبكم أتكلم معاكم أو أعرف إيه اللي حصل.. إنتم أثبتوا عدم كفاءة عشان كده أنا سحبت منكم ملف القضية دي بالكامل وإدّيتها لاتنين ظباط جداد غيركم.

ينفعل "أحمد" ويرتفع صوته قائلًا:

يعني إيه يا فندم، أنا مراتي ماتت وأنت بتمنعني من إني آخد حقها؟

يطرق اللواء "عثمان" بيده على المكتب ويرد بصوت مرتفع:

الزم حدودك يا سيادة الرائد، أنا مقدر موقفك عشان كده هاكتفي بإني أبعدك عن القضية وعن المباحث كلها، وأديلك إجازة شهر تهدي أعصابك وبعدين ترجع على مكانك الجديد.. نكون جيبنا حق مراتك.

يحاول "أحمد" التحدث.

بس يا فندم...

يقاطعه مرة أخرى.

مفيش بس.. أنت أفعالك مش مضمونة اليومين دول يا أحمد.. خد إجازة تبعد فيها عن الضغط، سافر أو غيَّر جو.. ابعد شوية لحد ما تريَّح أعصابك، أنت ما تعرفش الرأي العام والإعلام مبهدلنا إزاي بعد موت عدنان.. دول بيطالبوا باستقالة وزير الداخلية.. إنتم مقدَّرين الوضع؟ يلا كل واحد يرجع مكتبه.. وسلموا الظباط الجديدة كل ملف القضية بالكامل، ماشي، بالكامل.

ظهرت الدموع في عيني أحمد ولاحظها الجميع ثم قال الضابطان:

تمام يا فندم.

أدى الضابطان التحية ثم خرجا ينظران إلى بعضهما البعض في حنق، وخصوصًا "أحمد" الذي ظل دامع العينين وهو يتذكر زوجته الذبيحة.

****

بعد منتصف الليل.. الطبيب الشرعي "سامي" وصل إلى منزله يترنَّح كأنه عائد من ملهى ليلي، تحدث بالكثير من التخاريف، وقف أمام المصعد واستدعاه، ظل واقفًا لفترة طويلة ولم يصل المصعد، نظر إلى أعلى وصاح مناديًا "اللي فوق يقفل" فلم يعره أحد اهتمامًا، صعد السلالم يستند على الحائط يمينًا ويسارًا وكاد أن يسقط، وصل أمام شقته، استند على الباب حتى يخرج مفاتيحه فانفتح الباب من تلقاء نفسه ووقع "سامي" إلى داخل الشقة، وقف ولمحت عيناه

جسدًا يقف في الظلام، وتلاقت أعينهما، وقبل أن يصيح تساقطت الدماء من رقبته.

****

"أحمد" داخل مكتبه وبيده صندوق متوسط الحجم يضع به متعلقاته الخاصة من ملفات وصور، ثم توجه إلى الخزانة وأخرج منها 6 كتب سوداء كانت تخص الـ6 سيدات اللاتي ذُبِحن، وضع واحدًا منها داخل صندوقه وترك البقية على سطح المكتب، انتهى وأغلق الصندوق، وظل معلقًا وجهه على اللوحة العملاقة خلف مكتبه وهو دامع العينين.

سمع صوت خطوات تقترب من خلفه مسح عينيه والتفت ليجد الشيخ "بلال" مسرعًا إليه ويعطيه ورقة بيده، أمسكها وقرأها عدة مرات غير مستوعب المكتوب بها أعاد قراءتها بصوت مرتفع: "سيلقى كل من اقترب من الكتاب الأسود حتفه بلا استثناء، من أمسكه ومن قرأه ومن نظر إليه".

دخل "فؤاد" إلى مكتب "أحمد" وهو يحمل بيده هو الآخر صندوقًا، نظر إلى الاثنين "أحمد" والشيخ "بلال" متسائلًا، ليشير إليه "أحمد" ويعطيه الورقة، أمسكها "فؤاد" وقرأها عدة مرات ثم جلس وقال:

يعني إيه؟ يعني كلنا هنموت؟ الكلام ده معناه إيه يا شيخ بلال؟

الشيخ "بلال" بأسى:

زي ما أنت شايف يا فؤاد بيه،كل اللي ليه علاقة بالقضية والكتاب الأسود هيموت.

سكت الجميع للحظات ثم قال "فؤاد":

أنا بدأت أشك إننا بنتعامل مع حاجة تفوق قدرات البشر يا أحمد، ولا أنت شايف إيه يا شيخ بلال؟

اندفع "بلال" قائلًا:

أنا قلت لكم ده شيطان سفلي يا فؤاد باشا وكدبتوني، إحنا بنتعامل مع جيش من الجن السفلي يا جماعة.

بصوت مرتفع قال "أحمد":

ماحدش يجيب سيرة جن وعفاريت وخرافات،كفاية بقى.

ارتفع صوت "فؤاد" هو الآخر:

أنت لسه بتكابر يا أحمد؟ مستنِّي تخسر إيه تاني؟ طب تفسيرك إيه؟ مافيش بصمات، مافيش دليل، مافيش غلطة، مافيش تفسير حتى يا أخي، قاتل ماحدش بيشوفه ولا بيسمعه ولا بيسيب أثر.

بصوت أسكت الجميع قال "أحمد":

قاتل محترف يا فؤاد، اعقل كلامك.

هدأ "فؤاد" وقال:

قاتل محترف؟ طب وكلام الدكتور سامي مع الجثث؟ والدجالين اللي خافوا يفكوا حرف واحد؟ والكتب السودا؟ وكلام الشيخ بلال؟ وعدنان اللي مات في القسم والكاميرا ما صورتش حتى مات إزاي؟ فسرا!

بإرهاق ودموع قال "أحمد":

- أنا لا هافسر ولا قادر أتكلم، إحنا خلاص بره القضية، أنا هاسافر كام يوم أغير جو وأبعد عن أي حاجة ليها علاقة بالفترة السودة دي، يمكن أعرف أكمل وأعيش. إن سابك تعيش.

قالها الشيخ "بلال" ثم تركهما وخرج متمتمًا بآيات قرآنية تحصنه من الشيطان وأعوانه ويسبح على مسبحته.

نظر الضابطان إلى الشيخ "بلال" الذي ارتفع صوته كان عقله قد شتَّ وهو يقول: "أنا في حماك يا قاهر.. أنا في حماك من الغادر".. ظل يرددها حتى ابتعد.

****

يقف "أحمد" وبجانبه عمه "متولي الشريف" أمام مسجد الشرطة يستقبلان العديد من رجال الشرطة الذين أتوا للعزاء في فقيدتهما "فريدة"، لم يكن هناك مجال للكلام، ولم يكن هناك شيء داخل عقل أحمد

سوى صورة "فريدة"، والعديد من المواقف معها، عندما كان ينتظرها أمام الجامعة كي يعود بها إلى بيت عمه وهو بزيه الميري لتتباهى به أمام أصدقائها، وعندما جلس بجانبها في الزفاف وكانت تنظر له في ابتسامة، وعندما ذهبا ليقضيا شهر العسل خارج مصر وسط المناظر الخلابة في إحدى الدول الأوروبية، حتى أفاق على مشهد قتلها وهي تقطر دمًا وتناديه باسمه متألمة، هبطت الدموع من عينيه لا إراديًّا وابتعد صوت الحضور حتى انعدم كل شيء وانعدم ضوء المكان من أمام ناظريه.

(15)

"السم! السم مادة غريبة يمكن استخدامها للشفاء وللقتل.. كذلك النار، اعلم أن أصل القتل شيطان، اقترب معي بحرص تلك المرة".

****

داخل مسكن "فؤاد" تتجه زوجته "عبير" باتجاه "السفرة" وهي ممسكة بيدها طعامًا يتصاعد منه البخار، تركته وسط تلك المنضدة المزينة بأشهى ألوان الطعام، أحضرت شمعدانًا فضيًّا جميل المنظر ووضعت به عدة شموع وأشعلتها، أغلقت الإضاءة لتظهر الأجواء رومانسية إلى أقصى درجة.

ابتسمت وتحركت إلى باب المسكن عندما سمعت خطوات زوجها التي تعلمها جيدًا، ولكنه أتى باكرًا على عكس عادته، انتظرت أن يفتح الباب ويتفاجأ بذلك المشهد الرائع لكنه لم يفعل، أحست بشيء مريب، فتحت الباب بسرعة فلم تجد شيئًا، ولكنها سمعت خطوات تعدو صعودًا إلى الدور العلوي مع صوت لنباح

كلب مرتفع، أحست بالخوف وفزعت، أغلقت الباب ثم عادت إلى غرفتها، لتسمع صوت باب المسكن يفتح، سقط قلبها أسفل قدميها.

هرولت سريعًا لتجد "فؤاد" يقف بالقرب من "السفرة" وهو ينظر إلى نيران الشموع بترقب وشغف، اقتربت مسرعة ولكن قلبها بدأ في الخفقان لتتأخر خطواتها رويدًا حتى وقفت خلفه ببعض الخطوات القليلة، همست باسمه: "فؤاد". ثم سكتت، أحس بوجودها فالتفت ببطء مميت كالأموات، وبدأت ملامحه تتحول من الوسامة إلى القبح، وقد برزت له قرون أعلى رأسه واتسعت عيناه ثم ابتسم لها لثوانٍ أحست فيها بموت وشيك.

صرخت بشدة لتفيق وهي على فراشها ترتعش وتصيح..

ابعد عني، ابعد عني، أنت مين؟

أفاق "فؤاد" وأضاء النور ليجد "عبير" ترتعش وتنظر إليه في رهبة لم يفهم معناها، ثم وضعت يدها على وجهه وظلت تتلمسه لبعض اللحظات حتى اطمأنت وابتسمت وسط ذهول منه فسألها:

مالك يا عبير؟ إيه اللي حصل؟

ارتمت "عبير"داخل حضنه وتشبثت به، وخرج صوتها ضعيفًا:

شوفتك شيطان، بس ده كان كابوس.

سكت "فؤاد" للحظات ثم قبلها وقال:

بذمتك ده شكل شيطان؟

ثم دفعها إلى الفراش واقترب منها يداعبها لتتعالى ضحكاتها وتطمئن وتبتسم، ليقطع صفوهما صوت الهاتف يرن، سكت الزوجان ثم توجه "فؤاد" إلى الهاتف ورد على المكالمة.

الرائد فؤاد.

سكت ليستمع الرد من الطرف الآخر لتتغير ملامح وجهه إلى الخوف، نظر إلى "عبير" ثم رد قائلًا:

حاضر.. أنا هاكون موجود خلال ساعة، مع السلامة.

أنهى المكالمة ثم وقف واتجه ليرتدي ملابسه، لتوقفه "عبير" قائلة:

أنت رايح فين يا فؤاد؟ أنت مش قلت إنك إجازة أسبوعين؟

نظر لها في أسى وقال:

معلش يا حبيبتي لازم أروح الشغل حالًا.

ظهرت معالم الغضب على وجهها وقالت متسائلة:

ليه بقى إن شاء الله، هو أنت مش سيبت القضية المتعبة دي؟

وهو ينتهي من ارتداء قميصه.

دكتور سامي مات يا عبير، ما كنتش عاوز أقلقك بس لازم أقول لك، مش عاوزك تفتحي لحد مهما كان، ولو حسيتي بحركة مش مظبوطة كلميني.

ساد الصمت الأجواء وساد الخوف ملامحها ثم قالت:

هو إيه اللي بيحصل يا فؤاد؟ أنا خايفة.

اقترب منها في عجالة وقبل رأسها وقال:

ما تخافيش أنا مش ممكن أخلي حاجة تحصل لك.

دمعت عينيها وقالت:

أنا مش خايفة على نفسي عشان أنا عارفة إنك هتحميني، أنا خايفة عليك أنت يا فؤاد.

ابتسم لها وقال:

ما تخافيش.. أنا عارف أنا باعمل إيه كويس أوي.

ثم تركها وخرج سريعًا إلى مكان الحادث.

****

داخل أحد البارات ووسط الموسيقى الصاخبة يجلس "أحمد" ممسكًا بيده كأسًا به أفخر أنواع الخمور، وبيده الأخرى صورة لزوجته "فريدة"، تمر عليه لحظات بين العقل وغيابه، فيبكي للحظات ثم يضحك دامع العينين وسط الصوت المرتفع فلا يسمعه أحد أو يكترث له أو لما يفعله.

امتزجت الخمور بدمائه فأصبح غير مدرك لما يفعله، الكثير من الكؤوس المتتالية، والكثير من الصخب، عزلاه عن الحياة ولم يعد إليها إلا بعد أن وجد مجموعة من الشبان حوله لا يسمعهم لكنه يشعر بالإهانة، نظر إليهم برأس تدور وعين تزوغ وجسد مضطرب يهتز بين الحين والآخر، ليلمح بيد أحدهم صورة زوجته، نظر إلى يده فلم يجدها، نظر إلى ذلك الشاب مرة أخرى ليجده يرفع الصورة إلى أعلى ليراها كل أصدقائه وهو يلقي بعض النكات على ذلك الوضع الذي يمر به "أحمد".

لم يتمالك أعصابه، توقف الزمن وابتعدت الموسيقى حتى صمتت، قلبه يضخ الدماء الساخنة داخل عروقه الملتهبة، وعقله يصدق على ما تمليه عليه نفسه الآن، سحب زجاجة شبه فارغة بالقرب منه ولم يدرك أنها تتجه إلى وجه الشاب الذي تلقاها وسط ذهول وصراخ أصدقائه.

عاد الزمن إلى سرعته الطبيعية، وقبل أن يتشجع أحدهم، أخرج "أحمد" سلاحه الناري وشد أجزاءه دليلًا على استعداده التام للقضاء على أحدهم، في وقت قليل ابتعد عنه الجميع، أفاق نسبيًا وركل الشاب الملقى أرضا وسط دمائه بعد أن استرد ما له،خرج مسرعًا إلى السيارة.

أخرج زجاجة ماء وسكبها على رأسه فأحس بوعيه يعود إليه من جديد، أفاق الآن واتزن جسده وتوقف عن الهذيان، دخل إلى سيارته فوجدت هاتفه يهتز معلنًا عن اتصال ملح، نظر فوجده من "فؤاد"، رد مسرعًا علَّه يجد عنده ما يسر، ليتلقى صوته.

أنت فين يا أحمد؟ سامي اتقتل في بيته، وأنا هناك دلوقتي، تعالى بسرعة قبل ما تيجي الظباط الجديدة ويمنعونا من الدخول.

مسح "أحمد" على وجهه ثم قال بعد أن احتد وجهه:

أنا جاي حالًا وأخر الإجراءات عقبال ما آجي يا فؤاد.

أنهى المكالمة ووضع الهاتف بجانبه، أدار الموتور ليلمح وجه زوجته "فريدة" في انعكاس المرآة وهي تنظر لة شذرًا وعلى وجهها دماء، يرتعد وينظر خلفه سريعًا فلا يجد لها أثرًا، هز رأسه ثم نظر أمامه وقاد سيارته إلى مكان الحادث.

****

وصل الشيخ "بلال" إلى شقته مرهقًا بعد سفر دام لعدة ساعات متواصلة، وضع حقيبته بجانب الباب وأخرج عدة مفاتيح وانتقى منها واحدًا، ثم وضعه بالباب الذي فتح بعد ان ارتطم بشيء ما خلفه، جعل الشيخ "بلال" ينتفض ويرجع إلى الخلف في حذر،

تمتم ببعض الكلمات غير المفهومة، ثم أمسك بحقيبته ودخل في خوف إلى ظلام شقته الباردة.

فتح الإضاءة وبحث عن الشيء الذي ارتطم به الباب، ليجد ذلك الكتاب الأسود ملقى على الأرض، فزع من أول نظرة له، وتذكر تلك الورقة التي وجدوها بيد آخر ضحية، ابتلع ريقه ثم أغلق خلفه الباب بإحكام، وظل يبحث داخل الشقة عن شيء ما وهو يتمتم ببعض الكلمات، ولكنه فشل في العثور عليه.

جلس منهكًا وقد غلبه التعب والإرهاق، فغفلت عيناه للحظات، ثم أفاق ليجد أمامه عدة أجسام مكونة صفًّا أمامه، رفع رأسه ليفاجأ بأنهم الضحايا الستة، متراصين أمامه وعلى وجوههم نظرة الانتقام والغل، ارتعد وأخذ يبسمل، وأراد الفرار لكن يده كانت محكمة الوثاق أمامه على منضدة كان مكانها بالمطبخ هي وكل تلك السكاكين التي فوقها.

نظر إليهن في خوف واستعطاف بعد أن عجز لسانه وكل طرق حل تلك المواقف عن الفائدة، دمعت عيناه

مع اقتراب إحداهن، وجذبت سكينًا وبدأت في قطع أول إصبع من أصابعه وسط صراخ شديد منه وبكاء متواصل، أمسكت الأخرى سكينًا وبدأت في قطع الإصبع التالي، وفعلت التي تليها ذلك، حتى انتهين من كل أصابعه، كثرة الدموع في عينيه لم تمكنه من رؤية الكيان الأسود الذي يقف خلفهن، واقترب بشدة منه قائلًا بصوت مخيف:

أنت اخترت طريقك بقلبك، وإيدك دي هي اللي كتبت وساعدت، وده عقابك.

ثم أمسك بالسكين ووضعها في صدر الشيخ "بلال"، الذي صاح ليجد نفسه بداخل القطار، وقد امتلأت ملابسه بدموعه وعرقه، نظر إلى يديه وأصابعه فوجدها مكانها، ووضع يده على رأسه في خوف وهو يتمتم بكلمات غير مفهومة.

****

جثة الطبيب "سامي" تحمل الكثير من معاني الألم الذي تعرض له قبل موته البطيء هذا وتلك العلامات

غير المتناسقة على جسده كانت جروحًا غائرة لدرجة مؤلمة توحي بعذاب ليس بهين، مشهد وجهه الخالي من العينين، وفمه المفتوح من غير لسان كفيل ببث الكثير من الرعب في كل الحضور.

اقترب أحد رجال المباحث الجنائية من الجثمان، فوجد أن بها تشوهات نتيجة سائل ما موجود منه في فم المتوفى وبجانبه، اقترب منه آخر ليسأله عن ماهية ذلك السائل قائلًا:

إيه المية دي اللي في كل مكان وعلى جسمه، هي اللي عاملة الحروق دي كلها؟

نظر الآخر إليه في حذر وقال:

ما تلمسش حاجة.. دي غالبًا مية نار، في حد أجبره على شربها، والدليل إن جسمه لسه بيطلع دخان لحد دلوقتي، ده شكله اتعذب أوي قبل ما يموت.

ظهرت معالم الخوف على الاثنين، فقال أحدهما:

مين اللي يقدر يعمل حاجة بالقسوة دي؟ ده أكيد مش بني آدم.. ده أكيد شيطان.

جاءت تلك الجملة كالصاعقة على "أحمد" و"فؤاد" وهما واقفين بالقرب من الجثمان ومن يحيطون به من رجال المباحث الجنائية والطب الشرعي، ثم قررا الرحيل قبل أن يصل الموكلين بتلك القضية بدلًا عنهما، تاركين جثمانًا آخر من غير دليل، ليزيد الأمور تعقيدًا وخوفًا مغلفًا بتلك الحالة من العجز وقلة الحيلة.

(16)

"ماذا يضير الشاة بعد ذبحها؟ مقولة شهيرة، ولكنها في غير موضعها، القتل يصنع معبرًا للشيطان ويوطد نفوذه في عالمنا، هناك المزيد من الشياطين بجانبك كي تكون على دراية".

****

شخص يجلس في غرفة مظلمة لا تظهر ملامحه يشاهد برنامجًا يتابع التطورات الخاصة بقضية الرأي العام الأشهر في ذلك الوقت، التي أطلق عليها المذيع "قضية العجز"، وبعد أن انتهى المذيع من إلقاء اللوم والاتهامات لرجال الداخلية ووزيرها، ونعتهم بالفشل، أغلق ذلك الشخص التلفزيون ليمكث داخل ظلام محدق، وظل يضحك بصوت مرتفع وهو يسعل من فرط الضحك.

****

داخل مكتب اللواء "عثمان" يجلس الضابطان مواجهان لبعضهما البعض وينظران في خوف في انتظار قدوم اللواء، بعد فشلهما في حل قضية مقتل الطبيب "سامي" أو التوصل لأي شيء جديد خاص بالست ضحايا السابقين.

مرت دقائق دخل بعدها اللواء "عثمان" يستشيط غضبًا، وما إن رأياه حتى وقفا وأديا التحية العسكرية، فأشار لهما بإهمال بأن يجلسا، ثم جلس هو خلف مكتبه.

هي بقت سمة في ظباط المباحث ولا إيه أنا مش فاهم؟

قالها اللواء "عثمان" للضابطين بكل عصبية وحنق فلم يتلقَّ ردًّا.

أنا عاوز أعرف إيه التقرير اللي حضراتكم كاتبينه ده يا بهوات؟ يعني إيه عدم وجود دليل واحد أو خيط يصلح لتتبع الجاني؟

أعاد قراءة التقرير مرة أخرى وقال:

إنتم عاوزين تفهِّموني إن في واحد في مصر، لا، في العالم ممكن يرتكب كل جرايم القتل دي من غير ولا دليل واحد أو غلطة.

حاول أحدهما أن يتحدث فقاطعة اللواء "عثمان" بحدة:

ما تقاطعنيش، أنا لسه ما خلَّصتش كلامي، وبعدين عاوز تقول إيه؟ إنك فاشل!

صمت الضابط وظهرت معالم الخوف على وجهه، فأكمل اللواء "عثمان" بحدة:

- قدامكم شهر واحد من دلوقتي تجيبوا القاتل ده، ولو ما حصلش اعتبروا نفسكم بره القضية، لا.. بره المباحث خالص، إنتم فاهمين؟ انصراف.

وقف الضابطان وأديا التحية العسكرية في انكسار عائدين بخوف وكبت من لم يتفوَّه بكلمة وهو يسلخ

حيًّا مثل الضحايا.

ركب الضابطان سيارة خاصة بأحدهما وهما يتبادلان الكلام بعصبية من ذلك الوضع الذي لا مفر منه، تحركت السيارة وتتبعتها سيارة أخرى يقودها "أحمد" وبجواره الكتاب الأسود ينظر له في تعجب وعدم فهم.

****

في نهاية الأسبوع انتهى "وليد" من عمله، وهو موظف المعمل الجنائي الذي أكد صحة الفيديو الخاص بفيلا رجل الأعمال "أكمل"، والذى صوَّر طريقة مقتل زوجته "مرفت محمود نور الدين" من ذلك الكيان الأسود.

خرج من أحد المباني الحكومية الخاصة بوزارة الداخلية، فرك عينيه من شدة الإرهاق وركب سيارته التي اشتراها حديثًا، شغَّل إذاعة أغانٍ وظل يردد كلمات أغنية يحبها وهو يدير محرك السيارة وينطلق بها.

اعتاد أن يسافر كل نهاية أسبوع ليغير من جو عمله المرهق ويستشعر الراحة، وبسبب تأخر الوقت قرر أن يسلك طريق السفر حتى يصل في الصباح وينعم بإجازة تنسيه ضغط العمل.

ظهر مؤشر عداد السرعة فوق الـ180 ومازل يرتفع وسط صخب الأغاني وانسجام وليد معها، حتى قطع صفو ذهنه هاتف يرن، خفض وليد الصوت ونظر إلى الهاتف ليجده رقمًا خاصًا لا تظهر أرقامه، هدَّأ السرعة قليلًا وأجاب.

ألو.. مين معايا؟

لم يتلقَّ ردًّا ولكن هناك أصوات متداخلة لصراخ واستغاثة من عدة أصوات مختلفة، أغلق الهاتف سريعًا وظهرت معالم الخوف على وجهه، انحرفت السيارة منه، ولكنه استعادها سريعًا وهو يتصبَّب عرقًا.

رن هاتفه مرة أخرى ولكنه لم يجب، وبعدها وصلته رسالة، أوقف السيارة على جانب الطريق وفتح

الرسالة وهو يتصبَّب عرقًا ملأ قميصه، ظهرت على شاشة الهاتف: "سيلقى حتفه كل من اقترب من الكتاب الأسود بلا استثناء، من أمسكه ومن قرأه ومن نظر إليه".

ابتسم ومسح عرقه وقال باستهتار:

سخيف أوي يعني.

أغلق هاتفه ووضعه بجانبه لترتطم يدة بشيء، نظر إليه فوجده كتابًا أسود، اتسعت عيناه، وقبل أن يصرخ ظهر شيء من خلفه مغطى بالسواد ومر بسكين على رقبته وتركه ليلفظ أنفاسه الأخيرة وسط دمائه السائلة وعينيه الجاحظتين متحجرتين ومحتفظتين بآخر شيء رآه في انعكاس مرآة السيارة.

****

امتلأت المشرحة بالجثامين وامتلأت الصحف بصورة "وليد" وطريقة قتله البشعة داخل سيارته الملطخة بدمائه، وانتقل جسده إلى المشرحة برفقة رأسه التي

فصلت عن باقي جسده العاري وبه الكثير من الجروح الغائرة متمثلة في الرسومات التي لا معنى لها، وبيده ورقة مكتوب بها "سيلقى حتفه كل من اقترب من الكتاب الأسود بلا استثناء، من أمسكه ومن قرأه ومن نظر إليه", والتي كتبت بصيغتها داخل الصحف؛ ليبدأ التساؤل حول ماهية هذا الكتاب الأسود الذي رافق كل من قتل، وأصبح الشغل الشاغل لكل من تابع هذه الجرائم.

****

بزيه الرسمي دخل "أحمد" إلى مكتب اللواء "عثمان" ووجد هناك "فؤاد" والضابطين اللذين فشلا في حل لغز تلك القضية، وبعد عدة دقائق وصل اللواء "عثمان" وبدأ قائلًا:

طبعًا أنتم عارفين الوضع اللي إحنا فيه بسببكم.

حاول "أحمد" المقاطعة، فاستوقفه اللواء "عثمان" قائلًا:

إحنا مش هنا عشان نتجادل، إحنا هنا عشان نشوف حل في الوضع ده، وهينضملنا كمان دقائق الدكتور "جلال" الطبيب النفسي، عنده كلام مهم عاوز يقوله، وبعد كده هنحط خطة هنمشي عليها كلنا عشان نقدر نحل القضية دي، من الآخر إحنا هنعمل غرفة عمليات هترأسها أنا وهيشرف عليها وزير الداخلية بنفسه.

رفع "فؤاد" يده وقال:

طب يا فندم معنى كده إننا رجعنا أنا وأحمد للقضية تاني؟

مسح اللواء "عثمان" على جبينه وقال:

مش بشكل رسمي، وده لمصلحتكم، أنتم وضعكم في المباحث بقى سيئ جدًّا، بس أوعدكم لو قدرنا نحل القضية هارجعكم تاني وبترقية، بس هترجعوا مكاتبكم.

ابتسم الجميع عدا "أحمد" الذي شرد وهو ممسك بـ"دبلة" زواجه، وأخذ يحركها من مكانها وسط أصابعه،

وقاطعه صوت اللواء "عثمان"..

أحمد.. أنت لازم تعرف إننا كلنا معرضين للموت، وأهلنا كمان معرضين لده، أنا آسف لخسارتك، بس أنت ظابط وحياتك وحياة كل اللي بتحبهم وتعرفهم على كف عفريت.

على تلك الكلمة "عفريت" دخل الطبيب النفسي "جلال" وقال:

مبدئيًا سيادتك مافيش حاجة اسمها عفريت.

تلك الجملة نبَّهت الجميع ومهدت الطريق لـ"جلال" كي يبدأ حديثه سريعًا.

وأنا هنا النهارده عشان أوضحلكم حاجات ممكن تكون غايبة عنكم وماحدش قدر ياخد باله منها وسط الدوشة اللي عاملها لنا القاتل أو العصابة عشان أكون أدق.

لمعت عينا "أحمد" وحضر بكل تركيزه لكل كلمة يقولها الطبيب النفسي "جلال"، لعله يكون على حق في فكره ويكون هو الخيط الوحيد في تلك القضية المبهمة، ولعله يتمكن من حل طلاسم تلك القضية.

****

في أحد الأحياء القديمة، وداخل بيت عالي الجدران كثير الغرف ينام "بكر الفيل" داخل حجرته قليلة الإضاءة، على فراش واسع، ويلتحف بالكثير من الغطاء، وبجانبه الكثير من الزجاجات الفارغة من الخمور و"البيرة"، يصدر أصواتًا عالية وهو نائم يرتعد لها الأطفال، يفتح باب غرفته ببطء فيصدر أزيزًا مزعجًا، يفتح "بكر" عينيه في خوف، يشعر بأن هناك خطوات تقترب من الفراش، ثم جلس صاحبها على الفراش ليهبط به قليلًا خلف "بكر"، صوت نداء يأتي من صاحب الجسد من خلفه.. "بكر! بكر"، خفق قلبه واندفعت الدماء إلى عينيه وعقله ليشعر بخوف وفزع، لحظات وبدأت الأغطية تسحب من فوق جسده واحدًا تلو الآخر بسرعة، ليفزع ويقع أرضًا وهو يقول: "مين؟

مين؟" ثم سكت وهو فاغر الفم عندما رأى زوجته "نوال" تقف على الجانب الآخر من الفراش تنظر له بعين بيضاء وتنهمر الدماء من رقبتها، وهي تبتسم وتشير إلية بتلك الملابس المتسخة، رجع إلى الخلف في خوف وحاول الهروب رغم جسده العملاق، ولكنها اقتربت أكثر منه، فتح الإضاءة فلم يجد أحدًا، جلس أرضًا يتصبب عرقًا، أخذ نفسًا وأشعل لفافة كانت بجانب الفراش، وأخرج هاتفه ليجري مكالمة وهو يتنهد في قلق.

****

بعد انتهاء الاجتماع خرج "أحمد" وتبعه "فؤاد" مسرعًا واستوقفه قائلًا:

أنت إيه رأيك يا أحمد في كلام جلال؟

نظر "أحمد" إلى "فؤاد" وقال مفكرًا:

أعتقد عنده حق، وإنهم مش واحد دول عصابة، ماحدش يقدر يعمل ده كله لوحده يا فؤاد.

وقف "فؤاد" مقابل "أحمد" وقال:

هما أكيد مش واحد.. بس برده هما مش بشر يا أحمد، مافيش إنسان يقدر يعمل كده في ضحية ويرتكب كل الجرايم دي في وقت قريب كده.

نظر "أحمد" إلى "فؤاد" باسمًا وقال ساخرًا:

أنا عاوز أعرف أنت ظابط إزاي يا ابني؟ قبلوك في الشرطة إزاي؟

صدرت ضحكة من "فؤاد" وظلا يتبادلان الحديث حتى خروجهما.

****

في وقت متأخر من الليل يجلس الـ"4" ضباط في مكتب التحقيقات بإحدى الجهات الأمنية، وكل منهم يعمل جاهدًا لاستخراج أي دليل، الكثير من الملفات على المكاتب والصور والأوراق معلقة على الحوائط بشكل يوحي بأنك داخل جريدة وليس مكتبًا للتحقيقات.

رن هاتف "فؤاد" ليجد الاتصال من الطبيب النفسي "جلال"، فأجاب مسرعًا ليجد صوت "جلال" منخفضًا ويقول:

فؤاد.. أنا في حد بيحاول يقتحم بيتي.

ارتبك "فؤاد" ووقف وقال بصوت مرتفع لينبه الجميع.

طب أنت فين؟ خليك مكانك، أنا هاجي بسرعة، وحاول تمسك حاجة تدافع بيها عن نفسك.

جاء صوت "جلال" منخفضًا:

أنا في بيتي في الهرم، وأنا فعلًا معايا سلاح، تعالوا بسرعة، سلام.

أغلق "فؤاد" الهاتف وخرج مسرعًا ومعه أحمد والضابطان.

ركب أحمد سيارته وبجواره "فؤاد" وأدار الموتور وقبل ان ينطلق سمع صوت انفجار ضخم.

هبط "أحمد" و"فؤاد" مسرعين ليجدا سيارة الضابطين انفجرت وهما بداخلها، وضع "أحمد" يده على رأسه، بينما حاول "فؤاد" أن يحضر المساعدة من الداخل.

بعد عدة دقائق حضرت سيارات الإسعاف وسيارات الشرطة لتحيط بالمنطقة بالكامل، وبدأ رجال الفحص عملهم في استخراج ما تم تصويره من كاميرات المبنى قبل الانفجار.

حضر اللواء"عثمان" إلى مكان الحادث وعلى وجهه الذعر، فهو لم يكن يتصور أن يكون هناك أحد له من الذكاء الكافي للتلاعب بعقول ضباطه وتصفية من يريد في الوقت الذي يريده، أحس بالعجز وازداد إحساسه عندما رأى وجهه "فؤاد" و"أحمد" وهما ينظران إلى جثماني زميليهما، تلك النظرة حملت الكثير من الغدر، وجعلت النيران تندلع أكثر وأكثر.

(17)

"بين ملفاتك هناك ورقة دائمًا ما تهمل قراءتها، وبالكاد تراها، كذلك يتوارى الشيطان بين البشر، ما بين كل تلك الأحداث هناك شيء منقوص أو ضلع مفقود.. اعثر عليه".

****

داخل مكتب اللواء "عثمان" يجلس يقلب في ملفات كثيرة أمامه ويبدو عليه الإرهاق، وأمامه يجلس الضابطان "أحمد" و"فؤاد"، وأمامهما الكتب السوداء وبعض الصور الخاصة بكل من قتل في تلك القضية المريبة، وبعد عدة دقائق نظر اللواء "عثمان" إليهما وقال:

أنا ما قدَّاميش أي حل غير إني أبعدكم بشكل كامل عن القضية دي حفاظًا على أرواحكم وأرواح أهلكم، بعد اللي حصل للظباط التانيين مفيش أمان، وبكل تأكيد إحنا بنتعامل مع عقلية إجرامية خطيرة، ما اخبِّيش عليكم.. إحنا وضعنا سيئ جدًّا قدام القيادات

وقدام الرأي العام، عاوزكم تستلموا أماكنكم الجديدة في أقرب وقت، وهتفضلوا هناك لحد ما ننتهي من القضية دي ونمسك القاتل، وبعدها هنشوف إزاي نقدر نرجعكم تاني لجهاز المباحث.

يشير "فؤاد" يريد الحديث ليقاطعه اللواء عثمان ويقول:

القرار نهائي ومافيهوش نقاش، القرار المرة دي من وزير الداخلية نفسه، الوضع الأمني في موقف حرج قدام كل القيادات والرأي العام، اتفضلوا دلوقتي وربنا يستر في الأيام الجاية.

وقف الضابطان وأديا التحية العسكرية، وفي داخل كل منهما كلامًا كثيرًا يريد قوله، ثم خرجا تاركين كل ملفات القضية بالكامل أمامه، وكل آمالهم في الثأر من القاتل من خلفهم.

خرج "أحمد" وقبل أن يدلف إلى سيارته احتضن "فؤاد" وقال:

أنا اتشرفت بالشغل معاك رغم إننا فشلنا.. بس أنت تستاهل كل خير.

نظر له "فؤاد" بابتسامة وقال:

أنا آسف إني ما قدرتش أساعدك تاخد حقك، وأتمنى لما أقابلك المرة الجاية تكون الحقيقة بانت.

ركب "أحمد" سيارته ثم وضع نظارته الشمسية، وأدار المحرك وانطلق مسرعًا، تاركًا "فؤاد" ينظر له وهو دامع العينين، ثم أخرج هاتفه وأجرى مكالمة، وعندما أجاب تبدَّلت ملامحه للجدية وقال:

تمام.. أنا هاكون عندك بعد ساعة يا باشا، اطمن.

****

بعد منتصف الليل، وفي أحد الأحياء الراقية التي يسودها الهدوء، ووسط البرودة القارسة، تسقط جثة من السماء لتقع فوق سيارة حديثة الطراز لتهشمها، وبعدها تصدر كل السيارات المجاورة أصواتًا عالية لجهاز الإنذار ليستيقظ كل من في الشارع، وبعد عدة

دقائق اجتمع الجيران حول تلك السيارة المهشمة وتلك الجثة مهشمة العظام وهي تقطر دمًا من كل مكان، وفور أن رآها أحدهم قال: "اطلبوا الشرطة بسرعة.. ده ريكو اللي في الدور الخامس". ليفزع الجميع من هول ما حدث له قبل سقوطه، فقد كانت عيناه مفقوءتان، ولا وجود لبعض أجزاء من لحم وجهه، كأن حيوانًا قد نهشه حيًّا، غير أن فمه مغلق بخيط سميك.

****

الفجر قارب على البزوغ، وهناك سيارة تقف أمام عقار في إحدى المناطق عالية المستوى، يهبط منها "أحمد" وهو يحمل معه زجاجة من الخمر، وبيده الأخرى هدية تبدو باهظة الثمن، ينظر إلى أعلى، ثم يخرج هاتفه ويتصل برقم، وعندما يجيب يقول:

أنا وصلت، أنتِ حد شافك وأنتِ طالعة؟

يتلقى الرد ثم يحاول الابتسام ولكنه يفشل، ويقول:

أنا كلمتك النهارده لأني حاسس إنك الوحيدة اللي تقدري تخرجيني من المود ده، أطلع ولا بلاش؟ أنا مش ناقص نكد، كفاية اللي أنا فيه.

يتلقى الرد فيغلق سيارته ويتحرك إلى مدخل العقار وهو ينظر حوله في حذر.

بعد أن صعد "أحمد" تحركت سيارة لتقف على الطرف الآخر من الطريق وينظر من بداخلها إلى "أحمد" وهو يصعد السلالم ويقف أمام المصعد وهو ينظر حوله.

****

في الصباح تناولت الصحف ووسائل الإعلام خبر وصورة مقتل "كريم رفعت" الشهير بريكو، ونقلت مشهد قتله للرأي العام كأنه امتداد لقضايا القتل العشوائية التى تحدث من قاتل مريض يتجول في مصر، ولكن استطاعت وزارة الداخلية أن تخرج بتصريح تثبت فيه أن "ريكو" شاب فاسد كان يعمل بمجال الأفلام الإباحية، وأن مقتله جاء على يد أحد ممن تضرروا من تصويره لأحد صديقاته في موضع

مخل وتحميلها على المواقع الإباحية، وهو ما دفعه لأن ينتقم منه ويقتله بتلك الطريقة الوحشية، وعرضت الكثير من الأدلة والمستندات، وتم إغلاق القضية وتلفيقها إلى أحد رواده في الفترة الأخيرة، وبعد الضغط عليه أجبر على الاعتراف بأنه القاتل، وهدأ الرأي العام قليلًا بعد ذلك الرد من وزارة الداخلية.

تابع كل تلك الأخبار "فؤاد"، وعلم بأن مقتل "ريكو" له صلة قوية بما حدث؛ لأنه كان شريكًا في تلك القضية، وأنه تعرَّض لموقف شيطاني من قبل، فأخرج هاتفه واتصل بـ"أحمد" ليخبره، وعندما أجاب قال:

أحمد.. ريكو الواد اللي كنا بنحقق معاه لاقوه ميت مقتول، وأنا قدرت أتواصل مع الطب الشرعي، وعرفت إن جثته كانت مشوهة وكان في رسومات على جسمه زي الدكتور سامي، والمباحث لقت في بيته كتاب أسود جديد، وفي إيده ورقة فيها نفس الكلام.

أجابه "أحمد" وقال:

خلاص يا فؤاد.. أنا تعبت.. بص.. أنا ماليش دعوة خالص بالقضية بعد كل اللي حصل لي، سيبني في حالي يا فؤاد.

تغيرت معالم وجه "فؤاد" وقال:

أنا آسف يا أحمد، أنا بس افتكرت إنك لسه عاوز تجيب حق مراتك.. بس شكلك نسيت.

تغيرت نبرة "أحمد" إلى الغضب وقال:

أنا عارف هاجيب حق مراتي إزاي يا فؤاد، وما نسيتش حقها، سيبوني في حالي بقى.

ثم أغلق الهاتف في وجه "فؤاد" الذي وضع يده على رأسه وركل حجرًا كان موضوعًا على الأرض بقوة.

****

يقف "متولي الشريف" أمام قبر ابنته "فريدة" وهو يبكي ويحمل بيده باقة من الورد، ثم اقترب من القبر ووضع الورد وقال: "إزيك يا فريدة يا حبيبتي، أنا

عارف إنك بتحبي النوع ده من الورد فجبته لك زي زمان".. ثم رجع إلى الخلف وجلس يبكي بشدة، وأشار إلى شيخ ليحضر ويقرأ القرآن، بينما هو جالس ممسك بصورة لها ويقلب نظره بينها وبين القبر في أسى.

****

داخل مكتبه يجلس "وجيه غالي" أمام تلفاز يعرض قناته، وعليها برنامج يذاع يهاجم فيه الداخلية، وهو ممسك بكأس يشرب منه في حزن وهو ينظر إلى صورة "نرمين" التي كانت بمثابة ابنة له، فهو من قام بتربيتها بعد وفاة أبيها شريك حياته، ثم وقف ونظر إلى المرآة ليظهر عجزه الظاهري والداخلي، يرتفع صدره وينخفض بسرعة جراء دقات قلبه المتزايدة، فيصدر سعالًا شديدًا، وبعد أن هدأ السعال بدأت عينه تدمع وهو يرى خلفه في المرآة "نرمين" تنظر له بابتسامة، يلتفت في حزن وينظر لها فلا يجدها، يلتفت مرة أخرى فيجدها تقف في نفس الصورة، يبكي بشدة ويقذف الكأس على الزجاج فيحطمه.

****

يقف "أحمد" داخل كمين شرطة على أحد الطرق الصحراوية بزيه العسكري بناء على مكانه الجديد الذي نقل إليه، وهناك العديد من أمناء الشرطة والعساكر منتشرين بشكل جيد، تعبر سيارة تلو الأخرى وهو شارد الذهن، حتى أتاه أمين شرطة وقال:

أحمد باشا.. نلم الكمين ولا لسه؟ أحمد باشا؟

أفاق أحمد على سؤال الأمين ثم نظر إليه وقال:

هي الساعة بقت كام؟

نظر الأمين في ساعته ثم قال:

دي بقت 4 الفجر يا باشا.

مسح أحمد على وجهه ثم قال:

ياه! يلا لموا الكمين واسبقوا على القسم وأنا هاحصلكم.

ثم اتجه إلى سيارته وأدار محركها وانطلق مسرعًا.

(18)

"مع مرور الوقت ستعلم جيدًا حلفاءك من أعدائك، وسيترك هذا الكثير من التشوهات داخلك وعلى ملامحك، قاربنا على النهاية".

****

في فيلا "أكمل"، وداخل حجرته ذات التجهيزات باهظة الثمن بشكلها المتكلف مثله، ينام فوق فراش ويبدو أنه يتعرض لكابوس مرهق، جعل العرق يتصبب منه نهرًا جاريًا ومع كثرة الضغط على أعصابه احمرَّ وجهه وأفاق مفزوعًا ليجد أمامه زوجته "مرفت" تنظر له في سعادة، يعتدل من نومه ويفتح النور الذي بجانبة ليجدها تقترب منه، يفزع وينادي على حرسه "يا جارد.. يا إبراهيم!" ولكن دون جدوى، تتغير ملامح وجهها إلى السواد، وتقطر دمًا من رقبتها، ثم تلقي عليه شيئًا داميًا أشبه بكلية، يصرخ بشدة ليفتح "إبراهيم" حارسه الشخصي الباب عليه حاملًا سلاحه، وينظر له في خوف وهو يتساءل:

أكمل باشا.. في إيه؟

ينظر "أكمل" إلى نفسه فلا يجد أثرًا لأي دماء ولا لزوجته، يمسح عرقه وينظر إلى "إبراهيم" ويقول:

مافيش خلاص، اطلع بره.

يخرج "إبراهيم" وهو يغلق الباب خلفه ليوقفه "أكمل":

سيب الباب، سيبه وامشي، عشان لو ندهت لك تسمعني.

ينظر له الحارس في تعجب ويخرج صامتًا.

****

داخل منزل "فؤاد" تتحرك "عبير" زوجته وهي تحمل بيدها سترة البدلة، وهي تقترب منه وتساعده في لبسها، ثم تقبله من خده وتقول له:

قول لي بقى.. مبسوط في المكان الجديد اللي اتنقلت ليه؟

يبتسم في مجاملة ويقول:

يعني.. أصل مكافحة المخدرات ما تفرقش كتير عن المباحث الجنائية، تحسي إن الاتنين فيهم من بعض كتير، هنا بنتعامل مع قاتل وهنا برضو مع قاتل، بس من نوع تاني.

تتغير ملامح "عبير" إلى الخوف وتقول:

إيه وجع القلب ده؟ يعني تمشي من وسط قلق تروح لقلق تاني؟

يقترب منها فؤاد في حنان ثم يحتضنها ويقول:

ما تقلقيش عليا.. وبعدين هو في حاجة كده باظبطها لو مشيت صح هتنقلني نقلة تانية وهترد لي روحي، ادعي لي بس أنتِ.

تبتسم "عبير" وتقول:

والله بادعي لك، ربنا يحميك يا حبيبى ويديك اللي في بالك.

خرج "فؤاد" في اتجاه الباب وفتحه وخرجت خلفة "عبير" وهى تبتسم، نظر لها ثم "غمز" لها مداعبًا وأغلق خلفه وتغيرت ملامح وجهه إلى الجدية وأخرج هاتفه وأجرى مكالمة.

****

في وقت متأخر من الليل، وبعد أن أغلقت عيادتها الطبية، تتحرك "رشا السيوفي" توأم "شاهندة" في اتجاه بيتها وهي تلتفت حولها في خوف كأنها تشعر بمن يتبعها، هرولت في خوف واتجهت إلى البيت بعد أن اقتربت منه بشدة، طلبت المصعد وانتظرت وهي تنظر بخوف إلى خارج العقار، توقف المصعد، فتحت بابه مسرعة لتجد كتابًا أسود ملقى على الأرض بداخله، ارتبكت وشعرت بخوف وبرودة، أمسكت به في خوف، توترت الإضاءة، وقبل أن تخرج من المصعد عادت الإضاءة ومعها تحرك المصعد إلى من طلبه في الأعلى، ظهر معالم الفزع على وجهها وهي تنظر إلى الأرقام تتعالى، وارتعش جسدها عندما مر دورها الذي تسكن به، توقف المصعد عند الطابق

الأخير، وقبل أن تضغط على زر النزول انقطعت الإضاءة، صرخت وخرجت مسرعة، الرواق مظلم تمامًا، ولكنها تعلم طريق النزول عبر السلالم، اتجهت مستندة على الحائط، وعند أول سلمة ارتطمت بجسد عملاق ووقعت أرضًا، ظلت صامتة وهي ترتعش وتبكي في ارتباك شديد، حاولت الوقوف ولكنها أحست بقرب من يقف أمامها، عادت الإضاءة ومعها لمحت سكينًا قادمًا بسرعة ليمر ببطء مميت على رقبتها، لم تشعر بشيء، ولكنها نظرت إلى الفاعل ففتحت فاها وحاولت أخذ نفس دون فائدة، وارتمت أرضًا تسلم روحها في ألم.

****

يجلس "أحمد" على فراشه ينظر إلى المكان الذي كانت تنام فيه "فريدة" وتخيل وجودها وظل يبكي، وقف واتجه إلى زجاجة بها راحته المؤقتة، بها القليل من السائل الشيطاني، أفرغ ما تبقى داخل كأس ووضع به قطعة ثلج لتبرد صدره المحترق، رفع الكأس أمام فمه وسكب ما به داخل فمه وتجرعه بحزن، أمسك

الزجاجة مرة أخرى وحاول أن يسكب المزيد لكنها كانت فارغة تمامًا، وضعها جانبًا ثم ارتمى على فراشه، سمع صوت اهتزاز هاتفه ونظر إلى المتصل فوجده عمه "متولي الشريف"، ترك الهاتف ونظر نحو مرقد زوجته في الماضي وذهب في نوم وهو ينطق باسمها ويقول: "سامحيني يا فريدة".

****

في غرفة مظلمة دخل شخص ضخم الجسد مندفعًا، أغلق خلفه باب الغرفة ثم ألقى سكينه المليء بالدماء أرضًا وهو يتنفس بصوت عالٍ كأنه كان يهرول، خلع ملابسه فظهر جسد لرجل ضخم به الكثير من العلامات، ملأ حوض الاستحمام بماء ساخن وظل ينظر إلى البخار المتصاعد وهو يغطي أرجاء الحجرة، ثم عاد بنظره إلى الحوض وجلس داخله وهو ينظر إلى صورة وحيدة معلقة على لوحة خشبية تخص الشيخ "بلال"، وبالقرب منها على منضدة متهالكة يوجد كتاب أسود وحيد، فتح باب الحجرة بقوة لينظر الرجل إلى الخارج ليجد ظلام وهناك شيء ما يقف

داخله، ينظر إليه ولا تتضح ملامحه، خرج من الحوض وجسده يرتعش، ولف حول نفسه بمنشفة وخرج باتجاه الظلام بخطوات مضطربة.

****

دخل ضابط مسرعًا إلى مكتب اللواء "عثمان" وبيده ملف، أدى التحية العسكرية ثم وضع أمامه الملف ورحل، أمسك اللواء "عثمان" الملف وكان يحمل صورة لـ"رشا السيوفي"، وفتحه وظل يقرأ محتواه، ثم انتهى وأغلقه وخبط بيده على المكتب، ثم استدعى أحدًا ما بالخارج وقال:

ياسر، يا ياسر!

ليدخل ضابط برتبة نقيب يؤدي التحية العسكرية، فيقول له اللواء "عثمان":

ابعت حد بسرعة للمشرحة وخليه يجيب تقرير الطبيب الشرعي وييجي بسرعة، وحضَّر نفسك عشان هاحتاجك تتكلم مع الإعلام تاني النهارده، شكلنا مش

هنخلص من القاتل ابن الكلب ده، في حاجة مش طبيعية بتحصل.

أشار النقيب "ياسر" بالموافقة وقال:

تعليمات سعادتك يا فندم.

ثم خرج وأغلق خلفه، ليسحب اللواء "عثمان" سماعة هاتفه الداخلي بغل ويطلب رقمًا وينتظر الرد.

****

في مكتب فخم الأثاث والديكورات، وهناك عدد لا بأس به من التماثيل الفرعونية الموضوعة بجانب بعضها على شكل صف ما عدا واحد ممسك به رجل "في منتصف الخمسينات، أنيق المظهر، صاحب شعر أبيض مختلط بالسواد، وجسد رياضي متناسق"، ويمسك بهاتف يتحدث عبره.

يمسك التمثال وينظر له في إعجاب شديد ويقول:

لما "مروان العويني" يقول كلمة يبقى قدها، مش زي ناس تانية الله يرحمهم بقى، البضاعة معايا كاملة، وأنت ما تعرفش أنا خسرت رجالة وفلوس قد إيه عشان أعرف أجيبها، بس مش خسارة فيك وفي الفلوس اللي بيهم هاجيب رجالة أكتر من اللي راحوا وفلوس تفتح لي المقفول.

يستمع بحرص إلى من يتحدث ثم يقول:

لا.. أقل من 3 مش هاوافق، دول مطلوبين في كل مكان بالاسم.

يستمع لتتغير ملامحه إلى الابتسامة ويرد:

لا جنيه إيه يا راجل! ده بقى في النازل، أنا عاوز الحمام الأخضر اللي بيطير في أي حتة من غير ما حد يقول له لا.

يبتسم ويصدر ضحكة ثم يغلق الهاتف وهو ممسك بالتمثال الفرعوني الصغير ثم يقبله ويضعه بجانب الآخرين بسعادة بالغة.

(19)

"القانون يحمي من صنعه من أجل حمايته، ومن هم دون ذلك يخضعون له في إرادة مسلوبة واهنة قابعين داخل وهم العدالة، كلماتي القادمة ستكون أقرب إلى الحقيقة".

****

داخل الحجرة المظلمة يرتدي الرجل عظيم الجسد ملابس سوداء مصنوعة من الجلد أشبه بملابس السباحين ويلف حول يده شاشًا أبيض يسكب عليه بعضًا من سائل داخل زجاجة طبية حتى يفرغها على كلتا يديه ثم يلقيها أرضًا، يقترب من حقيبة صغيرة يفتحها ويضع بها "سكينًا وبعض الصور الخاصة بالشيخ بلال وقفازًا أسود، ووجهًا مصنوعًا من الجلد"، ثم يغلقها ويرتدي ملابس أنيقة، ويحمل الحقيبة ويغادر الحجرة، وقبل أن يغلقها ظل ينظر لثوانٍ باتجاه الكتاب الأسود المتبقي ثم أغلق الباب.

****

في أحد المطاعم يجلس "فؤاد" وهو ينظر في ساعته بتوتر ثم يخرج هاتفه ويضعه أمامه على المنضدة، يمسك بكوب ماء ويشربه على دفعة واحدة، مرت دقائق وجلس أمامه الطبيب النفسي "جلال".

سلم عليه وقال

فؤاد بيه إزيك، أنا آسف إني اتأخرت عليك، بس كان لازم أتأكد إن مافيش حد ورايا.

نظر "فؤاد" إلى الطبيب "جلال" في تعجب وقال:

ليه؟ هو في حد تاني حاول يقتحم بيتك؟

نظر "جلال" حوله في ريبة وقال:

أنا ما اعرفش مين اللي كان عاوز يدخل بيتي لحد دلوقتي عشان أطمن وأمشي زي العبيط من غير ما أراقب وأشك في كل اللي حوليا.

ابتسم "فؤاد" وقال:

ده أنت شكاك أوي بقا يا دكتور.

ابتسم "جلال" وقال:

أكثر مما تتصور، المهم ده مش موضوعنا اللي أنا طلبتك عشانه.

اقترب "جلال" وأشار لـ"فؤاد" بأن يقترب، وقال بصوت ضعيف:

أنا عرفت مين القاتل يا فؤاد باشا.

تغيرت ملامح "فؤاد" وقال:

إيه؟ ساكت ليه؟ قول؟

اقترب "جلال" أكثر وقال:

أنا هاقولك على كل حاجة اتوصلت لها بالمنطق وشوف أنت تتصرف إزاي بطريقتك.

ثم أخذ يلتفت حول نفسه في خوف وبدأ كلامه.

****

في منزل "متولي الشريف" الذي ظهرت عليه علامات الضعف والوهن الجسدي بعد مقتل ابنته "فريدة"، يجلس "أحمد" مقابل عمه ينظران إلى بعضهما في صمت، لم يستطع "أحمد" تحمل نظرة عمه التي تحته على الثأر، وأبعد عينه لتقع على صورة لزوجته، دمعت عيناه فنظر إلى عمه وقال:

أنا مش ساكت يا عمي، ومش هاستريح إلا لما أجيب حقها، صدقني أنا أكتر واحد حب فريدة في حياته.

سقطت الدموع سهوًا من عيني عمه بعد همهمات وقال:

أنا لما دخلتك الشرطة زمان غصب عنك، ولما نقلتك ولفِّفتك مصر غصب عنك، كان عشان تبقى راجل وتقف جنبي وتحميني أنا وفريدة من كلاب السكك، أنا مش بالومك على موت فريدة لأن مراتي أنا كمان ماتت بسبب شغلي، اللي لو رجع بيا الزمان برضو مش هاسيبه قصاد موتها، أنا عارف إنها ماتت وهي بتحبك،

أنا بس مستغرب إنك لحد دلوقت من يوم موتها مش عارف تجيب حقها.

بكى "أحمد" بشدة وقال:

مسيرك تعرف يا عمي أنا عملت إيه عشان أقدر أوصل للقاتل، وباوعدك إني هاموِّت اللي قتلها، وبكره تعرف ده.

ثم وقف واتجه إلى الباب، فاستوقفه عمه وتوجه إليه واحتضنه وقال:

أنا مصدقك يا أحمد.. أنا مصدقك يا ابني.. بس أنت مش حاسس باللي فيا.. أنا أب يا أحمد، أب محروق على بنته.. وبكره تتجوز وتخلف وتحس بمعنى الضنى.

تركه أحمد وغادر مسرعًا وهو يبكي وأغلق خلفه الباب تاركًا عمه يجلس بصعوبة على كرسي قريب من الباب، بعد أن شعر بالمكان يلف به، فأسرعت نحوه الخادمة تحاول مساعدته.

****

في مكتب "أكمل" الفخم يجري مكالمة هاتفية ويشير إلى حراسه بأن يخرجوا ويغلقوا الباب خلفهم، فيفعلون ما يأمرهم به، يضع الهاتف على مكبر الصوت ويقول:

وبعدين في القضية المطولة دي يا مرعب؟ أنت ناوي تقتل قد إيه تاني؟ ناوي على كام راس؟

بصوت جهور به بعض المؤثرات الصوتية يرد:

أنا باعمل ده كله عشانكم، وعشان تفضلوا دايمًا بعيد عن الصورة، وأنا عاوزك تطَّمن، وتطمن ناسك إني خلاص فات الكتير وما بقاش إلا القليل.

يشعل "أكمل" سيجارًا ثم يقول:

أنا واثق فيك.. بس حابب أفكرك إني ما بحبش الغلطات يا مرعب، وعلى فكرة.. عجبني أوي دماغك.

جاء صوت ضحكة ورد قائلًا:

أنا ما باغلطش يا أكمل باشا، وخليك دايمًا عارف إن الشياطين ولائها لنفسها أو للي يفيدها أكتر.

نفث "أكمل" دخان سيجاره وقال:

وأنا جاهز باللي هتقول عليه بعد اللي عملته، حتى لو طلبت أكتر من اللي اتفقنا عليه قبل كده أنا هاديه لك.

جاء الرد:

وأنا عند وعدي، كلها كام يوم وتتقفل القضية دي للأبد، وبعد كده نتحاسب.

وضع "أكمل" ساقه فوق الأخرى وقال:

اتفقنا، سلام يا أبو دماغ شيطانية.

أغلق الهاتف في وجه "أكمل"، فدس السيجار داخل مثواه وركل أمامه تحفة نادرة باهظة الثمن فوقعت على الأرض وتهشمت، وقال "شيطان بجد ابن الكلب".

****

يجلس الشيخ "بلال" داخل بيته وهو يقرأ بعض الكتب المليئة بالتعاويذ والطلاسم وهو في قمة تركيزه، يسمع صوت شباك يرتطم بالجدار في غرفة مجاورة له ومعه أتت بعض البرودة من الطقس بالخارج، وقف وأسرع إلى الشباك فوجد الرياح شديدة بالخارج وهناك أمطار غزيرة وبرق يشق الظلام فأغلقه، نظر إلى الأرض فوجد آثارًا لقدم كبيرة، ارتعش ودمعت عيناه، سمع صوتًا في الخارج، سحب عكازًا خشبيًّا وجده بالقرب منه وخرج في خوف ليمسك به أحد من خلفه، ظل يقاوم ويحاول الفكاك لكنه فقد الوعي سريعًا، أفاق على رائحة للغاز يمتلئ بها المكان، حاول الوقوف لكنه عجز عن الحركة، حاول الصراخ فلم يستطع بسبب اللاصق على فمه، بكى بشدة وهو ينظر حوله، لمح من بعيد قطعة قماش بدأت في الاشتعال، أراد أن يتحرك ولم يستجب له جسده بالكامل، ولكن مفعول البنج الذي يسري بجسده بدأ في الانتهاء، وقف على يديه وبدأ يزحف باتجاه الباب، وقبل أن يصل إليه اشتعلت النيران بالبيت كله، نظر إليها وهي تقترب منه حتى التهمته وهو يبكي.

****

وصل "فؤاد" إلى بيت اللواء السابق "متولي الشريف"، صعد إلى أعلى وطرق الباب عدة مرات، بعد لحظات فتحت له الخادمة فسألها:

اللواء متولي الشريف موجود؟

ردت عليه:

آه.. هو في البلكونة.. نقول له مين؟

ابتسم "فؤاد" وقال:

قولي له الرائد فؤاد.

فتحت له الباب فدخل "فؤاد" وهو يتفحص المكان بعينيه، أغلقت الخادمة الباب ثم قادته إلى غرفة الاستراحة وأشارت له بأن يجلس، قالت:

اتفضل استريح.. أنا هابلغ سيادة اللواء إنك هنا، حضرتك تحب تشرب إيه؟

ابتسم "فؤاد" مجاملًا ثم قال:

فنجان قهوة بعد إذنك ويا ريت لو كوباية ماية.

تركته الخادمة وصعدت إلى الدور العلوي من البيت وهو ما زال يتفقد بعينيه شيئا يبحث عنه.

عدة دقائق انتظرها "فؤاد" بالداخل، لمح من بعيد اللواء "متولي" يقترب من مكان جلوسه فوقف واتجه ناحيته معزيًا.

جلس اللواء "متولي" وأمامه "فؤاد"، وقال وهو ينظر إلى صورة لفريدة معلقة:

أنا بصراحة جاي لحضرتك في موضوع مهم.

نظر له "متولي" وقال:

اتفضل يا ابني.

اقترب "فؤاد" من اللواء "متولي" وقال:

أنا بس طالب حضرتك تسمعني للآخر.

(20)

"تلك هي المرة الأخيرة التي سأخبرك بها ما حدث، وبعد ذلك توصَّل أنت إلى ما حدث وإلى ما سيحدث بعد ذلك، استمع إليَّ بجدية تلك المرة".

****

داخل الغرفة المظلمة دخل الرجل ضخم الجسد منهكًا وخلع ثيابه وبدأ ينظر إلى تدفق الماء الساخن يملأ الحوض أمامه، فتح حقيبته وأفرغ كل محتوياتها واتجه إلى هاتفه، فوجد به رسالة صوتية، فتحها وفتح معها مكبر الصوت وقفز داخل المياه الساخنة يستمع إلى ذلك الصوت الغليظ الذي به الكثير من المؤثرات الصوتية، فجاء الصوت يقول:

أنت كده خلَّصت دورك في قصة الشيطان، ادفن كل الحاجة اللي معاك في مكان كتبته لك في ورقة على اللوحة الخشب، وافتح الدولاب هتلاقي شنطة فيها لبس جديد وشيك بالمبلغ اللي اتفقنا عليه، وكمان مفاتيح عربية هدية مني ليك هتلاقيها موجودة في

المكان اللي في الورقة، انزل قبل الفجر واتأكد إن مافيش حد وراك، دي آخر مرة هنتكلم فيها، وما تنساش إني خدمتك زي ما خدمتني، وإياك تقل عقلك وتفكر تعمل حاجة غلط مع شيطان اتربّى وسط النار، وما تنساش تحرق الموبايل والشريحة دي بعد ما الرسالة تخلص، وهتلاقي واحد غيره جديد في العربية مشحون كمان.

انتهت الرسالة وأصدر بعدها الرجل الجالس في المسبح ضحكة عالية كأنه مارد تحرر من سجنه الأبدي للتوِّ.

****

في أحد مطاعم الحدائق العامة يجلس "فؤاد" وأمامه "أحمد"، وهما يتناولان الطعام، ويتحدثان عن مهام وظيفتيهما الجديدة، قال فؤاد:

وأنت بقى يا أحمد.. أخبار كماين الطريق الصحراوي على حسك إيه؟

ابتسم "أحمد" وهو يبتلع الطعام وقال:

تمام.. روتين ممل يا فؤاد، المهم أنت قول لي أخبار المخدرات والأحراز إيه؟ أنا أعرف في جهازك ناس كتير لو حابب أوصي عليك.

ابتسم "فؤاد" وقال::

يا باشا مش عاوزين نتعبك، والله مبسوط إننا اتجمعنا تاني حتى لو على طرابيزة أكل.

شرب "أحمد" كوبًا من الماء وقال:

وأنا والله يا فؤاد، أنت من الناس المجتهدة اللي خدمت معاهم طول خدمتي.

أنهى "فؤاد" طعامه وقال:

بنتعلم منك يا باشا، قول لي بقى أنت بتقضي إجازاتك فين الفترة دي؟ أنا أعرف إن شغل الأقسام على خفيف يعني، ما دي كانت بدايتي.

نظر "أحمد" إلى "فؤاد" وقال:

والله يا فؤاد معظم الوقت في البيت.

احتد وجه فؤاد وقال:

أنا من رأيي تبيع البيت ده، وتشوف لك عروسة جديدة كده تدلعك.. أنت لسه في عز شبابك يا أخي.

دمعت عينا أحمد وقال:

عروسة؟ أنا لسه مش قادر أنسى فريدة يا فؤاد، أنا باشوفها في كل مكان، وعمري ما هاقدر أحب غيرها أو أبطل تفكير فيها، أنا حاسس يا فؤاد إن روحها لسة ملازماني، تفتكر إنها لسه معايا يا فؤاد؟

حاول فؤاد تخفيف العبء عن أحمد فقال مداعبًا:

الله! أنت بقيت تفكر في الخرافات زيي؟ ده أنا كنت فاكرك راجل مثقف مش رجعي زينا.

ابتسم "أحمد" وقال:

المهم قول لي.. أنت شايف لي عروسة؟ بس تكون حلوة.

أصدر فؤاد وأحمد ضحكة سمعها كل من في المكان.

****

في مكان ما بالصحراء، وفي وسط الظلام القاسي والبرد المسيطر على الأجوا، هناك رجل يحفر ويدفن عدة أشياء ثم يردم فوقها ويتجه إلى سيارة ويفتح بابها، ودلف إلى الداخل ليدير محركها ويقودها بعيدًا، تتحرك يده إلى الراديو فيضبط محطة إذاعية خاصة بالأغاني الشعبية، وظل يردد خلف المغني بسعادة عارمة، لمح هاتفًا ملقى أسفل زر التكيف، سحبه وأداره ليرى شاشته فوجدها مغلقة، فتح الهاتف وانتظر قليلًا وهو يقود مسرعًا وقد قاربت الشمس على السطوع، جاءته رسالة، تعجب وفتحها، فوجد بها: "سيلقى كل من اقترب من الكتاب الأسود حتفه بلا استثناء، من أمسكه ومن قرأه ومن نظر إليه".

أوقف السيارة وقبل أن يخرج منها دوى صوت انفجار فاحترق وهو يصرخ بداخلها ويحاول الخروج دون فائدة، وهناك كتاب أسود يحترق بجانبه.

****

تناولت وسائل الإعلام وكل الصحف خبر انفجار سيارة على الطريق الصحراوي ومصرع شاب بداخلها ظل يشوى حيًّا حتى فارق الحياة، وتوجه فريق البحث الجنائي، وأكد الخبراء أن الانفجار حدث بسبب تسرب في الوقود أدى إلى اشتعال مخزون الوقود بكامله، ما أدى إلى انفجار قوي راح ضحيته شاب ثلاثيني يدعى "بكر أحمد النجار"، وجدير بالذكر أنه زوج لإحدى السيدات الستة اللاتي توفين في حوادث مشابهة ظلت مفتوحة لفترات طويلة حتى قيدت ضد مجهول حتى تلك اللحظة، وعلى أمل ظهور الجديد بها.

أغلق اللواء "عثمان" بعدها التلفاز وهو يتحدث عبر هاتفه وعلى وجهه علامات الرضى وقال:

معاليك خلاص.. الرأي العام هدي والزوبعة عدت على خير وكله بتوجيهات سعادتك، ولسه بعد التطورات والخيوط اللي وصلنا لها هتأكد إننا مش بنلعب لما يشوفوا القاتل على حبل المشنقة.

يستمع بحرص ثم يقول:

تعليمات سعادتك.. مع ألف سلامة.

ثم يغلق الهاتف وهو يبتسم وينظر إلى ملف أمامه ويرتشف من فنجان قهوته في تركيز.

****

في مكتب "أكمل" يجلس "وجيه غالي" ممسكًا بكأس وبجانبه "مروان العويني" يصب لنفسه كأسًا، بينما يقترب منهم "أكمل" وبيده كأس هو الآخر ويرتطم بهما ويصدر ضحكة ويقول:

الواد ده طلع شيطان بجد، أهو بيتصل أهو.

يصدر هاتفه رنة فيضعه على مكبر الصوت ويقول في سعادة:

أنت أستاذ على فكرة.. أنا قاعد مع البشاوات متجمعين وبنحتفل دلوقتي، وهما سامعينك، اتفضل قول اللي أنت عاوزه.

يظهر الصوت الذي به مؤثرات تضخمه...

أعتقد إني كده وفيت بوعدي وخلصتكم من كل العقبات وأستاهل حقي في النهاية.

تظهر معالم الخوف على وجوههم من الصوت، ولكنهم يتفهمون الوضع سريعًا، ويرد "أكمل":

طبعًا، طبعًا، وإحنا عند وعدنا ليك، المبلغ هيكون في الحسابات اللي قلت عليها بكرة الصبح.

ليرد قائلًا:

مافيش بكرة الصبح يا بشاوات.. أنا زي ما خلصت لكم الموضوع في الميعاد اللي اتفقنا عليه.. أنا كمان

أستحق فلوسي في ميعادها.

ينتفض الثلاثة من ردة فعله، ويقول "وجيه":

أنا هاحول لك المبلغ الصبح لأني مش فاضي النهارده.

يأتي الرد مباغتًا:

ده إن طلع عليك صبح.

ينتفض مروان ويقول بعصبية:

أنت إزاي تكلمنا كده؟ أنت نسيت نفسك!

يأتيه الرد:

ما بلاش أنت بالذات يا مروان بيه، أنت في مقبرة واحدة مات نص رجالتك، فما بالك بشيطان بقى! أنا لو عاوز أخلص عليكم دلوقتي هاعمل كده.. وده دليلي.

اخترقت رصاصة زجاج المكتب ومنه إلى الكأس الذي يحمله "وجيه غالي" ليتهشم الكأس ويجلس الجميع أرضًا في خوف، ليكمل الصوت كلماته قائلًا:

مالكم؟ خايفين ليه؟ فين الحرس؟ وفين الفلوس؟ كل واحد يطلع موبايله ويتصل بالمحاسب بتاعه ويحول الفلوس حالًا، معاكم خمس دقائق.

يخرج الثلاثة هواتفهم ويتحدثون بسرعة إلى رجالهم ويأمرونهم بتحويل المبلغ، وفور أن وصله التحويل قال:

أنا كده أخدت حقي، ودي طريقة شغلي على طول، وما تنسوش.. الشيطان مالوش مالكة.

ثم أغلق الخط في وجوههم وظلوا ينظرون الثلاثة إلى بعضهم البعض في خوف.

"الفصل الأخير"...

بين الأمطار الرعدية والطقس البارد تسابق "أحمد" مع الوقت داخل سيارته، وهو يتذكر ملامح عمه الذي تولى تربيته بعد وفاة أبيه، وهو في آن واحد والد زوجته الفقيدة، يظهر على ملامحه الجدية المفرطة واللهفة على اللحاق به قبل مفارقته الحياة، فهو آخر ما تبقى له من أسرته ومن رائحة زوجته.

وصل "أحمد" أمام المستشفى وترك سيارته في عجلة من أمره بعد أن وضعها بعرض الشارع، دفع باب المستشفى وسأل عن الغرفة التي يمكث بها عمه بين الحياة والموت، صعد السلالم عندما تأخر المصعد، ودلف إلى حجرته ليجد الطبيب يشير له بأن يلتزم الصمت وسط صوت أجهزة التنفس وقياس نبضات القلب، أراد أن يقترب فأشار له الطبيب بأن ينتظر لحظات، أنهى الطبيب واجبة وتوجه إلى أحمد قائلًا:

- حضرتك مين؟ أنا دكتور شريف المسؤول عن حالة المريض.

- أنا الرائد أحمد خالد الشريف ابن أخو اللواء متولي الشريف، حضرتك كلمتني من ساعة تقريبًا، ممكن تطمني عليه؟ أهلًا بحضرتك يا أحمد باشا، ما اخبيش عليك عمك بين الحياة والموت، حالته مش مستقرة، إحنا عملنا كل اللي نقدر عليه، بس هو قلبه مش مستحمل ونبضه بيقل في بعض الوقت وبنلحقه بالعافية، وعشان أكون صريح معاك.. عمك ممكن ما يطلعش عليه صبح وهو في الحالة دي، شد حيلك.

ظهرت معالم الصدمة على وجه أحمد، ودمعت عيناه، وهرب البعض من دموعه مخالفًا مبدأ أعلى درجات ضبط النفس، ثم قال:

- أقدر أتكلم معاه يا دكتور؟ تقدر، هو فايق وداري باللي حواليه، بس ما اعتقدش إنه يقدر يرد عليك، يا ريت تخليك جنبه النهارده لأن الساعات الجاية ممكن تكون آخر ساعاته في الدنيا، أنا هاكون قريب منك لو احتجت أي حاجة، أو لو في أي ظرف طرأ، عن إذنك.

ثم تركه ورحل، دخل أحمد إلى الغرفة وأغلق خلفه الباب، سحب كرسيًّا قريبًا وجلس بجانب عمه الذي لاحظ وجوده فابتسم بألم، أمسك أحمد بيد عمه برفق وجذبها لتبيت داخل كفه، مسح دموعه وبدأت ملامحه تتبدل إلى الجدية ثم إلى الابتسامة غير المبررة، ضغط على يد عمه بشدة وقال بصوت خافت:

يـــــاه! أنت لو تعرف قد إيه أنا كان نفسي أشوفك وأنت مش قادر تتنفس وبتموت، إني أشوفك مذلول ومش قادر ترد حتى، لا وشوف.. تموت وأنت متحسر على بنتك كمان.

التف عمة ببطء لتصبح عينيه في عيني "أحمد" كأنه غير مصدق لما يقول، ولكنه لا يستطيع الرد عليه، فأكمل أحمد:

أنت عارف يا عمي.. أنت اللي خلتني المسخ اللي أنا عليه دلوقتي، أنت اللي أجبرتني إني أعمل كل حاجة غلط وما احسش بأي ذنب، خلتني ما اعرفش أحب، أكره وبس، حولت حياتي لضلمة قبر، بس خلتني

أحس بمواهبي وأقدر أنفذ اللي أنا عاوزه، أنا عارف إنك مستغرب كلامي أو مش مصدقه، أو حتى بتقول أنت عملت إيه أذتني فيه.. هاقولك.

ترك أحمد يد عمه واتجه إلى باب الغرفة وأوصدها من الداخل وأغلق الستار لمنع الرؤية، ثم أخرج علبة السجائر والتقط واحدة وأشعلها، ثم اتجة إلى نفس الكرسي وجلس بعد أن أراح يد عمه على فخذه ونفخ من دخان سجائره في وجهه ثم قال:

بص يا عمي، أنا ما انكرش إنك أنت اللي ربتني، عشان كده طلعت لدغتي مسمومة وطبعي الخيانة، ما أنا تربيتك، هاطلع لمين يعني؟! أنا لما أبويا مات.. اللي هو أخوك.. وساب لي فلوس كتير.. أنت أخدتها كلها وبقيت تشحتني منها وتبهدل فيا وتغلط فيا، ولما ربنا ما رزقكش بالولد حبيت إنك تخليني كلب ليك وأحميك لو الأيام جت عليك، فدخلتني الشرطة وخلتني تحت عينك دايمًا واتحكمت فيا ونسيت إن ليا إرادة وطموح، ولما طلبت إني أتجوز بنتك "فريدة" اتجننت.. وفاكر كمان إنك نقلتني وأذتني جامد.. ولما

حسيت إن كلاب السكك هتنهش فيك وفيها وإنك قربت تخرج معاش.. اشتريت ودي وجوزتني بنتك الوحيدة بالغصب، بنتك دي بقى قصة تانية، وبالمناسبة.. هي اللي خلتني أقتل كل دول عشان قتلها يبقى مبرر.. وهقولك إزاي ده حصل.. وهاحكي لك من البداية خالص، زمان فريدة طبعًا كانت بتحب واحد اسمه "ياسر وافي"، وسابتني عشانه، وأنت أجبرتني إني أطلقها وأنت عارف إني كنت باحبها، وعرفت إنها عاوزاه، وكانت دي أكبر صدمة ليا منك، وهي اللي حولتني للمسخ الكامل، فقررت إني أبدأ أرجّع حقي اللي ضاع مني وقت ضعفي، وإني أخرج بره جحري وأدوّر على اللي شبهي وأكوّن سمّي للوقت المناسب للبخ والقرصة النهائية.

بدأ عمه يتأثر بالكلام ويحاول أن يضغط زر الاستدعاء للطبيب، ولكن توجه "أحمد" سريعًا وأبعد عنه جهاز الاستدعاء، ثم ابتسم وقال:

العجز! العجز يا عمي هو كان إحساسي قبل ما ابدأ، ما كنتش عاجز، وابتديت فعلًا بـ"ياسر وافي"، كان عيل

طري وهايف، وفوق ده كله جبان، بسهولة قدرت أخليه يهرب ويسافر بره مصر، وهناك خلصت عليه وقدرت أخليه يحول لي كل فلوسه، وكان معايا كل حساباته الشخصية سواء إلكترونية أو تليفونات أو بنكية، كل حاجة، ومن خلالها ضربت ضربتي، ونقلت على لسانه كلام يكسر قلب بنتك ويقولها إنه كان بيستغلها عشان منصب أبوها، وهو دلوقتي طلع معاش، وإنه مش عاوزها، وده نفس الوقت اللي أنت طلعت فيه معاش، واللي أنا كنت باقرَّب فيه من بنتك المصونة في انكسارها، وبعدها قررت إنها ترجع لي وأنا وافقت عشان أكمل ترتيبي وأكون الوريث الوحيد ليك وليها، بس إزاي؟ دي كان ليها ترتيب تاني خالص.

إزاي أموِّت مراتي وأورثها وماحدش يشك فيا؟ صعبة مش كده؟ لا مش صعبة، بشوية ذكاء ومسخ بيفكر ويجيب الشخص اللي ينفذ، "بكر الفيل"، عيل إيه! إيديه تتلف في حرير، ما هو كان شغال في السلخانة، يعني أجدعها عجل يتدبح ويتسلخ ويتقطع في ربع ساعة، مش بطال، الشيخ "بلال"، دجال وسوابق، بس

مش صعب يتقطع ملفه، وبشوية دعاية وإعلانات مدفوعة على السوشيال ميديا يبقى نجم و الناس كلها بتسعى له وبتحفى وراه، يبقى فاضل مين يا عمي؟

صح.. يبقى فاضل شريك ضعيف الشخصية وصاحب مرجعية دينية وبيعتقد في الجن والعفاريت، وفوق كل ده عاطفي وبيطبق القانون بالمللي، وده "فؤاد" اللي عمل مهمته على أكمل وجه من غير ما يعرف اللي بيدور، وخصوصًا لما خرَّج "بكر" وأشفق عليه أكتر من مرة، وطبعًا كان في أكتر من كومبارس في الكواليس، زي "رشا".. اللي هي في نفس الوقت مراتي عرفي، و"ريكو" الواد ممثل البورنو، واللي كان من السهل إني أمسك عليه كتير وأشغله تبعي، والدكتور "سامي"، للأسف كان شاذ، وقدرت أصوره مع ريكو وأهدده بده، وبصراحة الراجل كان متعاون جدًّا وعمل أكتر من اللي عليه وده فاجئني، "وليد مختار" جرافيكير شاطر، واللي بشوية فلوس باع ذمته وفبرك الفيلم بتاع "ميرفت"، وهو هو المسؤول عن المعمل الجنائي في الفحص، واللي أكد إن الفيلم صح، "رشيد" مخبر

وممثل شاطر، هو وكل اللي جابهم لي، وطبعا طوق النجاة واللي بعدني عن كل الشبهات المذيع "عدنان ثابت"، اللي خلى الرأي العام كله يهاجمني ويثبت فشلي وأبقى بكده ظابط فاشل وبعيد جدًّا عن الشبهة، وكمان أخلي الرأي العام الجاهل يقول إن القضايا ليها علاقة بالجن والشياطين، مجتمع مريض وجاهل، وده كان فريق العمل يا عمي، التنفيذ بقى كان لازم يكون مدروس ومحدد الوقت والمكان بدقة كبيرة زي العملية الجراحية في القلب، نسبة الخطأ صفر%.

بدأ عمه يتصبب عرقًا وتصبح أنفاسه ضعيفة كأنه يفارق الحياة، فسرعان ما أطفأ "أحمد" سيجارته في أرض الغرفة وجلس بجانبه مرة أخرى وقال:

لا ما تموتش دلوقتي.. أنا عاوزك تسمع كل حاجة عشان تعرف إن تلميذك كان أذكى منك، وعشان أحكي لك عملت إيه مع فريدة..

كان لازم أأمن نفسي ماديًّا عشان أسكِّت كلاب كتير، فاضطريت أشتغل في كل حاجة مشبوهة تقريبًا ومع

أكبر الناس اللي بتشتغل فيها، الموضوع كان صعب، بس مع شوية تنازلات قدرت أوصل للمصادر، اشتغلت في الآثار مع "مروان العويني"، واشتغلت في المخدرات مع "وجيه غالي"، وفي تجارة الأعضاء مع "أكمل طاهر بسيوني"، كلهم أسماء لامعة ورجال أعمال شرفاء، الناس دي أمنت لي الفلوس، وكانوا ضهر ليا وأنا ضهر ومخلص ليهم، الخيوط بدأت تتجمع قدامي وبسرعة، كأن القدر عاوزني أكون أقوى من دول كلهم، وفي وقت قصير ظهر قدامي 5 ضحايا مطلوب قتلهم بأي ثمن، وطبعًا فريدة كانت الـ6 وأهمهم بالنسبة لي.

"شاهندة السيوفي علام" مهندسة ديكون شاطرة ومنحرفة، كان في مشاكل كتير بينها وبين "رشا" توأمها عشان خاطر الميراث، وحبت تتخلص منها، وفي نفس الوقت "ريكو" كان واقع مع "شاهندة" في مشاكل بسبب إنها كانت بتبتزه عشان ماسكة علية فيديو مع بنت حد تقيل في الوزارة، فكان هو كمان عاوز يخلص منها، وظهرت قدامي أول ضحية أضيفت للقائمة.

"ميرفت محمود نور الدين"، ست شريفة وهبلة، قدرت توصل لملفات ومستندات تدين "أكمل" هو ومجموعة كبيرة من رجال الأعمال والمسؤولين عن التجارة في الأعضاء البشرية، والناس دي يا عمي كبيرة أوي عشان تقع قدر يعرف بسهولة ومع أنه كان بيحبها، بس كان بيحب نفسه أكتر بكتير، فاستعان بيا، وكان لازم ألبي طلبه لأن الراجل ده بنك بسيولة ضخمة، يعني مصدر مالي لا يستهان به، وما ينفعش يتقال له لا، وظهرت قدامي الضحية الثانية.

"نوال حامد الشافعي" أو المعلمة نوال، ابتدت بدولاب مخدرات معروف في مصر القديمة، ومرات "بكر الفيل"، خدته عيل صغير بتاع 20 سنة بيشتغل في السلخانة، شافت فيه الرجولة والقوة وإنة يقدر يكفي مطالبها الجنسية والعملية، وهي ست عندها بتاع 40 سنة، يعني قد عيالها، الواد بكر ده كبَّر شغلها وكبر معاها، وبقت ملكة المخدرات في مصر القديمة وليها تقلها، وبكر بقى ليه صيت وهيبة، بس كان حاسس إنه مسجون في قفصها، وهي غدارة وممكن تصفيه في

ثواني، فكان طلب قصاد طلب، يقتلها ويورث تجارتها وكل فلوسها، وأخرجه منها قصاد أي شيء ينفذه لي، ولأن بكر من رجالتي في الخفا، وافقت ووافق هو على تنفيذ طلباتي، وظهرت الضحية الثالثة.

"نرمين صلاح بكر" الصحفية المكافحة زيادة عن اللزوم، مقاتلة بقى، عبيطة ما تعرفش، هي كانت فاكرة إنها هتغير الدنيا وتنضف البلد اللي وساختها نقحت على اللي حواليها، ما تعرفش إنها شبكة صرف صحي وكله موصَّل على بعضه، اتورطت مع "مرفت" وكملت القضية وعاندت، فكان لازم نصفيها هي كمان، بأمر من "وجيه غالي" اللي مربيها، شوف الدنيا ووساختها، لما يبقى الحب قصاد البيزنس، وظهرت الضحية الرابعة.

" هند منصور الزيني"، بت كده جابتها من تحت أوي، ومرت بمراحل الوساخة كلها فلتر النضافة زي ما بيقولوا، المراحل دي زي فلتر المية بالظبط، بس الفرق إنها بتوسَّخ مش بتنضف، دعارة ومخدرات وتجارة سلاح وأخيرًا لقت نفسها في الآثار، فلوس وعلاقات من غير مد إيد أو ليالي حمراء، اشتغلت تحت إيد

الراجل العالمي "مروان العويني"، كان بيعرف يجيب الآثار من بطن أمه، وعنده جيش شغال وبيصب في جيوبه، وكانت "هند" ديلر، وبتاخد نسبتها، بس خانت، والناس دي يا عمي عندها الخيانة تمنها الموت، زيي بالظبط، اتخنت منكم، وظهرت الضحية الخامسة.

ثم دمعت عيناة وهو يتذكر وقال في انكسار وتأثر ناظرا إلى عمة الدامع العينين هو الاخر....

"فريدة متولي الشريف"، بنتك، ومراتي، وحبيبتي اللي عمري ما حبيت غيرها في الدنيا، ورغم كده استكترت أنت وهي إنكم تحبوني ساعة واحدة، ساعة واحدة بس يا عمي كانت هتغير كل حياتي وتبعدني عن القرف والطين والعطن اللي أنا عايش فيه، استكبرتوا عليا وعاملتوني أقل من أقل عسكري عندك تدوس عليه وتهينه باستمرار، خدمتكم زمان عشان كنت بحبكم بجد، عيلتي بقى وسندي، سندي اللي خلاني أكره كل العالم وكل الناس، أنا عملت كل ده عشان أنتقم منكم والظروف خدمتني، لعبتها صح أنا يا عمي، أنت لازم تكون فخور بيا قبل ما تموت قدام عيني

وتنفذ آخر حلم ليا، أنا اتجوزت بنتك وموتها فورثتها وبقيت وريثك الوحيد، اللي كمان ساعات هيكون عندي كل فلوسك وأراضيك وسرك، آه يا عمي.. على فكرة نسيت أقول لك إني أنا اللي ما كنتش بخلِّف مش بنتك، بس دي ما كانتش صعبة عليا إني أخبيها هي كمان وأغير كل التحاليل، ما أنا أصلًا عايش مستخبي جوه واحد تاني.

شوفت يا عمي أنت وصلتني لحد فين؟ شوفت خلتوني أعمل إيه؟ شوفت إن أنا أذكى منكم كلكم، وإني الوحيد اللي أستحق إنكم كنتم تحبوني واستكبرتوا؟ قول لي بقى هتعمل إيه بعد ما عرفت الحاجات دي كلها؟ بعد لما عرفت إني المجرم اللي ارتكبت كل الجرايم دي، وإنك قتلت بنتك بإيدك.. ما هو أنا كنت إيدك.. ولا إيه يا عمي؟

نظر "أحمد" بابتسامة نصر إلى عمه الذي بكى بشدة وهو ينظر إليه في شفقة وكره، ثم اعتدل ونزع جهاز التنفس وكل الأسلاك التي تحيط به، ونظر إلى "أحمد"

الذي ظل في صدمة يحاول استيعاب ما يحدث، بعد أن سمع عمه يقول له وهو يبكي:

أنت أكيد مش إنسان.. أنت أكيد شيطان متجسد في بني آدم، أنت مسخ.

وقف "أحمد" وأحس بأنها مكيدة من عمه، وأنه قد اعترف بكل شيء بكل سهولة وغرور.

التفت حول نفسه وأخرج سلاحه سريعًا وهو في حالة هستيريا وعدم اتزان، وصوبه نحو رأس عمه الذي ظل يبكي بشدة وقال:

فين يا عمي جهاز التسجيل؟ هاموِّتك.. قول لي فين؟

ظل عمه في حالة من البكاء والحزن وهو ينظر إلى عيني "أحمد" مواسيًا وكارهًا، زاد انفعال "أحمد" وسحب أجزاء السلاح في محاولة منه لتهديد عمه وإجباره على التحدث، ليصدم من أن أحدهم وضع سلاحًا خلف رأسه وقال:

ارمي سلاحك يا أحمد، إحنا عرفنا كل حاجة، ارمي السلاح، أنت اعترفت بكل حاجة وكل الداخلية سمعتك، وعرفتنا على كل الشبكة اللي ورا البلاوي دي بالكامل.

أغمض "أحمد" عينيه في حنق وفتحها مرة أخرى غير مصدق وجزَّ على أسنانه في ضيق، وقال مبتسمًا:

- فـــؤاد بيه، أنا إزاي ما جاش في عقلي ولا رتبت للموقف ده؟ أنت فاجئتني، شكلي قللت من ذكائك.

- ارمي يا أحمد السلاح، كل حاجة خلصت خلاص.

- لا مش خلاص، لا مش خلاص، كل حاجة وليها حل، بس أنت إزاي عرفت توقعني. شكيت فيك، وحاولت أخرج الشك بره دماغي، بس اللي أكد لي شكي ده الدكتور "جلال"، لما راقبك فترة وجاب لي ملف بخط سيرك، وأنا كملت المهمة، وكنت قريب أوي إني أكشفك، بس أنت كنت حويط، أنت فاكر لما قالنا مرة "اعتبر نفسك مكان القاتل وتخيل دوافعه، هتشوفه

وتحس بيه وتعرف نقطة ضعفه، هو دايمًا أبعد واحد عن الشبهات، وواقف بيتفرج من بعيد علينا". فكرت شوية لقيتك أبعد واحد عن الشبهات، وكمان مافيش دليل ضدك، بس حطيت نفسي مكانك وفكرت زيَّك وقلت أنخرب وراك شوية، وبعدين ما تنساش إني ظابط زيَّك وليا سككي وناسي، وقدرت أوصل بسهولة لملفات مدفونة باسمك ولقيت بلاوي، دورت تاني ووصلت للمخبر "رشيد" الممثل الفاشل، وقدرت أعرف سجل "بكر الفيل" وإنه شاطر أوي في الدبح والسلخ، وكمان وصلت لملف الشيخ "بلال" اللي أنت ولعت فيه، وجمعت كل ده وحطيت الاحتمالات، مع شوية تسجيلات بسيطة مبهمة قدرت أسجلها لك مع "رشا" عشيقتك و"ريكو" ودكتور "سامي" والشيخ "بلال"، واللي أنت قدرت تخلص عليهم قبل ما نوصل لهم ونضغط عليهم، الحاجة الوحيدة اللي ما عرفناش نوصل لها تسجيل بينك وبين "بكر الفيل"، كنت حريص أنت أوي في ده، وكمان قتلته باحتراف، كان ناقصنا اعتراف منك وبس، وفكرنا إزاي نعمل ده، وعمك هو اللي اقترح، مع إنه كان معترض على الفكرة

ومش مصدق الكلام ده، قال لنا إنه كان مربيك وإنك ابنه اللي ربنا ما رزقهوش بيه من صلبه، وآديك اعترفت على نفسك وعلى الشبكة كلها.

كان لازم تعرف يا أحمد إن شيطانك مش هينفعك في الآخر، وإن الذكي بس هو اللي بيتسبب في موته، وأنت فعلًا كنت ذكي ولفيت حبل المشنقة على رقبتك.

نظر "أحمد" إلى عين عمه الدامعة معاتبًا ومودعًا وأخذ نفسًا عميقًا، وبدأت دموعه بالانسياب ويده بالارتعاش، وأخذ يتمتم ببعض الكلمات، ثم أغمض عينيه وهو يضغط على زناد السلاح ببطء، تنبه "فؤاد" لذلك وقال صارخًا:

لا ده مش هيفيدك يا أحمد.. أنا هاضربك بالنار.. استنى استنـ...

دوى صوت طلقة تبعتها طلقة أخرى وجثتان إحداهما على الفراش والأخرى ملقاة أرضًا وسط الكثير من الدماء وهمسات مما تتلوه الشياطين.

البداية...

بعد عدة أيام داخل أحد أجهزة الأمن العام، يدخل فؤاد ببذلته الميري، وقد تم ترقيته إلى رتبة "مقدم"، بعد أن كشف عن أكبر قضية قتل لـ"6" نساء هزت الرأى العام، وكشف من خلالها عن أكبر تنظيم للفساد داخل مصر، وسط التحيات من الضباط توجه إلى مكتبه الجديد وبيده حقيبة سوداء.

دلف إلى مكتبه الفخم بكل محتوياته وهو يرسم ابتسامة نصر وفخر بما أنجزه، ووضع الحقيبة على أحد الكراسي، ثم خلع الـ"باريه" العسكري ومسح على النسر الذهبي بحنان، ووضعة أمامه وجلس خلف مكتبه الخشبي العملاق.

أمسك بالحقيبة وفتحها ليظهر بداخلها عدد لا يحصى من الدولارات من فئات كبيرة، ابتسم وأخرج سلاحه الناري ثم فصل الخزينة الخاصة بالذخيرة ووضعهما أمامه، أخرج هاتفه وبحث عن رقم يحمل اسم "اللواء عثمان" وانتظر الرد..

ألو.. أيوة يا عثمان باشا.. الأمانة وصلت لك؟

جاءه الرد بصوت اللواء "عثمان":

أيوة يا فؤاد، وصلت وزيادة عن اللي اتفقنا عليه 100 باكو.

يضع "فؤاد" قدمه فوق الأخرى ويقول:

- يا باشا دي هدية من عزمي بيه عشان ده كان أول تعاون بينا، وبعدين اللي خدمناه فيه ده مش شوية، إحنا وقعنا له أكبر منافسين ليه، والسوق فضي له دلوقتي وبقى انفراد.

- مش بيدفع حلو، يبقى إحنا خدامينه، سلامي لعزمي بيه وقول له اللواء عثمان جاهز لأي خدمة وفي أي وقت.

- يوصل يا باشا.. ونسيت أشكر حضرتك على الترقية والمكان المهم ده.

- دي حاجة بسيطة، وبعدين أنت اللي زيَّك لازم يوصل لأنه حريف وبيلعبها صح، أنت فاكر لما قلت لـ"أحمد" قبل ما تضربه بالنار إن اللي كشف اللعبة كان الدكتور "جلال"، وأنت كنت عارف كل حاجة من البداية، دي كانت كفاية لوحدها. تلامذتك يا سيادة اللواء، مع السلامة يا باشا.

أغلق فؤاد الهاتف وعلى وجهه ابتسامة كبيرة، ثم أخذ يقلب محتويات الهاتف الجوال وسط الصور مرورًا بزوجته "عبير"، حتى توقف عند صورة لـ"ياسر وافي"، الشاب الذي كان على علاقة بزوجة "أحمد" من قبله، وتمكن أحمد من إجباره على السفر وقتله بدم بارد، دمعت عينا فؤاد وهو ينظر إلى صورة "ياسر" داخل الهاتف، تجهم وجهه وشرد قليلًا يتذكر ما مضى...

****

على أحد طرق السفر الرئيسة يجلس "فؤاد" برفقة ضابط آخر وعدة أمناء شرطة وعساكر داخل كمين للتفتيش، ووسط الضحكات المتعالية عن النوادر التي

يتعرضون لها، يأتيه هاتف من رقم غريب عليه ليجيب:

أيوة يا فؤاد.. أنا ياسر.

قالها "ياسر" بنبرة ممتلئة بالخوف والرهبة.

- إيه الرقم ده يا ياسر؟ بتتكلم من رقم غريب ليه يا ابني؟ ومال صوتك؟

- ده رقمي الجديد، وما حدش يعرفه غيرك، اسمعني كويس يا فؤاد، أنا كنت على علاقة بمرات ظابط واتطلقت منه بسببي، وهو عرف سكتي ومش عاوز يسيبني في حالي، ساعدني ده أنا أخوك الوحيد، إحنا يمكن كنا على خلاف ومش شايلين اسم نفس الأب، بس ده ما يمنعش إني أخوك، وإن اللي حملت فينا واحدة.

- طب يا ياسر قول لي اسمه وأنا هاتصرف.

- اسمه "أحمد خالد الشريف"، ساعدني يا فؤاد عشان خاطر ماما. خلاص يا ياسر حاضر، أنا هاتصرف، سلام دلوقتي، وخليك في مكان أمان لحد ما أوصل لك أنا.

أغلق"فؤاد" الهاتف وعلى وجهه علامات القلق، ثم توجه إلى صديقه وسأله.

- أنت تعرف حد في المباحث الجنائية يا علي؟

- آه.. بتسأل ليه؟

- عاوز منك خدمة، وصلني بيه.

- عينيا.. بس في إيه؟ مصلحة يا أخي.

****

يمسك "فؤاد" هاتفه الجوال بعصبية واضحة وهو يحاول الاتصال بـ"ياسر" أكثر من مرة ليجده مغلقًا، حتى جاءته رسالة تخبره بأن هاتفه يعمل الآن، أجرى مكالمة ليجيبه ياسر وفي صوته التعب والخوف الشديدين.

- أيوة يا فؤاد.

- أنت فين يا زفت؟ أنا بقالي يومين مش عارف أوصل لك؟ ومال صوتك؟

- أحمد وصل لي، ورماني في الحجز يومين وسط البلطجية يا فؤاد، ووصى عليهم يضربوني في الحجز، عاوزني أسافر وأخرج بره مصر، أنا لازم أسافر يا فؤاد، ده مجنون وممكن يموتني.

- طب أنت فين دلوقتي؟ قول لي على مكانك وأنا جايلك؟

- أنا في بيت المريوطية بتاع جدك، هاجهز شنطتي عقبال ما توصل. ماشي.. اقفل اقفل.

أغلق "فؤاد" الهاتف وأخذ نفسًا عميقًا ملأ به صدره الملتهب، ثم قذف به نحو الحائط ليتهشم وهو يسب ويلعن "أحمد".

تدخل زوجته "عبير" على صوت الهاتف الذي تهشم متسائلة:

إيه الصوت ده يا فؤاد؟ إيه اللي اتكسر؟

يقترب فؤاد منها مسرعًا وهو يغلق الإضاءة وتتغير ملامحه إلى الابتسامة ويقول:

مافيش حاجة يا حبيبتي أنا اتكعبلت بس.

****

داخل مطار القاهرة وأمام إحدى صالاته يقف "ياسر" باكيًا أمام "فؤاد" وعلى وجهه أثرًا للضرب المبرح وهو ممسك بشنطة سفر كبيرة وبيده جواز سفره، اقترب "فؤاد" من "ياسر" واحتضنه بقوة وقال له وهو دامع العينين:

- انشف كده.. أنا هاخلص موضوع الزفت ده بسرعة وهابعتلك ترجع، وبعدين أنت هتكون في مكان مش هيعرف يوصل لك فيه، يا عبيط أنا عامل حسابي ومأمنك، وهتلاقي في حسابك الفلوس اللي تكفيك، أنا

نفسي أعرف بتودي الفلوس دي كلها فين، ده أنت وارث من أمك بييجي مليون جنيه.

- أنا خايف ما اشوفكش تاني يا فؤاد، أنا لو حصل لي حاجة عاوزك تجيب لي حقي منه، أنا عارف إن إحنا كان بينا خلاف كبير زمان بسبب حاجات كتير، بس فعلًا أنا ماليش غيرك، أنت اللي فاضل لي من ريحتها. ما تقولش كده يا أهبل، أنا هاحميك وهاجيبلك حقك، ما تخافش، أنت أخويا.

مسح "ياسر" دموعه وابتسم لـ"فؤاد" وأمسك شنطته ودخل إلى قاعة السفر وهو مطأطئ الرأس هزيل الجسد، نظر له "فؤاد" في أسى وأخرج هاتفه وأجرى مكالمة إلى رقم يحمل اسم "موسى" مخابرات عامة.

****

في الليل يجلس "فؤاد" على إضاءة خافتة داخل مكتبة بإحدى الجهات الأمنية وهو ممسك بملف به صورة خاصة بـ"أحمد"، وبه كل بياناته، يقرأه بتمعُّن ويرتشف من فنجان قهوة بجانبه ويركز في كل

تفاصيله، ليقطع حبل تركيزه هاتف من رقم غريب فأجاب.

ألو مين معايا.

يستمع بحرص وتتغير ملامح وجهه ويجيب:

أيوه أعرفه.. أنا.. أنا كنت جاره، ماله؟

تدمع عيناه وترتعش شفتاه ويجيب:

مات إمتى؟ وإزاي؟

سقطت دموعه سهوًا وهو يستمع إلى كيفية قتل أخيه.

لا هيندفن هناك، دي كانت وصيته، وأنا هاكون موجود وأنفذ وصيته.

أغلق "فؤاد" الهاتف وجلس يبكي وينتحب وينطق باسم "ياسر" وينظر إلى الملف بحدة، ثم مزقه بغل

كبير وأمسك بصورة "أحمد" ووضع فوهة المسدس عليها في تحدٍّ له.

****

يجلس "فؤاد" داخل أحد المكاتب الفخمة لرجل أعمال معروف في انتظار قدومه وهو ينظر إلى تلك التحف الفنية بطمع ورغبة واضحة على عينيه ووجهه، الذي ابتسم مجاملًا عندما رأى "عزمي" قادمًا، وهو "رجل متوسط الطول ناعم الشعر الأبيض بوجه أحمر متورد وملابس فاخرة وطريقة كلام جادة"، فوقف وسلم عليه ليشير إليه الأخير بأن يجلس.

- أهلًا بيك يا فؤاد بيه؟ قول لي بقى إيه سبب الزيارة الجميلة دي، أنا متهم في حاجة؟

- العفو يا باشا.. أنا جاي أسألك عن اسم حد معين لو حضرتك تقدر تساعدني؟

- طبعا اتفضل. أكمل طاهر بسيوني؟

قالها "فؤاد" بوضوح وبطء، ليتغير وجه "عزمي" إلى العبث ويعتدل في جلسته ويقول:

- ماله؟ قصدك إيه؟

- اللي يخلصك منه هو و كل اللي معاه واللي حاميهم؟

- مليون دولار.

- يعني إيه؟ مليون دولار للي يعمل كده.

ابتسم "فؤاد" وهو ينظر إلى "عزمي" الذي بادله نفس الابتسامة، وأعطاه سيجارًا ليمسكه "فؤاد" ويضعه بين أسنانه ويقول بنبرة مساومة:

- أنا عاوز نص المبلغ دلوقتي.

- مش كتير يا فؤاد بيه؟

- كتير على أكمل طاهر اللي مالك السوق وبيطاردك وزمانه بيخطط إنة يخلص منك بأضعاف المبلغ ده؟ لا مش كتير يا فؤاد باشا.

قالها "عزمي" ثم أخرج دفتر شيكات وكتب به المبلغ ومد يده به إلى "فؤاد" الذي حاول إمساكه، ليسحبه "عزمي" وهو يبتسم ثم يقول:

أتمنى إن النص التاني تاخده مني قريب وما تضطرنيش أديه لحد غيرك مقابل رقبتك، أنت رقبتك دلوقتي بقت تساوي نص مليون دولار، مبروك.

انتزع "فؤاد" الشيك بقوة من يد "عزمي" وأخرج السيجار من فمه وقال:

- الله يبارك فيك، ويرحم أكمل واللي معاه يا باشا، وما تخافش، أنا مش سهل خالص، وأوحش مما تتصور.

- وعاوز منك خدمة أخيرة لو سمحت لي.

- اتفضل.

- عاوز رجالتك يراقبوا لي ظابط في الداخلية اسمه "أحمد خالد الشريف" 24 ساعة، ويجيبوا لي تقارير عنه يوميًا.

- ومين سي أحمد ده كمان؟

- ده المفتاح يا باشا، ثق فيا. ماشي يا فؤاد باشا، طلباتك مجابة، ومعاك الوقت الكافي كمان، بس النتيجة ما فيهاش كلام.

- اتفقنا.

قالها "فؤاد" وهو يضع السيجار بين أسنانه ويشعله بقداحة "عزمي" الذي ظل يرمقه بإعجاب شديد، وقد لاحظ "فؤاد" هذا فابتسم.

****

يخت يتحرك داخل مياه البحر الأحمر بتروٍّ، وعلى متنه اللواء "عثمان" بزي ترفيهي "شورت وتي شيرت"، وهناك بالقرب من اليخت يقترب زورق يقوده "فؤاد" مسرعًا، حتى يتوقف بجانب اليخت ويقفز إليه مسرعا باتجاه اللواء "عثمان"، الذي ابتسم وسلم عليه ثم دلفا إلى حجرة فخمة داخل اليخت.

- حضرتك ليه أصريت إننا نتقابل هنا وبالطريقة دي يا سيادة اللواء؟ وأنت ليه عاوزني وأنت عارف مركزي يا سيادة الرائد؟

ابتسم "فؤاد" وأخرج من جيبه شيكًا بربع مليون جنيه ومد يده به إلى اللواء "عثمان"، الذي أمسك به ونظر إلى الرقم وابتسم، وقال:

- وده نظير إيه؟

- تساعدني يا باشا.

- عاوزني أساعدك بربع مليون في إيه؟

- أمسك ملف قضية. إيه هي القضية اللي أنت عاوز تمسك ملفها؟ وأهميتها إيه بالنسبة لك عشان تدفع المبلغ ده؟

مسح "فؤاد" على رأسه وابتسم ثم نظر إلى اللواء "عثمان" وقال:

- قضية قتل لسه هتحصل.

- نعم؟! أنت جاي تهزر معايا؟ استنى بس يا باشا، هاشرح لك، خلال الأسبوع ده هتحصل جريمة قتل غريبة شوية وصعبة، وهيمسكها رائد اسمه "أحمد خالد الشريف" بطريقته، وأنت هترشحني ليه وسط كام ملف لظباط ملتزمين دينيًا وملتزمين قانونًا، وهو هيختارني لوحده.

ضم اللواء "عثمان" جبينه ونظر إلى "فؤاد" في تعجب وقال:

- وبعدين؟ أنت بتشتغل لحساب مين؟ هاشرح لك كل حاجة واحدة واحدة، وهاقولك على الخطة وهاعرفك إحنا شغالين مع مين، وعلى فكرة اللي معاك ده نص المبلغ يا باشا مش كله.

ابتسم اللواء "عثمان"، فظهرت أسنان ناصعة البياض على عكس نشاطه الأسود داخل تلك الوزارة.

****

يجلس "فؤاد" داخل أحد المطاعم ويتناول الطعام وسط موسيقى هادئة وهو ممسك هاتفه الجوال ويشاهد صورًا تجمعه هو وأمه وأخاه "ياسر"، ويتذكر تلك الأيام وما حدث بها، ينزعج ويفقد شهيته فيشرب المياه ويطلب الحساب، تأتيه شابة في غاية الجمال تعمل داخل المطعم وتعطيه دفتر الحساب، يفتح الدفتر ليجد به شيت الحساب وكارت ميموري صغير الحجم، يخرج محفظته ويضع بها الكثير من المال ثم يغلقها بعد أن يضع الكارت بالمحفظة، يعطي الفتاة الدفتر وهو ينظر لها بابتسامة ثم يقف ويغادر المكان سريعًا.

****

يجلس فؤاد داخل المسكن الخاص باللواء "متولي الشريف" وينتظر قدومه، يهبط "متولي" درجات السلالم في أسى وحزن على ابنته الفقيدة وشعور بالعجز الحقيقى كاد أن يوقعه أرضًا، يقف "فؤاد" معزيًا "متولي" ثم يجلس الاثنان، يقترب فؤاد من مجلس اللواء "متولي" ويتحدث بمكر.

اللي يجيب لحضرتك حق فريدة بنتك ويعرفك مين اللي قتلها تعمل معاه إيه يا سيادة اللواء؟

يفيق "متولي" من حزنه للحظة ثم ينظر إلى "فؤاد" ويتعالى صوته...

- أنت تعرف مين اللي قتلها وساكت؟

- أنا شاكك يا باشا بس هنتأكد.

- وشاكين في مين يا شوية فشلة؟

- ممكن حضرتك بس تهدا وتسمعني لأن الموضوع كبير، وواضح إنك مش مخوِّن أقرب الناس ليك.

- قصدك إيه؟ اتكلم. أنا عندي يا باشا تحريات بتثبت إن أحمد ابن أخو حضرتك هو اللي قتل فريدة وباقي الضحايا، وعملت مذكرة بيها للواء "عثمان" وأنا هنا بتعليمات منه، وممكن تتصل بيه وتتأكد بنفسك.

تتغير ملامح "متولي الشريف" إلى العصبية ويثور.

أنت بتقول إيه؟ اطلع بره قوم.

يقف "فؤاد" ويعدل من ملبسه ويقول:

أنا مقدَّر الظروف الصعبة اللي حضرتك بتمر بيها، بس عاوزك تفكر كويس وتشوف بعين الظابط اللي اتربينا عليها، وتبعد المشاعر، وأنت هتشوف الحقيقة واضحة ومنطقية، عن إذنك.

قالها "فؤاد" وهو يقف متجهًا إلى باب الخروج ليوقفه صوت "متولي الشريف" قائلًا:

استنى عندك ما تمشيش.

يبتسم "فؤاد" في مكر ثم يغير تعبير وجهه إلى الجدية ويلتفت إلى "متولي الشريف" مستمعًا إليه.

- قل لي كل اللي تعرفه وأنا هاحكم.

- صدقني يا سيادة اللواء، أنا كل همي أرضي ضميري وأجيب حق اللي ماتوا، ده شغلي. قل لي يا ابني كل حاجة، وقل لي خطتك.

****

داخل غرفة بأحد المستشفيات العسكرية الخاصة بالشرطة، يقف "فؤاد" بجانب سرير ينام عليه "متولي الشريف"، ومن الجهة الأخرى يقف طبيب يتحدث إلى "فؤاد" كأنه يتلقى التعليمات، بينما هناك من يضع أجهزة تنصت في كل مكان داخل الغرفة، ثم يخرج الطبيب هاتفه ويجري مكالمة.

ألو الرائد أحمد الشريف معايا؟

يستمع إلى ما يقال ثم يكمل.

أنا الدكتور "شريف" من مستشفى الشرطة، عمك عندنا هنا وهو بين الحياة والموت، بعد ما اتعرض لأزمة قلبية أفقدته النطق تقريبًا، شد حيلك، ويا ريت تحضر بسرعة لأن واضح إن دي آخر ساعاته، أنا في انتظارك، لما تيجى اسأل عليا، مع السلامة.

ينهي الطبيب المكالمة ويخرج الجميع من الغرفة بإشارة من "فؤاد"، تاركينه متخفيًا بأحد أركان الغرفة

و"متولي الشريف" يتصنع المرض في انتظار قدوم "أحمد" لإتمام الخطة.

****

داخل غرفة المستشفى يقف "فؤاد" خلف "أحمد" وهو يضع السلاح الناري خلف رأسه، بينما يوجه "أحمد" سلاحه في اتجاه عمه "متولي الشريف" الذي يبكي وهو ينظر إلى ما آلت إليه الأمور غير مصدق.

كان لازم تعرف يا أحمد إن شيطانك مش هينفعك في الآخر، وإن الذكي بس هو اللي بيتسبب في موته، وأنت فعلًا كنت ذكي، ولفيت حبل المشنقة على رقبتك.

قالها "فؤاد" وهو ينظر حوله ويتابع إن كان هناك أحد ينظر من الخارج أو لا، ثم نظر إلى "أحمد" بغل.

نظر "أحمد" إلى عيني عمه الدامعتين معاتبًا ومودعًا، وأخذ نفسًا عميقًا وبدأت دموعه بالانسياب ويده بالارتعاش، وأخذ يتمتم ببعض الكلمات ثم أغمض

عينيه وهو يلقي السلاح أرضًا ويرفع يده إلى أعلى مستسلمًا، تنبه "فؤاد" لذلك وقال صارخًا:

لا ده مش هيفيدك يا أحمد، أنا هاضربك بالنار، استنى استنـ...

ثم أطلق النار على رأس أحمد الذي تفجر وتناثرت دماؤه على وجه عمه "متولي الشريف" الذي ظل في حالة عدم استيعاب لثوانٍ لما فعله "فؤاد"، وقد استسلم "أحمد" له دون مقاومة، وظل ينظر إلى "فؤاد" وهو يمسك سلاح "أحمد" بقطعة قماش أخرجها من جيبه، ثم وجهه نحوه، ليتلقى هو الآخر رصاصة تودي بحياته قبل أن يعي ما فعله، وبعدها ترك "فؤاد" سلاح "أحمد" بجانبه أرضًا واتجه إلى الباب ليفتحه.

دخل الكثير من رجال الشرطة والأطباء ليقوموا بعملهم داخل الغرفة، بينما ظل "فؤاد" متجمدًا لبعض اللحظات وهو ينظر إلى الجثتين في ارتياح شديد، وصوت أخيه "ياسر" يضحك بشدة داخل عقله.

****

تبدَّلت ملامح "فؤاد" من البكاء إلى الفرح والابتسامة وهو ما زال ممسكًا بالهاتف وينظر إلى صورة أخيه، قبَّله ووضع الهاتف داخل جيبه ثم أمسك بالخزينة وفتح درج مكتبه ليخرج علبة ذخيرة صغيرة، وأخذ منها طلقة ووضعها داخل الخزينة بدلًا من طلقة الخلاص، ثم أدخل الخزينة داخل سلاحه ووضعه أمامه على المكتب، ورفع رأسه لأعلى، وتغيرت ملامح وجهه من البسمة إلى العبث، كأنه أصبح شيطانًا يسكن جسد إنسان ضل طريقه وسط الضالين.

تمت بحمد الله

أعمال الكاتب

- صاحب الخطوة - رواية
- الطوارق - رواية
- المخطط - رواية
- لعنة نوبار - رواية
- المشرحة - رواية
- البيت القبلي – رواية

للتواصل مع الكاتب

https://www.facebook.com/mhmoudwahba